الرّصيد الوطني للأطروحات
يحظر النسخ و التوزيع

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:
عبدالحميد جنيدي

إشراف :
الدكتورخالد صابرالشريف

السنة الجامعية
(1429-1430)هـ/(2008-2009)م

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

عبدالحميد جنيدي

اللجنة المناقشة:

1/ إ- د, مختارحساني رئيسا.

2/ د.خالد صابرالشريف مشرفاومقررا.

3/ د. منصف بكاي عضوا.

السنة الجامعية

(1429-1430)هـ/(2008-2009)م

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الإهداء

إلى من ربياني صغيرا،وعنيا بي كبيرا

إلى أمي الغالية العزيزة على قلبي

وإلى أبي مثلي الأعلى في هذه الدنيا

وإلى إخوتي وأخواتي

إلى من أعانتني وصبرت علي

وإلى من هي كانت سندي في هذه الحياة... مريم.

وإلى زملائي وزميلاتي وأصدقائي

وإلى كل من يعرفني.

إلـــــى كـــــل مـــــن علمنـــــي،وعلـــــم غيـــــري حرفـــــا.

انحنـــــي إكرامـــــا، وتقديـــــرا، وتبجيـــــلا.

انحنـــــي شاكـــــرا لهـــــم أجمعيـــــن.

جنيدي عبدالحميد

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الشكر والعرفان

لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري وعظيم تقـديري، وامتنـاني إلـى الأستاذ الدكتورعبدالقادرزبادية الذي منحني كل جهده ووقته في الإشراف على مذكرتي

كان يقدم لي دائما توجيهاته ونصائحه، واعترف له بالجميل لوقوفه إلى جـانبي منذ وقبل اختيار الموضوع إلى غاية التصحيح الأول للبحـث،غير أن حالتـه الصحية حالت دون إعادة تصحيحها في المرة الثانية ،وفي هذه المرحلة أنا شديد الامتنان والتقديرللدكتورخالد صابرالـشريف الـذي صـححها،وقدم توجيهاتـه وإرشاداته، وفي الحقيقة أن الدكتورخالد صابركان دائما يوجهني،وينصحني قبل وبعد اختيار هذا الموضوع.

ولا أنسى بشكري للدكتوربن يوسف تلمساني الذي وجهني كثيرا،ووضـع بعض كتبه تحت تصرفي.

وفـي الأخيـر ادعـوا مـن- الله تعـالى - أن يـشفي أسـتاذنا الدكتورعبدالقادرزبادية ويعود بالصحة والعافية إلى عائلته. جزاهم الله جميعا.

جنيدي عبدالحميد

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

من أجل إماطة اللثام عن مدينة تنبكت ، ومعرفة الطرق الموصلة إليهـا، وكـشف غموضها، مات رواد، وجنرالات، وجنود، ورجال مخابرات، وجواسيس تقمصوا سـبيل البحث، والاستكشاف، هؤلاء تغطوا بثياب الرحالـة، والتجـار، والمستكـشفين للبحـث عنها،ولمعرفة كننها، ومن أجلها تصارعت دول أوربية حتى حافة الحرب ومن أجلها دخل قناصة إنجلترا،وفرنسا في طرابلس الغرب بشكل خاص، في صـراع محمـوم ومـسعى مكشوف لمن يصل إليها أولا، والسيطرة على ثرواتها وكنوزها.

إنها تنبكت... المدينـة الخالـدة[1] ، التـي حملـت أسـماء عديـدة منهـا:"**المدينـة العجيبة**"،و"**المدينة الأسطوريةِ**" [2] هذه الأسماء ألحقت بها أيام بدأ الاستكشاف الجغرافـي الغربي لها في القرن التاسع عشر وهؤلاء الأوربيون تحدثوا عنها وأعطوها صورة بالغة الجمال وافرة الثروة بسبب تجارتها.

وهناك أسماء أخرى أطلقت عليها منها: " **جوهرة الـصحراء** "،و" **مدينـة الإشـعاع الثقافي** "[3]، وغيرها من الأسماء الأخرى، التي عكست حضارتها على مدى ثلاثة قرون.

هذه المدينة اختلفت عن المـدن الأخـرى؛ فقـد كـان لنـشأتها الإسـلامية الأثـر الكبيرالواضح فيها، وفي البلاد التي حولها متأثرة بها، ومؤثرة فيها، وقد وصـفها أبنهـا المؤرخ عبدالرحمن السعدي **بقوله :"هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفـاخرة،التي مـا دنستها عبادة الأوثان،ولا سجد على آدميها قط لغير الرحمن..."**[4].

هذه هي تنبكت، التي لم يعبد على أرضها غيرالله سبحانه وتعالى أبدا، وهذا ما يجعل المرء يتساءل أي عظمة،وأي فخرلتلك البلد ولأهلها، وقد نشأت نشأة إسلامية،ولم تنطـق

---

(1)علي محمد عبداللطيف، **تمبكتو أسطورة التاريخ**، الطبعة الأولى،دارالكتب الوطنية بنغازي،2001. ص6 ومابعدها.

(2)Dubois Felix, **Tombouctou la Mystérieuse** , la Brnieie Elammarion, paris , 1897. p.247.

(3)علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق، ص6.

(4)عبدالرحمن بن عبد الله بن عمران بن ناصرالسعدي،**تاريخ السودان**،تحقيق هوداس و بنوة، باريس1964،ص21.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

إلا بالشهادتين منذ عرفت الحياة الدنيا.

برزت هذه المدينة كمدينة تجارية يؤمها البائع، والمشتري، وسرعان ما أصبحت مركزا ثقافيا يؤمها المعلم، والمريد، وبالتالي لعبت المدينة الدورين التجاري،والثقافي فالدورالأول لعبته منذ نشأتها إذ أنها تقع على ملتقى القوافل البريةعبرالصحراء،والقوافل النهرية التي تسيربنهرالنيجر،غيرأنها بلغت ذروة ازدهارها الاقتصادي في القرن العاشرالهجري،السادس عشرالميلادي 10هـ/16م،الذي عرف بالعصرالذهبي لتلك المدينة.

أما الدورالثاني فقد أصبحت مدينة تنبكت حاضرة للثقافة الإسلامية،ومركز إشعاع في الميدان الديني في السودان الغربي، بل في غرب إفريقيا كلها، بما لها من نشأة دينية حينما أسست على الدين الحنيف،ونشأت عليه معارفها، وعقيدتها، بل وتعددت مختلف أنواع الحياة بها ، وقد بلغت المدينة عنفوان مجدها، وعظمتها في القرن 10هـ/16م أذ أصبحت عمقا حضاريا متميزا.

نسلط في هذه المذكرة بعض الأضواء على هذين الدورين، وهذا كخطوة أولى على درب البحث التاريخي الطويل.

ولهذا عنونت هذا البحث بـ "**مدينة تنبكت الإسلامية ودورها الحضاري خلال القرن10هـ/16م**".

ويرجع اختياري لهذا الموضوع إلى عديد من العوامل،وتأتي في مقدمة هذه العوامل؛أن الدراسات التاريخية الجزائرية المتعلقة بدراسة الشق الجنوبي من الصحراء قليلة،وبحكم تخصصي كباحث مبتدأ في الدراسات الإفريقية وجب علي البحث في تاريخ،أوجزء من تاريخ هذه القارة المترامية الأطراف.

أما ثاني هذه العوامل فمرده إلى تمسكي،واهتمامي بدراسة تاريخ مدينة ولدت مسلمة بإفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة،وفي السودان الغربي بصفة خاصة.

ويعود العامل الثالث إلى أن المدينة ارتبطت بدول شمال الصحراء؛إذ قصدها التجاروالعلماء من المغرب الكبير خاصة من الجزائر،وليبيا، والمغرب عبرالصحراء الكبرى، وهذه الأخيرة لم تكن في يوم من الأيام حاجزا بين أبناء الأمة الواحدة بل كانت

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جسرعبور،وتلاحما حضاريا،أقول تلاحم حضاري،إذ اعتبرت همـــزة وصـــل بـــين دول الشمال الصحراء،ودول جنوب الصحراء .

وشأني في هذه المـــذكرة هـــو شـــأن جـــل الطلبة،ومريـــدي البحـــث مـــن حيـــث الصعوبات،التي تكتنف الدارس،أوالباحث لاســـيما إذا كـــان مبتـــديئا مثلـــي،ومن جملـــة الصعوبات،التي اعترتني على سبيل المثال لا الحصر،قلة المصادرحول الموضـــوع،وما هوموجود منها صعب المنال نظرا لافتقارالمكتبة الجزائرية إلى الكثير منها.

أما الجديد في هذه المذكرة،لا يكمن في طرق الموضوع في حد ذاته،إذ سبقتني دراسات عامة،وخاصة،هناك دراسة للمؤرخ سينكي مودي سيسوكو"Sekené Mody Cissoko" بعنوان : **"Tombouctou et L'empire Songhay"**

Epanouissement du soudan nigérien aux XV^{e}-XVI^{e} siécles"

هذه الدراسة باللغة الفرنسية،ركزت دراستهاعلى الجانب الاقتصادي، والقـــوى الـــسياسية التي حكمت مدينة تنبكت، والحياة الاجتماعية،في حين أهملت الجانـــب الثقـــافي للمدينـــة. وبقدرما يمكن القول أنه أول عمل لنيل شهادة الماجستيرفي هذا الموضوع بالذات، وباللغة الوطنية، وهذا زيادة على ما في طيات المذكرة من أراء، واستنتاجات شخصية.

أماعن المنهجية المتبعة؛ فإني قسمت الموضوع إلى أربعة فصول، ومقدمة وخاتمـــة وفهارس،وملاحق ، وعرض للمصادر.

الفصل الأول، وضعته تحت عنوان"**نشأة المدينة وتطورها**" فـــسأتحدث فيـــه عـــن إشكالية التسمية، والإطارالجغرافي للمدينة وأهميته، ثم التركيبة السكانية للمدينة، ثم دراسة تطورالمدينة، بمعنى دراسة مظاهرالعمران بالمدينة، ثم التطورالسياسي للمدينة، وأقصد به أهم القوى السياسية، التي تعاقبت على حكم المدينة، وما خلفته من أثار.

أما الفصل الثاني، فقد عنوانته بـــ " **الأوضاع الاقتصادية في مدينة تنبكت**" وسأتعرض فيه إلى النشاط الزراعي، وكذا الحرف، والصناعات التقليدية التي شهدتها المدينـــة، ثـــم سأتطرق إلى الحركة التجارية، المبادلات التجارية وسأبحث في المسالك والدروب، التـــي جعلتها على اتصال مع دول شمال إفريقيا.

أما الفصل الثالث فقد جاء تحت عنوان " **الحيـــاة الثقافيـــة فـــي مدينـــة تنبكـــت**" وسأتعرض إلى التعليم (المساجد والمدارس،ودورالمكتبات)، التي كانـــت منتـــشرة فـــي

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المدينة وكذلك البحث في الحركة الفكرية أهم العلماء المؤثرين فيها ، سواءا الذين استقدموا من المغرب ومصر، والحجازإلى مدينة تنبكت للتدريس، والاستفادة منهم، وكذا العلماءالذين رحلوا طلبا للعلم إلى المغرب أوالمشرق، وأخيرا مؤرخومدينة تنبكت، ثم التطرق إلى نظام القضاء، وأهم القضاة الذين تولوا هذا المنصب الصعب، وهذا كله خلال الفترة المدروسة.

أما الفصل الرابع فكان عنوانه " **الغزو المغربي على مدينة تنبكت**"، وتناولت فيه أولى المناوشات بين السلاطيين السعديين وسلاطين مملكة سنغاي، ثم تطرقت إلى كيفية التجهيز للحملة، ودخول القوات المغربية العاصمة غاو، ثم دخول الباشا جودرمدينة تنبكت،وأهم الأحداث التي شهدتها المدينة،ثم درست انتفاضة،وثورة أهل تنبكت على هذا الغزو، في عهد الباشا محمود بن زرقون،ورد فعل هذا الأخير(قتل وترحيل العلماء) إلى مراكش ودراسة الحكم المغربي في تنبكت.

أما المصادروالمراجع، التي اعتمدت عليها فهي المصادر،والكتب التي لها في تاريخ إفريقيا في ذلك العصرأوقبله،وبعده ؛هي ما كتبه العرب من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين،والتجار.

أولا: **المصادرالتاريخية**: وهي ثلاثة أنواع؛ هناك المصادرالسودانية، التي كتبها مؤرخون من المنطقة،منطقة السودان الغربي. وهناك مصادركتبها الرحالة والجغرافيون العرب،وهذه معظمها مصادرجغرافية،وكتب الرحلات. والنوع الثالث من المصادرالتي كتبها مؤرخون لم يزوروا المنطقة واعتمدوا في كتاباتهم على ما سمعوا من أخبار.

بالنسبة للمصادر التاريخية السودانية لعل أولى ما لدينا من مصادرخاصة بالسودان الغربي الكتاب الذي وضعه عبدالرحمن السعدي (1004هـ- كان حيا في عام1065هـ/1596م- 1655م) ونحن ندين بالتعرف على ذلك الكتاب إلى الرحالة الألماني هنري بارث، الذي عثرعلى نسخة مخطوطة منه.الإمام القاضي عبدالرحمن السعدي أعتمد في تاريخه على تمحيص الأخبار، وتنظيم السرد التاريخي. وكان كتابه تحت عنوان "**تاريخ السودان**".

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ولدينا أيضا كتاب "**تاريخ الفتاش في أخبار الجيوش وأكابر الناس**" ،الذي ألف أكثر فصوله محمود كعت التنبكتي(873هـ-1002هـ/1464م-1593م)،وهذا الكتاب لم يجد طريقه للنشرإلا في عام 1913م، حينما ترجمه المستشرقان هوداس ودي لافوس إلى الفرنسية، ونشرا النسخة العربية في نفس العام، والجديربالذكرأن أحداث الكتاب انتهت أصلا في عام1008هـ- 1599م، أي بعد وفاة المؤلف بست(06) سنوات، ويبدوأن أحد أحفاده هوالذي أضاف السنوات الست التالية لوفاته، وقد ألقى كتاب الفتاش أضواء ساطعة على مملكة سنغاي، وحضارتها، ونظمها، ولعل ذلك ما يعطي الكتاب أهمية خاصة إذ أن مؤلفه الأول محمود كعت كان شاهدا لما يؤرخه من أحداث.

لاشك أن كتابي عبدالرحمن السعدي، وكتاب محمود كعت، يعدان تحفتين نادرتين في تاريخ أقاليم السودان الغربي، يزيد من قدرهما لتصديهما لحقائق وأحداث شهدها الكاتبان وخبرات عاشاها، إلا إنهما لم يخلوا من بعض المبالغات السائدة في ذلك العصر. المؤرخ محمود كعت ذكرفي مقدمته عما يمكن أن يسمى النقد العلمي في البحث التاريخي، إذ **يقول:" لما رأيت إهمال الناس للتاريخ على ماله من فائدة جليلة في معرفة البلاد وتسقط أخبار أبطالها**، يقول، **التمست من الله تعالى جلت قدرته**، يقول، **أن يساعدني على كتابة هذا التاريخ الذي يبحث في سلاطين السودان**"[1].

وهناك نوع آخرمن المصادرالسودانية،وهذا النوع اختص بالتراجم والسير، ويمكن أن نصنفه في قائمة كتب الطبقات والتراجم ؛ فالمؤرخ أحمد بابا التنبكتي(960هـ-1036هـ /1553م-1621م) اختص في هذا النوع من الكتب،عاش أحمد بابا في أواخرالقرن العاشرالهجري والسادس عشرالميلادي ووضع كثيرا من المصنفات الدينية والفقهية ، وتقدرمؤلفاته بأربعين (40) كتابا وفي طليعتها كتاب " **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**" الذي ألفه عام 1024هـ- 1596م، بالإضافة إلى كتاب "**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**" وهما معجمان لسيرة علماء ،وأئمة، وقضاة المنطقة، فقد استفدت

---

(1)محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت، **تاريخ الفتاش في أخبارالبلدان والجيوش، وأكابرالناس**،تحقيق هوداس ودولافوس، باريس،1964، ص 10 وما بعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

منهما كثيرا في التعريف بعلماء، وقضاة، وأئمة لهم الدورالبارز في مدينة تنبكت ، وهذان المؤلفان لم يقتصرا على التعريف بعلماء المنطقة فقط ؛ بل هناك تراجم للعديد من العلماء والقضاة والأئمة الواردين إلى مدينة تنبكت ، وهؤلاء ساهموا في رقيها،وازدهارها.

وهناك كتاب " **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان** " ، الـــذي حققـــه وعلـــق عليـــه المستشرق الفرنسي هوداس ، ونشرته المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية في عام 1899م ، في طبعتين منفصلتين عربية وفرنسية.

ثانيا: المصادرالتاريخية العربية: هذه نرتبها حسب ترادفها الزمني.

في السنوات الأخيرة من القرن الثامن الهجري، الرابع عشرالميلادي يطلعناعبدالرحمن بن خلدون(732هـــ-809هـــ / 1332م- 1406م) على حقائق هامة عن السودان الغربـــي خاصة في عهد حكم مملكة مالي .

وفي أوائل القرن التاسع الهجري،الخامس عشرالميلادي،وضع القلقشندي(754هـــ-821 هـــ / 1334م – 1418 م) موسوعته الضخمة " **صبح الأعشى في صناعة الأنـــشا**" وفي الجزءالخامس من تلك الموسوعة تحدث عن الممالك الإسلامية في غـــرب إفريقيـــا وخص بالذكر مملكة مالي ، ويلاحظ انه اعتمد كثيرا على ابن خلـــدون ، والعديـــد مـــن المؤرخين العرب في كتابة موسوعته .

ثالثا : المصادرالجغرافية وكتب الرحلات :

وتأتى أهميتها في أنها زيادة على قيمتها في تحديد الموقع الجغرافي ، فإنهـــا جـــاءت حافلة بالحديث عن الحياة الاقتصادية ،لاسيما التجارية منها ، كما أنها لا تخلـــومن فائـــدة تاريخية ، ولعل من أهم هذه المصادر.

كتاب " **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " لمؤلفـــه الـــشريف الإدريـــسي المتـــوفى 560هـــ/1164م ، وتبرزأهمية كتابه في كونه يكشف النقاب عن المسالك وطرق القوافل التجارية ، والتحديد الجغرافي لبعض المناطق ، وتقديرالمسافة بين المنـــاطق الجغرافيـــة. واستفدت من كتاب البكري المعنون بـــ " **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** " مقتبس من كتاب المسالك والممالك.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهناك كتب الرحلات، ومؤلفوهذه الكتب زاروا المنطقة، مدينة تنبكت وذكرتها حسب تسلسلها الزمني .

في السنوات الأولى من النصف الثاني من القرن الرابع عشرالميلادي استرعى انتباهنا كتاب الرحالة العربي ابن بطوطة (704 هـ- 779 هـ / 1304م- 1377 م) الذي سجل فيه رحلاته، وسماه " **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** "وقد بدأ ابن بطوطة رحلاته عام 775هـ/ 1374م، قاصدا الحج إلى مكة وله ثلاث رحلات تهمنا الرحلة الثالثة، فقد كانت في غرب إفريقيا، ومجاهلها. ورحلات ابن بطوطة على الرغم من عدم دقتها إلى أنه لا غنى عنها بالنظرلاحتوائها على بيانات وافية منها يمكن الاعتماد عليه، ولقب الرحالة أبن بطوطة بـ" **شيخ الرحالة العرب** " الذي طاف بالعالم القديم وجاب إفريقيا وعبرالصحراء، حتى إلى حوض النيجر، ومربكثيرمن المدن والقرى الإفريقية ووصف كل ما شاهده في رحلته، ونقل جانب من الحياة الاجتماعية والسياسية.

وفي السنوات الأولى من النصف الأول من القرن العاشرالهجري ، السادس عشرالميلادي هناك رحالة جغرافي مهم اسمه الحسن الوزان الملقب بـ" ليون الإفريقي " والذي قام برحلته إلى بلاد السودان في عام 917هـ / 1511م، جمع لنا معلومات مهمة عن مواقع المدن السودانية ، وخصائصها، بالإضافة إلى وصف السكان، وعاداتهم، وكان كتابه تحت عنوان " **وصف إفريقيا** " .

إن أبرزما يلفت انتباهنا،أن مصادرنا العربية لم تكن لتعتبر أبدا الصحراء حاجزا بين إفريقيا الشمالية، وإفريقيا جنوب الصحراء، فهذه الكتابات التي وصلت إلينا من الجغرافيين، تؤكد أن الطريق عبرالصحراء كان طريقا طبيعيا، وطريقا للتبادل التجاري والتأثيرالحضاري.هؤلاء المؤرخون العرب كان لهم الدورالبارز في كشف إفريقيا، وخير ما نستدل به ما قاله الدكتورقوامي نكروما[1] في خطاب ألقاه في يوم افتتاح المؤتمرالدولي

---

(1) الدكتور قوامي نكروما ، رئيس جمهورية غانا ، ولد نكروما في 21 ديسمبر 1909 ، بقرية نكروفول بالمنطقة القريبة من ساحل الذهب (غانا حاليا) ،... حصل على درجة ماجستير في الآداب ، وفي الفلسفة ، وماجستير في العلوم السياسية من جامعة بتسلفانيا ، عمل محاضرا في جامعة لنكولن في العلوم السياسية عام 1943م ، ... حصل على درجة دكتوراه في الدراسات الاقتصادية ، ... وفي عام 1948 م نفي نكروما من أكرا مع غيره من الزعماء الوطنين ، وأفرج عنه عام عام1951م، وأصبح رئيسا للوزارة ، استقلت بلاده في مارس عام 1958. محمد أبو الفتوح الخياط ، **الوحدة الإفريقية** دارالمعارف بمصر، 1965 ،ص 108، ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الأول للصحفيين الإفريقيين بجامعة غانا في الثاني عشر(12) من ديسمبر سنة 1962م. **قال :" أن الرحالة العرب كثيرا ما كانوا غيرمتحيزين في أعمالهم عن إفريقيا** ، ويقول **نحن مدينون لهم فيما كتبوه عن ماضينا ... "**[1].

رابعا : المراجع الحديثة باللغة العربية :

هي كثيرة، وتأتي قيمتها العلمية في كونها من الكتب، التي إلفها مختصون في إفريقياجنوب الصحراء؛ وجاءت مشبعة بالتحليل، والتوثيق.

وفي مقدمة هذه الكتب، كتب أستاذي الجليل الدكتورعبدالقادرزبادية ، الذي كان من المهتمين بالبحث في التاريخ الإفريقي، وكان هذا بعد تخرجه من جامعة بغداد سنة 1961م. وكان منهجه في الكتابة هوعرض الحقائق لذاتها بعد تمحيصها بقدرالإمكان وهذا ما جعل جل كتاباته خالية من الغموض والخيال ، فهي حقائق تاريخية علمية ، ولم يكتف بسرد الوقائع ، وإنما بحث أيضا في الأسباب والنتائج. واعتمدت على ثلاثة من كتبه الكتاب الأول "**مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493- 1591)م** " هذا الكتاب يتناول تاريخ مملكة سنغاي من بداية حكم الأسقيين إلى غاية سقوطها.

وقد عالج العديد من الجوانب منها: الحياة السياسية والإدارية ، وكذا الأوضاع الحضارية والاجتماعية ، وختم دراسته بنظرة في الحالة الاقتصادية ، وقبل هذا عرج على التحديد الجغرافي لبلاد السودان الغربي قبل حكم الأسقيين . وهناك كتاب آخر بعنوان " **الحضارة العربية والتأثيرالأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء** "، وهو في الحقيقة مجموعة من النصوص، والدراسات، فهذان الكتابان متخصصان في دراسة جزء من تاريخ ومنطقة إفريقيا جنوب الصحراء وقد استفدت منهما كثيرا. بالإضافة إلى المخطوط الذي حققه أستاذنا،وجاء في كتاب تحت عنوان " **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**" لمحمد بن عبد الكريم المغيلي. وهناك دراسة مهمة للأستاذ الهادي المبروك الدالي بعنوان " **التاريخ السياسي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من القرن 15م إلى القرن 18م**"

---

(1) محمد أبو الفتوح الخياط ، المرجع السابق، ص 15 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فالأستاذ وضع بين أيدينا مجموعةمن المخطوطات التي لم تكن معروفة من قبل، والتي لم يسعفني الحظ في إيجادها ، وهذا لعدة أسباب ، وهذه الدراسة.جاءت مليئة بالتحليل والتوثيق.

كما برزأيضا على المستوى الأكاديمي الدولي، هيئة اليونسكو، التي تبنت في عام 1964م، مشروع إعادة كتابة تاريخ إفريقيا، ركزت على ضرورة النظرإلى إفريقيا ككل وتجنب التمييزبين إفريقيا شمال الصحراء،وإفريقيا جنوب الصحراء وجاء المشروع في تسجيل تاريخ إفريقيا في سبعة(7) مجلدات،مبتدئة من عصرما قبل التاريخ في إفريقيا إلى غاية إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية(1880- 1935)م. وكان كل مجلد يشرف عليه مختص في الدراسات الإفريقية المجلد الأول أشرف عليه المؤرخ كي- زيربو. والمجلد الثاني أشرف عليه الدكتورجمال مختار. أما المجلد الذي استفدت منه،فهوالمجلد الرابع " **إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م** ، أشرف عليه ج . ت . نياني، هذه المجلدات عبارة عن مجموعة من المقالات كتبها أساتذة ، ودكاترة مختصون في البحث التاريخي الإفريقي وصدرت هذه المجلدات في عام 1988م.

واعتمدت على العديد من المراجع، وأغلبها مراجع عامة، قد عرجت على الموضوع وذكرت بعض المعلومات المهمة، والتي أفادتني كثيرا في إعداد هذه المذكرة .

خامسا : المصادروالمراجع باللغة الأجنبية :

المصادروالمراجع باللغة الأجنبية هي عديدة، كتبها أوربيون من مختلف الجنسيات غيرأننا نميزمنها ما يمكن أن نصنفه ضمن المصادرالثانوية،وذلك لأنها درست وعالجت الموضوع في القرن التاسع عشر(19م) ، أي بعد ثلاث قرون من دراستنا هذه فهؤلاء المؤرخون الأوربيون زاروا مدينة تنبكت لاكتشافها ، ومعرفة خباياها ، وكل واحد وطريقته التي دخل بها إلى المدينة فمنهم من تخفى في لباس عربي مسلم ، مثل: الرحالة الفرنسي **رينيه كالييه Réne Caillie** ، هذا الرحالة قدم معلومات هامة عن مدينة تنبكت موقعها، وتجارتها ورخائها، ويصف التجارالوافدين إليها، والسلع التي يحملونها على قوافلهم ، كما يصف مساجدها بدقة متناهية من حيث مادة البناء ، وعدد المداخل لكل مسجد وعددها الإجمالي ، والأعمدة التي تقوم عليها ، وكان دخوله إلى تنبكت في 20

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أفريل 1828م . وتتجلى أهمية كتابه في وصفه لمدينة تنبكت ، التي هي محورالرحلة وصفا دقيقا ، ويعتبركتابه مصدرا هاما في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة وتنبكت بصفة خاصة ، وكانت دراسته تحت عنوان :

"Journal d'un Voyage à Tombouctou et à Jenné dans L'Afrique Centrale "

أما الانجليز فحاولوا الوصول إلى مدينة تنبكت،وتحقيق هدفهم في عام 1853م، وذلك بإرسالهم الدكتورالألماني **هنري بارث**، الذي استقبله شيخ قبائل كونتا أحمد البكاي كونتا أثناء فترة حكمه على تنبكت ، وحماه من الطوارق ، ومن قبائل البولا،وكان دخوله إلى المدينة في 7 سبتمبر 1853م ، وغادرها في 7ماي 1854م ، وقد وصف المدينة . وجاءت دراسته مليئة بالمعلومات القيمة، فقد وصف الأبنية ، والشوارع ، وكذا المساجد الموجودة في المدينة وأعطى إحصائيات قيمة حول عدد سكان المدينة ، وعدد المنازل الجيدة ، والمهدمة . وتكلم بارث عن التجارة وأهم المنتوجات الموجودة هناك وقد أكد بارث على صدق كل المعلومات التي جاء بها الرحالة الفرنسي رينيه كالييه وبارث تمكن من العثورعلى نسخة مخطوطة من كتاب تاريخ السودان ، ولاشك أنه انتفع به في رحلاته الواسعة ، وجاءت دراسته بعنوان :

"Travels and Discoveries in North and Central Africa"

وهناك دراسة للفرنسي **فيلكس ديبوا Dubois Felix** ،الذي دخل المدينة ضمن قافلة عسكرية فرنسية وهذا بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة عام 1894م .ودراسته جاءت عنوان: **"Tombouctou la Mystérieuse** " صدرهذا الكتاب بعد ثلاث سنوات من احتلال المدينة .تنكت العجيبة، التي حاول ديبوا إزالة الغموض عنها حيث تناول بالدراسة المدن النيجيرية "جني- تنكت -...،وغيرهما". وإمبراطورية سنغاي من النشأة إلى غاية الاحتلال أوالغزوالمغربي لها ، ثم وصل في دراسته إلى مدينة تنبكت ، والتي وصفها بالعظيمة، وعاصمة الصحراء السودان ، وتنبكت المقدسة . وصف شوارعها ومنازلها وأكد على أن المدينة كبيرة وغنية بأدبها وقصصها ، ودرس التطورالسياسي للمدينة على مرالقرون من التأسيس إلى غاية بداية مرحلة الانحطاط ،كما جاء في كلامه يقصد الغزوالمغربي عام 1591م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بالإضافة إلى العديد من الكتب الأخرى تناولت تاريخ هذه المدينة ، والغزوالمغربي لها من هذه الكتب ، كتاب موريس دولافوس بعنوان:

"Haut Sénégal Niger" ، وهناك دراسة مشابهة لبوبو حما Boubou Hama بعنوان: **"Histoire des Songhay"** هذان الكتابان تحدثا عن تاريخ مدينة تنبكت وركزا دراستهما على الغزوالمغربي على إمبراطورية سنغاي ، وقد أخذا كثيرعن السعدي " تاريخ السودان ". وهناك كتاب للجنرال الفرنسي فيدرب Faidherbe بعنوان:

" **Le Sénégal la France dans l'Afrique Occidental"**

ودراسة للمؤرخ الإنجليزي سبنسر ترمنجهام " Spencer Trimingham " بعنوان **"History of Islam in West Africa"**. بالإضافة إلى العديد من الكتب الأخرى لكن هذه الكتب لا تخرج في الحديث عن مدينة تنبكت عن أصل التسمية، والموقع الجغرافي والتطورالتجاري. وقد استفدت منها كثيرا.

سادسا : **المراجع الأجنبية المترجمة :**

وقد اعتمدت على عدة كتب مترجمة إلى اللغة العربية ، ومن أهمها:

كتاب " **الإسلام الأسود**" ترجمه إلياس حنا إلياس ، للمؤرخ فنسان مونتاي فرنسي الجنسية ، اعتنق الإسلام ، وعاش في إفريقيا محاولا كشف أسرارهذه القارة الغامضة مونتاي اقترب من مسلمي إفريقيا السوداء ، استند إلى مئات المصادروالمراجع في سبيل تناول الحقائق التاريخية من مصادرها ، وليخلص بحثه بأن الإسلام في القارة الإفريقية هو دين ديناميكي حي يتقدم باستمرار، ولا يعاق تقدمه، وأورد بعض المعلومات القيمة حول مدينة تنبكت. كما استفدت من كتاب " **إفريقيا تحت أضواء جديدة** " لبازل دافيدسون

سابعا : **المجلات والموسوعات باللغتين العربية والأجنبية:**

اعتمدت على عدد من المقالات العربية والأجنبية ، وأهم هذه المجلات ، مجلة المؤرخ العربي ، تصدرعن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد، العدد الحادي والثلاثون (31) هناك مقالتان ، مقال لمحمد مزين بعنوان " **المغرب وبلاد السودان خلال القرنيين 16 و 17 الميلاديين** ، ومقال لرزوق محمد " **العلاقات العربية الإفريقية في القرن السادس عشر (16)م (الوجود المغربي بالسودان الغربي كنموذج)**".ومجلة البحوث

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

التاريخية ، العدد الأول والثاني ، بالنسبة للعدد الأول هناك مقال ماري بيرنبـــام " **مدينـــة تمبكتو في أواخرالقرن التاسع عشر المـــيلادي ، وعلاقتهـــا الاقتـــصادية والـــسياسية بالأرياف** ". أما في العدد الثاني،فهناك مقال لأحمد الفيتوري ، تحدث فيها عـــن الجاليـــات العربية المبكرة في بلاد السودان دراسة أولية ، وبعض الملاحظات.

وهناك المجلة التاريخية المصرية ، تصدرعن القاهرة ، العدد العـــشرون فيهـــا مقـــال بعنوان " **عبدالرحمن السعدي،عصره وكتابه (تاريخ الـــسودان)** " ، هـــذا المقـــال درس السيرة الذاتية لمؤرخ مدينة تنبكت .

واستفدت من مقال يتحدث عن دورالعرب في نشرالحضارة في غرب إفريقيا في نفس المجلة لكن العدد الرابع عشر.

وهناك مجلات أخرى ، مثل مجلة الأصالة بها مقال بعنوان " **عملية نشرالإسلام فـــي إفريقيا السوداء ، ودورجامعة تومبوكتو** " ، للمؤرخ عنتا ديوب . ومجلة الـــدارة التـــي أفادتني كثيرا، فيها مقال لأبي بكر إسماعيل محمد ميقا بعنوان " **تاريخ الثقافة الإســـلامية والتعليم في السودان الغربي من القرن الربع الهجري حتى مطلع القرن الثالـــث عـــشر الهجري** " .

ولا أنسى المجلة التاريخية المغربية ، تصدرها الشقيقة تونس ، العـــدد7– 8 جـــانفي 1977م ، جاء فيها مقال لأستاذنا الفاضل الدكتوعبدالقادرزبادية بعنوان " **ملامح الحركـــة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر** "، هذا المقال اعتمدت عليه كثيـــرا فـــي بحثي هذا المتواضع ، تناول هذا المقال الحركة التعليمية دراسة وافية تحليلية دقيقة.

وهناك مجموعة من المقالات باللغة الأجنبية، مقال للمؤرخ سينيكي سيوكو Sékéné Mody Cissoko ، وعنوان المقال:

"La Vocation Culturelle de Tombouctou à L'unité du Monde Africain"

في مجلة "La Culture Africain"." ومقال في مجلة " Hespéris" للمؤرخ كاسترو Castries,(H) بعنوان:

" La Conquête du Soudan par El-Mansour (1591).tome3."

تحدث كاستروعن الغزوالمغربي على السودان الغربي عام 1591م، من بداية المناوشات بين المغرب ومملكة سنغاي، احتلال العاصمة غاو، ومدينة تنبكت، بعد أن تطـــرق إلـــى

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كيفية التجهيزللحملة، والطريق الذي سلكته الحملة، وختم دراسته بتقييم مـــشاريع مـــولاي أحمد المنصور، التي رأى أنها فشلت، وترتب عن ذلك قلة الأمن، والنفقات الكبيرة التـــي صرفت، لشراء الأسلحة، وبناء القصبة في تنبكت، وغيرها. وهناك مقال لموريس بيتـــر Maurice Bitter بعنوان:

" Tombouctou Capitale du Connaissance du Monde"

وفي الختام يغمرني الأمل أن تساهم هذه الدراسة المتواضعة فـــي التعريـــف بتـــاريخ مدينة تنبكت،تعريفا من شأنه أن يقرب إلى الدارسين،والباحثين،وغيرهم تاريخها، ويعكس رؤية واضحة عن ماضيها،وحسبي أني كشفت معالم الطريق لمزيد من البحث،والدراسة. والمجال مفتوح أمام الباحثين في زيادة البحث عن تاريخها،بالإضافة إلـــى تـــاريخ ودور بعض المراكزالسودانية الأخرى والتي لا تقل أهمية عن مدينة تنبكت،هذه المراكزلعبـــت دورا اقتصاديا،وثقافيا من اجل تنمية المنطقة،ونذكرمن هذه المراكزمدينـــة جني،وقـــاو... وغيرهما.

لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص شكري إلى أستاذي الدكتورعبدالقادرزبادية،الذي منحني كل جهده،في التصحيح الأول لكن ظروفه الصحية حالت دون إكمال التصحيح الثاني،وهنا يعود الفضل إلى الدكتورخالد صابرالشريف،الذي ساعدني كثيرا من خلال توجهاته.

وأشكر الدكتوربن يوسف تلمساني الذي هوالأخرأعانني كثيرا ووضع بعض كتبه تحت تصرفي.

ولا أنسى شكري،وامتناني لجميع الأخوة،والزملاء،والزميلات الذين قـــدموا لـــي يـــد المساعدة مهما كان نوعها،وأخص بالذكرزميلي ورفيق دربي غربي الحـــواس.وحمـــداني محمد علي الأمين، و بايزيد، وحاجي حمزة ، والأستاذ طاوسي محمـــد، أتمنـــى للجميـــع مزيدا من النجاح والتفوق.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الأول

نشأة المدينة وتطورها

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الأول
- نشأة المدينة وتطورها -

1- إشكالية التسمية ونطقها.

2- نشأة المدينة.

3- الموقع الجغرافي للمدينة.

4- التركيبة الاجتماعية للمدينة.

5- التطورالعمراني للمدينة.

6- التطورالسياسى للمدينة.

6-1- تنبكت في عهد حكم مملكة مالي.

6-2- تنبكت في عهد حكم طوارق مغشرن.

6-3- تنبكت في عهد حكم سني علي.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1- إشكالية التسمية ونطقها:

إن أول ما يعترض الباحث في تاريخ مدينة تنبكت الإسلامية ، هوأصل التسمية وكيفية نطقها .

فيما يخص الملاحظة الأولى، قامت مدينة تنبكت الإسلامية حول بئر ماء كانت تقف عندها الإبل بالقوافل التجارية؛ لتروي عطشها، وتتزود منها ، وتملأ منها قربها ، وكانت تقيم عند هذا البئرعجوز تدعى بوكتو، وعرف المكان باسمها ، ونطقت تينبوكتو[1].

أورد عدد من المؤرخين، أن كلمة تينبوكتو مركبة من كلمتين هما: "تين" وتعني باللغة الطارقية "مكان "،و" بوكتو"هواسم تلك العجوز[2]. هذه العجوزاشتهرت بالأمانة [3]. وكانت تقيم في ذلك المكان، وكان الطوارق، وأهل المنطقة القادمون من أماكن بعيدة يستأمنونها في تخزين مؤنهم، وبعض الأشياء الأخرى، التي كانوا في غيرحاجة لنقلها معهم إلى مناطق استقرارهم في الشمال ، وكان عندما يصل الطارقي إلى موطنه الأصلي يسأل، أين أمضيت فترة الجفاف ؟ أو أين لجأت بقطعان ماشيتك أثناء سفرك ؟ أو أين خبأت أمتعتك ؟ يقول : وضعتها عند " تين – بوكتو "، ومع مرورالزمن اندمجت الكلمتان معا فأصبحت "تين بوكتو" ، ثم تمبكنو و تنبكت ، وبذلك سميت المدينة[4].

ولا يزال مكان بوكتوالعجوزالطارقية ، التي ينسب إليها اسم المدينة موجودا، وهو حاليا عبارة عن مثلث يقع في قلب المدينة القديمة[5].

نستنتج من خلال كل ما سبق،إن مدينة تينوكتو أو تيمبوكتو أخذت اسمها من عجوزذات أصل بربري، كان الطوارق يتركونها لتحرس لهم أمتعتهم، وأدواتهم خلال غيابهم عنها.

---

(1)عمربن سالم بابكور،**النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن العاشرالهجري/السادس عشر الميلادي**، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية،2004،ص1.

(2)John Marriner , **Sailing to Timbuctoo** , William kimber, London , 1973. p.173.

(3)Dubois, (F),op.cit. p.262.

(4)علي عبد اللطيف،المرجع السابق ، ص85 ومابعدها.

(5) John, (M) ,Ibid. p.181.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أما فيما يخص الملاحظة الثانية، فإن الاختلاف وقع في حركات الكلمة بين من يقول بضم التاء الأولى،والثانية فنطقت " تنبكت "،وهذا كما جاء في المصادر السودانية،تاريخ السودان للسعدي،وكذلك في كتاب الفتاش لمحمود كعت،وأيضا في كتاب نيل الابتهاج وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج،لأحمد بابا التنبكتي،وكذلك وجدت في كتاب تذكرة النسيان في تاريخ ملوك السودان لكاتب مجهول ومن يقول بضم التاء وسكون الباء الموجودة،وسكون الكاف،وضم التاء الثانية بعد الواو فنطقت " تنبكتو"،نطقها ابن بطوطة بهذا اللفظ ، في كتابه تحفة النظارفي غرائب الأمصاروعجائب الأسفار وفي الحقيقة،أن هذه اللفظة هي أقدم صيغة وردت لاسمها في رحلته رحلة ابن بطوطة.أما الحسن الوزان فنطقها " تومبكتو" في كتابه وصف إفريقيا،ونطقها صاحب كتاب إفريقيا كربخال مارمول " تمبكتو" تارة ، وتارة أخرى " تنبكتو".

أما الباحثون المعاصرون، فنطقوها " تمبكتو" بالتاء ،والميم، منهم:عبد القادرزبادية إسماعيل العربي،آدم عبد الله الالوري ... وغيرهم. أما الأوربيون فنطقوها بالتاء،والميم أيضا منهم : ديبوا، بارث ، رينيه كالييه ..وغيرهم. والنطق للكلمة يتغيرخلال اللغات فباللغة الفرنسية تنطق "توميكتو" Tombouctو " وباللغة الإنجليزية " تيمبوكتو" " Timbouctoo "، أما في لغة سنغاي فنطقت "تومبوكتو"[1].

وفي الأخير نقول، أنه وقع اختلاف في نطق الكلمة، فهناك من يقول تنبكت وأخر يقول تنبكت وأخر يقول تومبكتو ... الخ،غير أننا نميل إلى لفظ " تنبكت" كما جاء في المصادر السودانية.

---

(1)Sekené Mody Cissoko,**Tombouctou et L'Empire Songhay**, nouvelles éditions Africaines Dakar,Abijan,1975,p.17.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2- النشأة:

بعد أن بحثنا في أصل التسمية، ورأينا اختلاف الكتاب في شكل كتابة اسمها، ونطقها. وسنتطرق الآن إلى تاريخ نشأة المدينة وعلى يد من انشئت؟.

اختلف عدد من المؤرخين في تاريخ نشأة المدينة. عبدالرحمن السعدي ، يرى أن المدينة أنشئت على أيدي طوارق مغشرن ، في أواخرالقرن الخامس الهجري الحادي عشرالميلادي ، هؤلاء كانوا ينزلون بها في فصل الصيف ، ثم يرتحلون في فصل الخريف ، ومنه اختاروا موضع هذه البلدة الطاهرة الزكية[1].

أما الحسن الوزان الغرناطي، فيقول أن المدينة بناها ملك يدعى منسى سليمان في عام 600هـ/1204م[2] ، أما مارمول فيوافقه في مؤسسها، ويختلف معه في تاريخ قيامها يرى أنها تأسست في 610هـ/ 1200م ، غيرأن هذا الأخير يبدوأنه غيرمتأكد[3].

هذان الرأيان الأخيران مردودان على صاحبيهما ، لأن الملك منسى سليمان ، حكم مملكة مالي في عام 742هـ/1341م ، وأستمرحكمه إلى غاية 762هـ/1360م [4]. أما المؤرخ فيج فيرى أن المدينة أقيمت في سنة 1100م من قبل الطوارق [5]. الذين هاجروا بقطعانهم جنوبا من أروان[6] في الإقليم الشمالي،واستخدمت في البداية كمضرب خيام موسمي في الصيف، ثم كمستودع لحفظ الأغذية،والموادالتموينية الأخرى[7].

---

(1)عبدالرحمن السعدي ، المصدرالسابق، ص.20.

(2)الحسن الوزان ، **وصف إفريقيا** ، ترجمة عبدالرحمن حميدة ، راجعه علي عبد الواحد ، المملكة العربية السعودية دون تاريخ ، ص.539 .

(3) مارمول كربخال ، **إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي ومحمد زيبر وآخرون ، 3اجزاء ، دارنشرالمعرفة ،الرباط، 1989 الجزء 3 ، ص.201.

(4) الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشرإلى بداية القرن الثامن عشر**، الطبعة الأولى، الدارالمصرية اللبنانية، 1999، ص63.

(5)Fage (W) , **History of west Africa** , Cambridge At the university, press ,1969 . p.22.
Boubou (H) , **Histoire des Songhay** , by présence Africaine, paris , 1968 . p.321.:ينظرايضا

(6)أروان.مدينة تقع إلي الشمال من مدينة تنبكت، احتضنت صفوة من علماء السودان.مولاي أحمد بابير الاروانى **السعادة الابدية في العريف بعلماء تنبكت البهية**،تحقيق الهادي المبروك الدالي ، الطبعة الأولى ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، بنغازي،2001.ص48.

(7) ماري بيرنبام، " **مدينة تمبكتو في أواخر القرن التاسع عشر** "، مجلة البحوث التاريخية ، يناير 1989، العدد الأول ص. 98.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أما الباحث الإنجليزي سبنسرترمنجهام، فيرى أن تاريخ نشأتها كان في أواخرالقرن الخامس الهجري في سنة 490هـ / 1097م [1] ، في عهد يوسف بن تاشفين[2].

أختلف المؤرخون في تحديد تاريخ نشأتها، يقول البعض أن ذلك كان في القرن 5هـ/11م ، أما البعض الآخر فيقولون في نهاية القرن 6هـ /12م .ونحن نميل إلى رأي عبدالرحمن السعدي الذي يرى أن تاريخ نشأتها كان في أواخرالقرن الخامس الهجري الحادي عشرالميلادي،وذلك لأنه أبن المدينة،ويعرفها أحسن من غيره.

ويتضح من خلال هذه الاختلافات،أن المدينة انشئت على يد الطوارق ، طوارق مغشرن، ولا يختلف اثنان في كون الطوارق هم مؤسسو تنبكت الأوائل[3].ويقول المؤرخ سينكي مودي سيوكو، " ...نسلم اليوم ، تبعا لتاريخ السودان الغربي ، يقول ، بأن تنبكت كانت قد تأسست في بداية القرن5هـ/11م من طرف قبائل الطوارق..."[4].

3- الموقع الجغرافي:

لاحظنا أن الطوارق هم آباء مدينة تنبكت ، وهم مؤسسوها ، أي لهم الفضل في إقامتها بعد أن كانت مجرد خزانة لزروعهم، وأمتعتهم .

مدينة تنبكت ، مدينة تقع في أول السودان الغربي [5] ، على الحافة الجنوبية للصحراء

---

(1) Trimingham,(S),**History of Islam in west Africa** , , oxford university press, ,n.d.p.31.
الباحث: قمت بتحويل **السنة الهجرية إلى السنة الميلادية، والعكس**، معتمدا في ذلك على **العملية الحسابية** التالية:
السنة الميلادية= السنة الهجرية x 32/33+622.
السنة الهجرية=33(السنة الميلادية-622)/32.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش ، **دورالمرابطين في نشرالإسلام في غرب إفريقيا (1038-1121)هـ** ، الطبعة الأولى دارالغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988، ص.163.

(3) John ,(M) , op.cit.p.173.

(4) Sekené,(M,C), op.cit.p.17

(5) لوثروب ستودارد،**حاضرالعالم الإسلامي**،ترجمة عجان نويهض،الطبعة الرابعة، دارالفكر،المجلد الثاني،ص318.
ينظرعبدالقادر زبادية في تعريف السودان الغربي يشمل حوض السنغال الأن، وغامبيا، وبوركينافاصو'دلتا العليا سابقا' والنيجرالأوسط :**مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591)م**، المؤسسة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر. دون تاريخ ،ص11.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الكبرى قريبة من خليج النيجر" نهرالنيجر"[1]. تقع على الضفة اليسرى منه[2]،على ارتفاع 245م من مستوى النهر[3]، بينها وبين النهرفي فصل الصيف مسافة ستة عشر(16) ميلا،أي نحو(26كلم) تقريبا[4], وفي فصل الخريف يقرب إليها ماءالنهريصبح على بعد سبعة (7) أميال،أي نحو(11كلم) تقريبا، وفي فصل الشتاء يصل ماء النهر إلى القرب من المدينة ،وبالتالي يسهل حركة السفن الصغار[5]. وبالتالي تستفيد من مزايا نهرالنيجر وذلك في النقل النهري، وهي بعيدة عنه بالكفاية ، بحيث تجنب الفيضانات العارمة التي اشتهربها النهر[6].

تقع المدينة على خط العرض الشمالي 16^0 – 43'، وخط الطول الشرقي5^0 [7]. وهناك من يقول أنها، تقع على خط عرض17^0–40'، وخط طول3^0– 50'[8]. رغم اختلاف الباحثين في تحديد موقعها الفلكي، إلا أنها،مدينة نمت من أصولها المتواضعة، ثم أصبحت ذات مكانة مميزة بفضل موقعها الجغرافي الفريد لوقوعها بين الصحراء الكبرى، والساحل السوداني الغربي الشمالي، فهي بذلك نقطة التقاء، وتقارب بين الشمال والجنوب[9]. والمدينة هي بناء على جانبين من واحة متجهة شرق– غرب، وعلى الميل الجنوبي لثاني واحة موازية للأولى وبالشمال منها. الشكل العام للمدينة هو واحد من مثلث قاعدته بالجنوب[10]،(انظرالمخطط رقم: 01)، ومحيطها نحو3أميال[11] ،أي نحو(5 كلم)تقريبا.

---

(1) مولاي أحمد بابير الأرواتي،المصدرالسابق، ص45.

(2)Faidherbe, (L) **Le Sénégal la France dans l'Afrique occidentale**, libraieie hachette et c^{ie} paris paris,1889,p.349.

(3)Oskar Lanz,**Timbouctou voyage au Maroc au Sahara et au Soudan**,paris,1887,p.147

(4)هذه القياسات حسبتها انطلاقا،من:**1 ميل يساوي 1609مترا تقريبا** .

(5) مولاي أحمد بابيرالاروانى، نفسه،ص45.

(6) إسماعيل العربي ، **الصحراء وشواطئها**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983،ص312.

(7) Hacquard,(A), **Monographie de Tombouctou**,Société des études coloniales & maritimes,paris,1900.p.1.

(8)Barth, (H),**Travels and discoveries in north and central africa,**vol3, London ,1859, p264.

(9)Boubou,(H),op.cit.pp321-322.

(10) Hacquard,(A), op.cit.p.1.

(11) البستاني ، البستاني بطرس ، **دائرة المعارف البستاني** ، بيروت ، 1886، مج 6، مادة تنبكتو،ص210.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

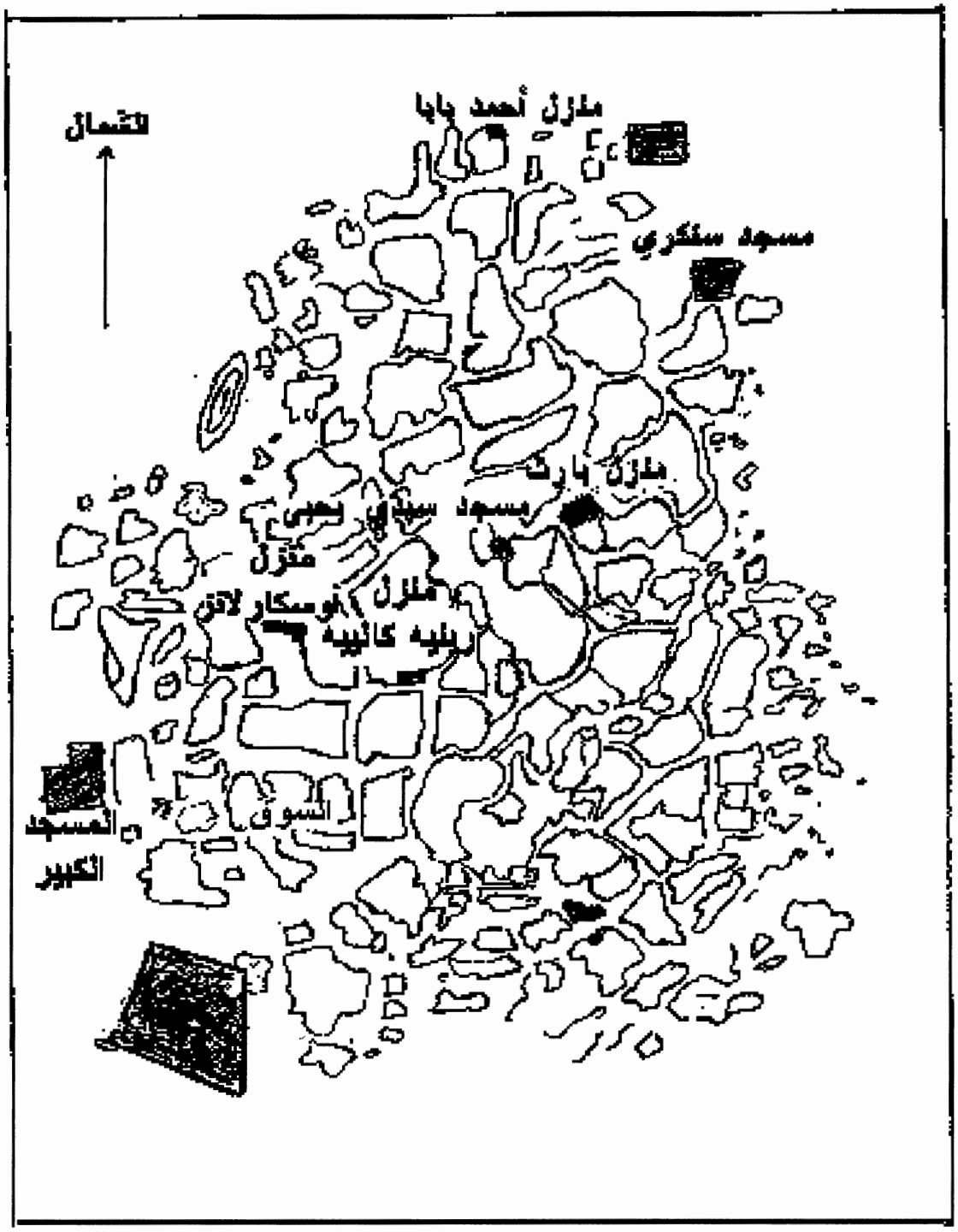

المخطط رقم01:مخطط تقريبي لشكل مدينة تنبكت في أواخر القرن19م.

(بتصرف) Dubois,(F),op.cit,p.385

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والمدينة مقسمة إلى العديد من المناطق قسمها العالم النمساوي،الدكتورأوسكارلانز،الذي زارالمدينة في عام 1297هـ/1880م، وبقى بها ثلاث أسابيع، إلى سبع (7) مناطق وهي:

1-حي سنا قونقو Sanegoungou، إلى الجنوب الشرقي من المدينة، ويقطنه تجار غدامس.

2-حي يوبو YouBou،وفيه سوق يوبوyoubou، ومسجد،ويقع هذا الحي غرب حي سناقونقو.

3-غرب حي يوبو، يوجد حي سنقوربيرأو(ديجنقر) Sanguereber.ويحمل هذا الحي أسم الجامع الكبير.

4-وشمال حي سناقونقو يوجد حي سارا كينا Sarakaina.

5- حي بيري كوندا Biricounda، وبه سوق اللحوم.

6-حي باقيندي Baguindi.

7-حي سنكوري Sankoré.[1].(انظرالمخطط رقم : 02).

هذه الأحياء عامرة بمختلف السكان، ومن أصول مختلفة[2]. وهي نقطة بحثنا في العنصر الموالي.

من خلال الدراسة السابقة، يلاحظ أن مدينة تنبكت تحتل موقعا استراتيجيا،فهي تقع بالقرب من نهرالنيجر، يعني الاستفادة من مياهه. وهي بمثابة همزة وصل بين دول شمال الصحراء، ودول جنوب الصحراء،لوقوعها على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى.

---

(1)Oskar,(L),op.cit.p.150.

اختلف المؤرخون،والباحثون في نطق هذه الإحياء ، فمثلا:حي سناقونقو(Sanegoungou) نطقه الباحث Sekené mody cissoko سنكي مودي سيسوكو بـ: سناقونقون(Sanegoungoun)،وكذا حي يوبو (youbou)،نطقه بـ:يوبو بير(Youbou-Ber)،وحي سنقوربير او (ديجنقر)(Sanguereber)، نطقه حنقر بير(Jinguere-Ber)،وحي ساراكينا(Sarakaina)،نطقه (Sarekeina)،وحي بيري كوندا (Biricounda)، نطقه(Binicounda)،وحي باقندي(Baguindi)، نطقه (Badjnde)،ينظر : .Sekené,(M,C),op,cit.p.243.

وحي سنكوري(Sankoré)، نطقه المؤرخ فليكس ديبوا بهذا اللفظ، ينظر:.Dubois,(F),op.cit,p.385

(2)Hacquard,(A),op.cit.p.1.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

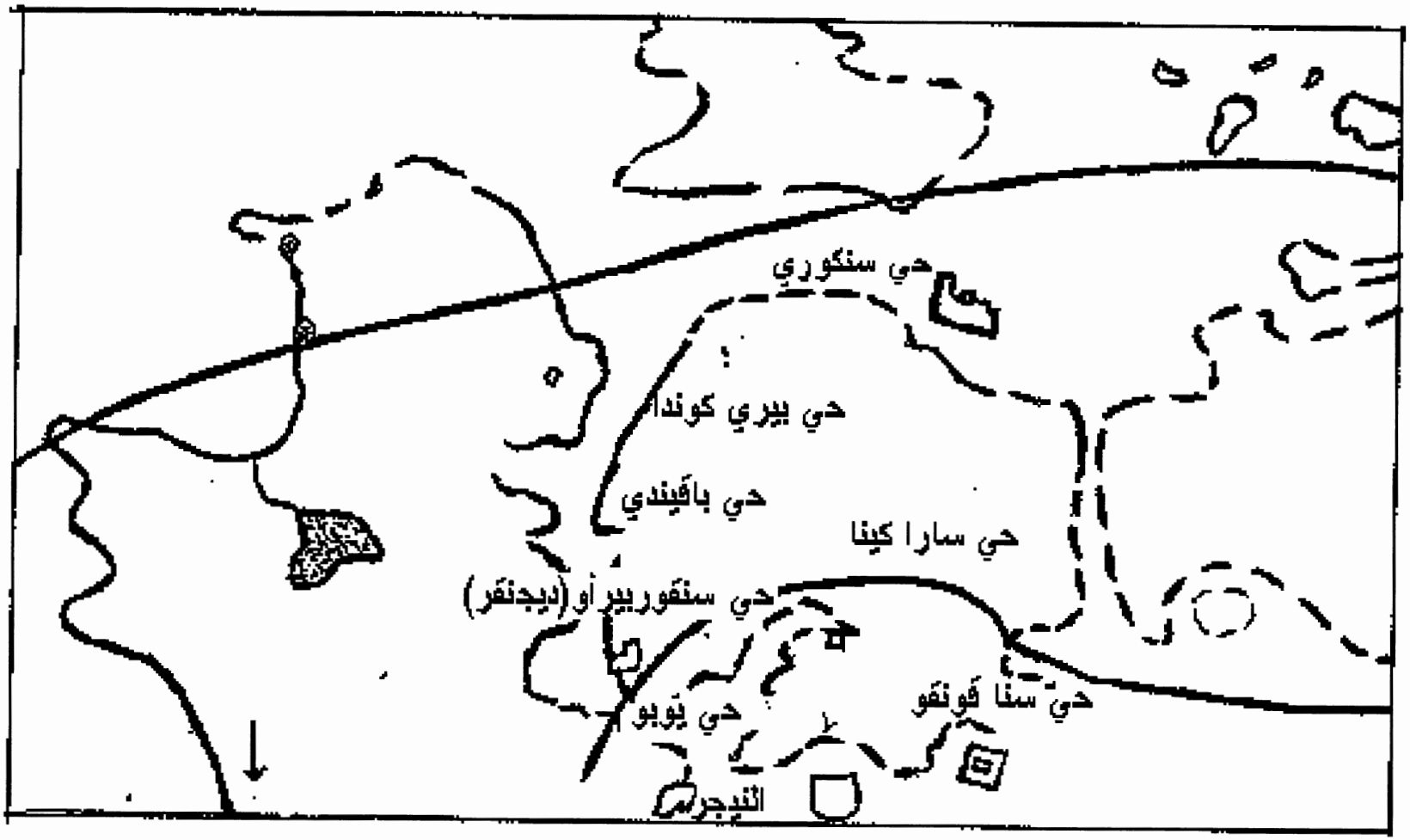

المخطط رقم02: مخطط تقريبي لأحياء مدينة تنبكت (بتصرف)

Sekens,(M,C),op,cit.p.243.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4- التركيبة الاجتماعية:

رأينا في الفقرة السابقة، أن مدينة تنبكت تحتل موقعا استراتيجيا ، وقد مكنها موقعها المتميز إن تصبح مقصد العديد من الأجناس.

أكد عبدالرحمن السعدي، أن المدينة سكنها الأخيارمن العلماء، والصالحين، وذوي الأموال من كل قبيلة، ومن كل بلاد، من أهل مصر، ورجل ، وغدامس، وتوات، ودرعة وتفلالة، وفاس،وسوس[1]،وبيط ، وانتقل الجميع إليها وسكنوا فيها، وزيادة على ذلك قبائل صنهاجة بأجناسها[2]، إضافة إلى ذلك سكنها علماء قبائل جدالة العربية ، وعلماء كونتا القادمون من إدرار الذين جاؤوا تنبكت بعد أفول ولاتة[3]، واستقروا هناك. وهناك سكان محليون قدموا من مختلف مناطق السودان الغربي ، حيث أقاموا مواقع لسكنهم فيها بهدف الاستقرار الدائم[4].

وانبث المرابطون في القرى، يعلمون القرآن، والكتابة بالعربية، وكان أبناء المشايخ يأتون إلى تنبكت لتحصيل العلم، هذا كان من جهة البربرالذين زحفوا من الشمال. أما العرب ، فإن إحدى فصائل بني هلال تقدمت من نواحي طرابلس إلى واحة ودان[5]، ومن هناك إلى ولاتة ثم تقدمت نحوالسودان، فتلاقت مع البربرالآتين من الشمال الغربي واختلطت بهم[6]، حدثت هناك مصاهرة بين السودانيين، والعرب، والبربر، المقيمين عندهم، لاسيما الأغنياء منهم، فكانت المصاهرة تتم حتى مع ملوك السودان، فقد قام أحد ملوك مالي بتزويج ابنتيه من أخوين من المغرب، كما أن زعيم اللمتونين أبا بكربن عمر فاتح بلاد السودان، قد زوج إحدى بناته لأحد ملوك مالي أيضا[7].

---

(1)عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق،ص21.ايضا .Dubois,(F),op.cit.p.264

(2)نفسه ، ص21.

(3)ولاتة هي إحدى مدن جمهورية موريتانيا حاليا، ولكن لم يرد تاريخ يحدد تأسيسها.الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص305.

(4)علي محمدعبداللطيف، المرجع السابق،ص86.

(5)ودان تقع جنوب مدينة صرت، وهي منطقة بها نخل، وذات عمارة.الشريف الإدريسي،**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية،دون تاريخ،ص312.

(6)لوثروب ستودارد، المرجع السابق، ص 361.

(7)الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص 541.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وحدثت مصاهرات بين المغاربة من فاس، وأهالي تنبكت، فقد أورد محمود كعت زواج الشريف الحسني أحمد الصقلي في تنبكت، من امرأة عربية من أهل تافلالت اسمها زينب فولدت له مزوار، ومحمد، وسليمان،ورقية،وزينب[1].

في القرن7هـ/13م، هاجرأهل كونتة وغيرهم من بلاد توات إلى الجنوب، وبنوا في تنبكت المدارس،والرابطات مما لمعت به تلك المدينة طويلا، ومن هؤلاء الكونتة البكاءون الذين اشتهروا في جهات تنبكت[2]. واستقربها الكثيرمن التجارالتواتيين حتى أصبحت الجالية التواتية هناك من أكبر، وأنشط الجاليات، وكان دورالفقهاء التواتيين لا يقل أهمية عن دورالتجار[3].

يذكرالمؤرخ فليكس ديبوا في كتابه تمبكتو العجيبة، الذي زارالمدينة في نهاية القرن التاسع عشر(19)م، إن حيا بكامله داخل المدينة كان يترأسه التجارالقادمون من طرابلس،كما أن حيا بكامله بالمدينة كان معروفا بإسم حي الغدامسية، نسبة إلى مدينة غدامس[4]:يعد ذلك الحي أرقى أحياء المدينة،وأجملها،ونتيجة لذلك فقد اختارته العساكر المراكشية عندما احتلت تنبكت لبناء القلعة،سنرى هذا في الفصل الرابع، فليس غريبا إذن أن ينال أفراد الجالية الغدامسية أهمية وحظوة فعندما توفى فياض الغدامسي ، خرج للصلاة عليه أشهرفقهاء تنبكت.احتلت الجالية الغدامسية أهمية كبيرة، وذلك مرجعه إلى الأثرالتجاري المهم والعريق الذي أسهم به أفراد تلك الجالية[5].

---

(1)محمودكعت، المصدرالسابق، ص 23.

(2)لوثروب ستودارد، **حاضرالعالم الإسلامي**،ترجمة عجان نويهض،تعليق الأميرشكيب أرسلان، الطبعة الثالثة،دار الفكرالعربي ، دون تاريخ، المجلد الثاني، الجزء الثالث،ص45.

(3)فرج محمود فرج ،**إقليم توات خلال القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين**،ديوان المطبوعات الجامعية،2007،ص125.

(4)Dubois,(F),op.cit.p345.

(5)أحمدالفتوري،"**الجاليات العربية المبكرة في السودان دراسة أولية وبعض الملاحظات**"، مجلة البحوث التاريخية،1981،العدد الثاني،جويلية،ص 250.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهناك أيضا مجموعة من البرابيش،الذين يقيمون بالمدينة،هؤلاء سكنوا تنبكت خلال منتصف القرن10هـ/16م[1]. ويوجد عدد من تجارولاتة الذين رحلوا إلى تنبكت بعد قيام هذه الأخيرة[2].

وهناك عناصرمن المورين الأندلس منهم المهندسون وملاك القصور[3]، ومنهم التجار[4]، ومنهم الشعراء، والباحثون الذين فروا من الأندلس حاملين معهم الثروات الثقافية الغرناطية والقرطبية[5].

هناك عائلة عربية في تنبكت تدعى توري،والتي كانت تلقب بتوري العرب، كونها تعد من أحفاد العرب،أومن أحفاد أولئك المسلمين الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام،كما يؤكد سكان المنطقة. أن معظم من يحملون لقب توري بتنبكت،ينحدرون من سلالة الجنود الذين جاؤوا مع الجيش المغربي إلى السودان الغربي خلال حملة الباشا جودر [6]،هؤلاء يدعون اليوم بـ"أرما"[7]،من أهل مراكش،أوالفاسي 'من فاس'،أوالفيلالي'من تافيلالت' وهم يتكلمون لغة السنغاي[8].

وإذا انتقلنا في الحديث عن صفات، وعادات أهالي تنبكت، نقول أن لأهل تنبكت طبعا مرحا، ومن عاداتهم التريض في المدينة أثناء الليل بين الساعة الثانية والعشرون والواحدة صباحا، وهم يعزفون على الآلات الموسيقية ويرقصون، ويعمل في خدمة سكان المدينة

---

(1)ماري بيرنبام،مجلة البحوث التاريخية،المرجع السابق،ص100.
(2)الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص536.
(3)Dubois,(F),op.cit.p.256.
(4) Caillié René, **Journal d'un voyage a Temboctou et à jenné dans l'Afrique Centrles** tome2, éditione anthraopos, paris,p.306.
(5)John ,(M),op.cit.p.175.
(6) شعباني نورالدين،**علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرني(4-9)هـ،(10-15)م**،رسالة ماجستيرغير منشورة ،جامعة الجزائر، السنة الجامعية2005م-2006م،ص 200.
ينظركاتب مجهول في تعريف الباشاجودرهو فتى قصيرازرق،وهو أول باشا من مراكش...،استمرت فترة حكمه9اشهر،دخل تنبكت وبنى القصبة.مجهول،**تذكرة النسيان في أخبارملوك السودان**،نشره هوداس،باريس،1899،ص3 ومابعدها.
(7)أرما، وهوجيل هجين، نشأ من تناسل أفراد الجيش المغربي، مع سودانيات.محمد بن عبد الكريم المغيلي،**أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق عبدالقادرزيادية ، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،1974. ص16.
(8) قنسان مونتاي،**الإسلام الأسود**،ترجمة إلياس حنا إلياس،الطبعة الأولى،دارأبعاد بيروت ،1983،ص60.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الكثيرمن الرقيق بين رجال ونساء[1]. ويحبون الخروج بعد الظهررغم حرارة الجو فبعضهم يتنزهون على أحصنتهم في الشوارع،أما العلماء فيرتكزون على عصيهم،ويشكلون مجموعات صغيرة[2]. ولا يخفى ما في أهلها من السماحة،وحسن السياسة،والرياضة،لاغلظة فيهم،ولاغظاظة لا ينكرون عادة غريب ، ولا ينقصون أجنبيا ولا غريبا[3].

أما لباسهم،فهي ألبسة نظيفة[4] ومعظمهم يلبسون ثيابا ملونة باللونيين الأبيض والأزرق، ولربما كان بعضها من المنسوجات المحلية.وكانت الشوارع مزدحمة بالمارة.أما النساء فغالبا ما يرتدين الثوب الأبيض'بوبوس'، وكانت الزينة تتخذ من النحاس، وهناك من النسوة من تضعن سوارا من الفضة في أيديهن،وحلقات من الحديد،والفضة في أرجلهن[5]. أما النسوة الثريات فلهن بعض المجوهرات من الذهب كأقراط الأذنين[6]،والكهرمان والشعرالمظفر، بينما تتبسط نساء رجال الدين في ملابسهن وغالبا ما يتخذ من الحجاب أوالخمار[7]. ويلبسن الفساتين الجميلة المطرزة، والديسا 'Dissas' المزينة التي ترمى على الكتف مثل العباءة. والنساء يتركن الذهب، والعنبر قبل الذهاب الى السوق وعند جلب الماء[8].

وبالنسبة للأحذية، الشكل العام للحذاء هوالحذاء العربي،من نوع الخف،مصنوع من الجلد الأصفربالنسبة للرجال، والأحمربالنسبة للنساء، وأحذية أخرى مزينة بالحرير،ونعل رقيق.

---

(1) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص542. ينظرأيضا: مارمول، المصدرالسابق، ص2003.

(2) Sekenè,(M.C),op.cit.p.172.

(3) مولاي أحمد بابير، المصدرالسابق، ص49 .

(4)Caillie,(R),op.cit.p.319.

(5) ماري بيرنبام،مجلة البحوث التاريخة، المرجع السابق، ص99 .

(6)Caillie,(R),Ibid.p.331.

(7)ماري بيرنيام، نفسه، ص99.

(8) Dubois,(F), op.cit.p.278.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أما الأثرياء فيلبسون الأحذية الكبيرة 'Boute' الحمراء، والصفراء. وعدد من السكان يلبسون أحذية بنعل من جلد البقر، ويسمى 'تيجلامبو' 'Tjelambou'[1].

مدينة تنبكت في القرن 10هـ/16م،هي شهادة لحياة التحضر،فالمدينة كانت جد حيوية،هناك مظاهرالزواج مع الطبل، والرقصات الليلية، والأناشيد ، وهناك اثنان من الحفلات الكبيرة في السنة العيد الكبيرالمسمى عندهم تاباسكي 'Tabaskie'، وهوحفل إسلامي في مصب نهرالنيجر،وبالخصوص تنبكت، وكذلك تخلد المولد النبوي الشريف[2].

أما بالنسبة إلي عدد السكان، في القرن 9هـ/15م فبلغ عدد السكان 25.000 نسمة[3]

أما في القرن 10هـ/16م فقدرالباحث سينكي مودي سوكوعدد سكان المدينة في ذروة مجدها بحوالي 80.000 نسمة، وهذا في عهد الأسكيا داوود (1549- 1583)م[4].

أما المؤرخ فليكس ديبوا فيقدرعدد السكان في مرحلة الأوج بـ 40الى 50 ألف نسمة[5].

أما الباحث عمارهلال فقدرعدد سكان المدينة في عهد الأسقيين بما يقرب 30.000 نسمة[6].

أما في القرن التاسع عشرالميلادي، الرحالة الأوربي بارث، فيقدرعدد سكان المدينة بما يزيدعن 15.000 نسمة، وفي بعض المناسبات يزيد عن 10.000 نسمة، وفي حين بعض الأحيان يصلون إلى 13.000 نسمة[7].

---

(1)Hacquard,(A), op.cit.pp.28 -30.

(2)Sekené,(M,C), op.cit.p.171.

(3)Jean Suret Canale,**Afrique Noire Occidentale et Centrale,** éditions sociales,paris,n,d p.181.

(4) سينكي مودي سيسوكو ، **الصنغي من القرن12م إلى القرن 16م،تاريخ إفريقيا العام**، اليونسكو1988،المجلد الرابع ص217. ينظرعبدالقادرزبادية في التعريف بشخصية أسكيا داوود (1549- 1582)م حكم أسكيا داوود عرش سنغاي 33عاما، وهومن أبرزالسلاطين من أل سنغاي...، وقد أشتهربحنكته السياسية.المرجع السابق، ص 45.

(5)Dubois,(F),op.cit.p.302

(6) عمارهلال ، **الطرق الصوفية ونشرالإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر،دون تاريخ،ص76.

(7)Barth,(H),op.cit.p.325.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفي فترة الغزوالفرنسي على المدينة عام 1312هـ/1894م، قل عدد سكانها إذ أصبح عدد السكان يتراوح مابين 5 إلى 6 آلاف ساكن[1]، أو 8 آلاف نسمة[2].وفي أواخرالقرن التاسع عشر، انخفض العدد إلى 5 – 4 آلاف نسمة[3].

ومما تقدم يمكن القول، يبدو أن أفراد الجالية الغدامسية،والتواتية يشغلون مراكزإجتماعية، وسياسية مرموقة إضافة إلى دورهم التجاري والثقافي.

– أن سكان مدينة تنبكت هم خليط من عناصر مختلفة عرب– بربر وأهالي من السودان الغربي، هؤلاء استقروا بالمدينة وتزاوجوا فيما بينهم، وبالتالي اختلط الدم العربي أو البربري بدماء السودانيين .

– أهل تنبكت لطفاء، ولهم طبع المرح. يلبسون ألبسة جميلة ومتنوعة .

– تمكنا من معرفة بعض المصطلحات المعروفة عندهم،مثل: تيجلامبو،و الديسا،وتاباسكي.

– أن عدد السكان اختلف من فترة لأخرى، ذلك بحسب الظروف، وهذه الإحصائيات متغيرة غيرثابتة، فالسكان يتزايدون اعتبارا من مجرى فصل الأعمال التجارية، وتوارد الطلبة لنهل العلم من مدارسها، وجامعاتها.

---

(1)Sékéné (M,C) ,**"La vocation culturelle deTombouctou à l'unité du monde African"**,in Revue Le Culture Africaine,21juillét-1 aout 1969.p.222.
(2)Dubois,(F),op.cit.p.325.
(3)Hacquard,(A),op.cit.p.24.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

5- التطورالعمراني للمدينة:

أما بالنسبة للعمارة، فإن أول الحال كانت مساكن الناس عبارة عن زريبات الأشواك وبيوت الأخشاش، ثم تحولوا عن الزريبات إلى الصناصن، ثم تحولوا إلى بناء الحيوط أسوارا قصارا جدا، بحيث من وقف في خارجها يرى ما في داخلها، وتكاملت في البناء في أواسط القرن العاشرالهجري في مدة أسكيا داوود بن الأميرأسكيا الحاج محمد [1].

في أوائل القرن السادس عشرالميلادي، زارالمدينة الرحالة الحسن الوزان، ووصف بيوتها على أنها أكواخ مصنوعة من أعمدة مطلية بالطين مع سقوف من القش، وهناك قصركبيرقد بناه مهندس من الأندلس حيث يسكن الملك[2]. وربما كان يقصد قصر مادقوMadougou، شيد هذا القصرعلى يد شاعرالأندلس أبوأسحق إبراهيم الساحلي [3].

أورد الباحث جيمس غراي جاكسون، أن المدينة محاطة بسورعظيم، يصل ارتفاعه أثني عشر(12) قدما(3.96م)، وهو قوي بما فيه الكفاية لحماية المدينة.وبه ثلاث (3) أبواب: الباب الأول، وهو 'باب الصحراء' ، وموقعه شمال المدينة، وهو يؤدي إلى الصحراء الكبرى. والباب الثاني،وهو 'باب النيل' يقصد بالنيل – نهرالنيجر–، ويقع جنوب المدينة وهو يؤدي إلى نهرالنيجر.أما الباب الثالث فهو' باب القبلة' الواقع شرق المدينة وهذه الأبواب تغلق كل مساء بعد غروب الشمس بفترة وجيزة، والأبواب مصنوعة من الأخشاب و مبطنة بجلود الإبل[4].هذا السورحطمته قبائل الفولان عند غزوهم المدينة عام 1242هـ/1826م[5].

---

(1)عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق،ص 21 ومابعدها.

(2)الحسن الوزان ، المصدرالسابق، ص 540 .

(3)Sekené,(M-C),Tombouctou et l'empire songhay,p.33.

ينظرابوبكرإسماعيل محمد ميقا في تعريف أبو إسحاق إبراهيم الساحلي شاعرالأندلس المهندس المعماري، المتوفى في تنبكت عام 1346م،وكان السلطان منسى موسى قد تعرف عليه بمكة خلال حجه ، ودعاه إلى بلاده، وصحبه في عودته، وهوالذي ادخل هندسة البناء،وزخرفته إلى السودان،"**تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي من القرن 4هـ حتى مطلع القرن 13هـ**"، مجلة الدارة،ربيع الأول،1993،العدد الثاني،223.

(4) Janes Grey Jackson,**An Account of Timbuctoo and Hausa**,London,1820,pp.9-10

(5)ماري بيرنبام،مجلة البحوث التاريخية، المرجع السابق،ص99.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بارث– أحد اؤلئك الزوار، يقول إن الأبنية مبنية من الطين، ذات أشكال وأحجام مختلفة[1]، ومصطفة في شوارع منتظمة[2] .وبعضها منخفض وبعضها عال، وبعضها مزخرف وبعضها محاط بأكواخ قش[3]،وشوارعها ضيقة، وطويلة وبها متاهات مستعصية، ومجالات غيرمتوقعة[4]،أما رينيه كاليه فذهب إلى وجود شوارع واسعة[5].وصف بارث المنزل الذي سكن فيه، إذ يقول:"**منزل يشرف على منظرجميل للجوانب الشمالية للمدينة،وكان يرى من منزله جامع سنكوري، يقول، الذي يعد من أهم مساجدها وجوامعها**"[6].

وها هوالباحث هاسكواردHacquard يصف لنا أحد هذه المباني، إذ يقول:" **يعلق في الباب حلقة من حديد،... وتوجد أول غرفة التي يقال لها سيفاSifa لاستقبال الضيوف ثم يوجد بهو محاط بغرف خاصة بالنساء، وفي الطابق الثاني، توجد غرف قد يصل عددها أثنين أوثلاث، وهناك غرفة مخصصة لاستقبال الأصدقاء، والأشخاص المميزين**" لكن لا يمكن الاعتقاد أن كل المنازل تملك هذا الطابق، الطابق الثاني، ولا توجد المباني ذات ثلاث طوابق. إلى جانب آخرهناك أكواخ القش،يسكنها العبيد، والفقراء وليست غالبا مبنية من خيام الجلد[7]، وإن وجدت فهي ذات شكل دائري تقريبا[8]، وهي منخفضة جدا الأثاث يتكون من أواني الطبخ[9]، الأطباق تصنع من الخشب، ولا يستعملون الملاعق

(1)Barth,(H),op.cit.p.302.
(2)Dubois,(F),op.cit.p.269.
(3)Barth,(H),. op.cit p.303.
(4)Maurice Bitter, " **Tombouctou Capitale du desert**",in Revue Connaissance du monde, France,n 22, 1960, p.26.
(5)Caillie,(R),op.cit.p.311.
(6)Barth,(H),.p op.cit.303 .
(7)Hacquard,(A),.op.cit.pp.6.
(8)Caillie,(R), Ibid..p.311.
(9)Hacquard,(A),. Ibid.p.7.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ولا الأشواك[1]،وصناديق مصنوعة من الحطب توضع فيها الألبسة، والأشياء الثمينة فضة أوصيغ(صيغة). السريرمن القش[2]، ويتركزالسريرعلى أربعة أرجل ويضعون عليه الحصائر،أوجلود البقر، أما الأثرياء فيفرشون أسرتهم بالافرشة القطنية،أو الصوفية،أوالمصنوعة من جلود الجمال[3]، وبعض الأغطية موضوعة على حصيرة أو على كارا Kara منصة مصنوعة من الحطب، وهناك وسائد،وحصائر، وأغطية مصنوعة من الصوف، وهي ذات ألوان متعددة[4]. هذه الأكواخ توجد على الأطراف الشمالية،والشرقية للمدينة، وهى تشكل امتدادا للمدينة شمالا، سكنها البلاه [5]أوالعبيد من الطوارق.

وهناك الأسواق، مثله السوق الكبيرالمسمى يوبو- باريYobou-ber[6]، بالإضافة إلى المخازن، والمستودعات، وأحياء للأجانب المقيمين،والعديد من الحوانيت، والورش الصناعية[7].

أماعدد المساكن المبنية، والمهدمة، فقد اختلف المؤرخون في إحصائها.أفاد الباحث جيمس غراي جاكسون، أن عدد المنازل في مدينة تنبكت،في أواخرالقرن الثامن عشر،بحوالي 1800منزل[8]. أما الرحالة الألماني بارث، فقد أكد على أن البيوت التي كانت في حالة جيدة بما يربوا 980 منزلا، وبضع مئات من أكواخ مخروطية، التي سبق وأن أشرنا إليها.أما الدكتورأوسكار لانز فيرى أن عدد المنازل يقدر بـ3500منزلا،ومعظم السكان يتمركزون في الجزء الجنوبي من المدينة[9].

---

(1)Caillie,(R),op.cit.p319.
(2)Hacquard,(A),op.cit.p.7.
(3)Caillie,(R), Ibid.pp.319-320.
(4)Hacquard,(A), Ibid.p.8.
(5)البلاه، هم عبيد ولدوا في معسكرات الطوارق، وهم نتاج تزاوج الطوارق مع السود.هؤلاء كانوا، يؤدون جميع الأعمال،حتى أنهم عملوا في جيوش الطوارق،وكانوا مشهورين بالإخلاص لسادتهم.ماري بيرنيام،المرجع السابق ص106.
(6)Hacquard,(A),Ibid, p.1.
(7) ماري بيرنيام،مجلة البحوث التاريخية، المرجع السابق، ص 98.
(8)Janes,(G-J),op.cit.p.17.
(9)Oskar,(L),op.cit.p.150.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ويوجد في المدينة ثلاث مساجد كبرى، مسجد جنكربير،ومسجد سنكري،ومسجد سيدي يحيى[1]،هذه المساجد سنتطرق إليها بشئ من التفصيل في الفصل الثالث.

والمدينة كثيرة التعرض لخطرالحريق، في الوقت الذي كان حسن الوزان فيها، شب حريق أتى على نصف المدينة في فترة خمس ساعات، وكانت الريح عاتية، وأخذ سكان النصف الثاني من المدينة في إخلاء أمتعتهم خوفا من أن تحترق أجسامهم كلها[2].

ما يمكن استخلاصه أن المدينة عرفت تطورا ملحوظا في الجانب العمراني.

- وجودعدد كبيرمن المنازل ذات طابق أرضي، وأخرى ذات طابقين، بالإضافة إلى وجود مساجد وأسواق.وهناك أكواخ منتشرة يسكنها العبيد والفقراء، في الجهة الشمالية والشرقية.

6- التطورالسياسي للمدينة:

بعد دراسة التطورالعمراني للمدينة، ندرس الآن التطورالسياسي لمدينة تنبكت،إذ وقعت تحت سيادة العديد من القوى.

المؤرخ السوداني عبدالرحمن السعدي، يلخص هذه القوى المتعاقبة على حكمها ويعطي مدة حكم كل قوة، يقول: أن أول من ابتداء الملك في تنبكت هم أهل ملى، ودولتهم استمرت مائة(100) عام، وتاريخها من (737-837)هـ،(1337-1434)م، وبعد أفول هذه القوة. سيطرعليها طوارق مغشرن مؤسسوها، ابتداءا من عام837هـ/1434م واستمرحكمهم إلى غاية عام873هـ/1468م، ثم استولى عليها سني علي، وابتدأ الحكم في عام873هـ/1468م، واستمرحكمه 24سنة، وتاريخه (873-898)هـ،(1468-1492)م، ثم سيطرعليها أميرالمؤمنين أسكيا الحاج محمد[3]،حكم الأسقيين، ومدة حكمهم

---

(1)Barth,(H),op.cit.p.325.

(2) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص 542.

(3)أسكيا(اسقيا)الحاج محمد الأول سراكولي الأصل،وكان أجداده قد هجروا من الجنوب الموريتاني الحالي،...وسكنت حول النيجرالأوسط وامتزجت في قبيلة سنغاي،...أصبح الاسقيا محمد احد الضباط البارزين في جيش الأمير سني علي،...وفي سنة 1493 قام الأسقيا محمد بثورة ضد سني علي،واستولى على عرش سنغاي،فبدأ منذ ذلك الوقت عهد الأسقيين في سنغاي الذي استمر حتى سنة 1591. محمد بن عبد الكريم المغيلي،المصدرالسابق،ص10 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

100عام،(898-999)هـ،(1493-1591)م،وبعد ذلك سيطرعليها الشريف الهاشمي السلطان مولاي أحمد الذهبي عام999هـ/1591م[1].

6- 1- تنبكت في عهد مملكة مالي[2] (737- 837)هـ،(1337-1434)م:

السلطان منسى موسى[3]هو أول الملوك الذين حكموا تنبكت ،وجعل فيها خليفة له،وابتنى بها دارالسلطنة "دارالسلطان"[4]، وحظيت تنبكت بعناية منسى موسى ، الذي انطلق منها في رحلته إلى الحج الشهيرة، وهذا كبادرة على إشهارها، وتكريما لها[5]،ويقال أنه أخذ معه نحو 10 إلى 12 طن من الذهب لتغطية نفقات سفره[6]، وبعد عودته من الحج اصطحب معه شاعرالأندلس أبوإسحاق إبراهيم الساحلي، السابق ذكره،والمعروف بالطويجن[7]، الذي كلف ببناء مسجد ضخم بالمدينة، ليكون ملتقى لعلماء المدينة وأئمتها،ولباقي علماء المنطقة[8]، أطلق عليه اسم مسجد جنكر بير(سبق ذكره) ومعناه الجامع الكبير، كما كلف ببناء القصرالملكي مادقوMadougou [9]. (سبق الإشارة إليه). وكأفاه السلطان على هذا العمل بما يبلغ 65الف جنيه[10]. أما عبدالرحمن بن خلدون فيقول

---

(1) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق،ص7 ومابعدها.

(2)مملكة مالي تأسست على انقاض إمبراطورية غانا عام(636-653)هـ،(1238-1255)م على يد قبائل الماندوجو بقيادة سندياتا كيتا الذي هزم قبائل الصوصو في معركة كبرينا،أشهر ملوكها منسى موسى،سقطت على يد الملك سني علي عام 1664م. الهادي المبروك الدالي محقق، مخطوط السعادة الأبدية لمولاي أحمد بابير الاروانى،ص 54 ومابعدها.

(3)منسى موسى اختلف عدد من المؤرخين في اسمه فمنهم من أطلق عليه موسى ابن أبي بكرالأسود...،ومنهم من أطلق عليه موسى بن أبي بكر...،وهناك من سماه بـ:منسى موسى بن أبي بكر،..واشتهر باسم منسى مسى أو كنكه موسى، ومنسا في لغة الزنج تعني ملك وموسى اسمه،أما لقبه كنكه موسى فكنكه اسم أمه،وهوما درج عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الابن إلى أمه. الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشرإلى بداية القرن الثامن عشر** ،ص56 ومابعدها.

(4) عبدالرحمن السعدي، نفسه ،ص22.

(5)علي محمد عبداللطيف،المرجع السابق، ص88. ينظرأيضا:.Trimngham,(S),op.cit.p.78

(6)Hubert,(D),**Histoire générale de l'Afrique noire**;tome1:des origines à1800,paris,p 192.

(7)عبدالرحمن بن خلدون،**العبروديوان المبتدا والخبر**،7اجزاء،دارالفكرللطباعة والنشروالتوزيع،بيروت ،2000،الجزء 6،ص267.

(8)Sekené,(M-C),Tombouctou et l'empire Songhay,p.33.

(9)Boubou,(H),op.cit.p.322.،ينظرأيضا: علي محمد عبداللطيف،المرجع السابق،ص 88 ومابعدها.

(10)آدم عبد الله الالوري،**موجزتاريخ نيجيريا**،منشورات دارمكتبة الحياة،بيروت،1965،ص156

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أن السلطان كافأه باثني عشرألفا (12.000) مثقال من التبر[1]، وأصطحب منسى موسى عددا من رجال الدين،والتجار[2].ولما توفى السلطان بعد خمسة وعشرين(25)سنة من حكمه،خلفه ابنه منسا مغا حكم أربع(4)سنوات،ولما هلك خلفه منسا سليمان بن أبي بكر وهوأخو منسا موسى،وحكم أربع وعشرين(24)سنة[3]. بنى منسا سليمان المساجد والجوامع،والمنارات، وأقام بها الجمع،والجماعات والآذان،وجلب الفقهاء من مذهب مالك- رضي الله عنه-[4].

زارالرحالة المغربي الشهيرابن بطوطة مدينة تنبكت سنة 753هـ/1352م، برفقة جماعة من تجارسجلماسة،وذكرأن أهلها كانوا من المسلمين، وكانت قبيلة من مسوفة سيدة القبائل فيها،وبهذه البلدة قبرالشاعرأبي إسحاق الساحلي الغرناطي(سبق ذكره)،وبها قبرسراج الدين بن الكويك[5]من كبارتجارالإسكندرية ،ووجد أن الحياة آمنة[6]،رغم تعرضها للنهب من طرف قبائل الموسي عام 1337م[7]،أما كورنفان Cornevin فيرى أن قبائل الموسي نهبوا المدينة عام 733هـ/1333م[8].

بعد وفاة منسى سليمان،بدأت المملكة في الضعف، وأصبحت تعاني من الاضطرابات التي مافتئ المتنافسون على العرش من بين أفراد الأسرة الحاكمة يثيرونها[9].

خلاصة القول،أن مدينة تنبكت عرفت ازدهارا علميا وعمرانيا في عهد مملكة مالي خاصة في فترة حكم

---

(1)عبدالرحمن بن خلدون، المصدرالسابق،الجزء6، ص268.

(2)Hubert,(D),op.cit.p.193.

(3)عبدالرحمن بن خلدون،المصدر السابق ،الجزء4، ص201.

(4) أحمد بن علي القلقشندي،**صبح الأعشا في صناعة الأنشا**، تعليق وشرح محمد حسين شمس الدين،15جزاء، دار الكتب العلمية، بيروت ،دون تاريخ،الجزء5،ص285.

(5) سراج الدين بن الكويك: هوأحد كبارتجارالإسكندرية، سلف مال لسلطان منسى موسى أثناء حج هذا الأخير،يقول، أن سراج الدين ذهب إلى تنبكت لاسترجاع ماله، فكان من القدر موته في تلك الليلة التي وصل فيها. ابن بطوطة، المصدر السابق،ص 694 ومابعدها.

(6)ابن عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي،**رحلة ابن بطوطة**،دارصادر،بيروت،1964،ص694.

(7)Sekené,(M,C),Tombouctou et l'empire Songhay,p32.

(8)Cornevin Rober,**Histoire de l'Afrique**, tome1, paris,1962,p.360.

(9) عبدالقادرزبادية، **الحضارة العربية والتأثيرالأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**،دراسات ونصوص المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989،ص19.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

منسى موسى، وأخوه منسى سليمان،بناء المساجد،جلب الفقهاء وبالتالي أصبحت عامـــرة عامرة برجال العلم.

6-2- تنبكت في عهد طوارق مغشرن (837-873)هـ، (1434- 1463)م:

في آخردولة مالي، أخذ طوارق مغشرن يغيرون عليها،ويفسدون في الأرض من كل جهة ومكان[1]،هؤلاء أعادوا احتلالها بحجة أنهم أول من أسسها، فبعد هجمات عديدة على حصونها، وقلاعها سيطرالطوارق عليها[2]، بينما الباحث الإنجليزي ترمنجهـام يـرى أن الطوارق احتلوا المدينة دون أي مقاومة، وفرضوا سـيطرتهم عليهـا[3]، وأثنـاء تـولي الطوارق لإدارة شؤون مدينة تنبكت ساد العدل، والأمان مرة أخرى، كما اسـتتب الأمـن على قوافل التجارة القادمة منها، والمتوجهة إليها من شمال إفريقيا، واشتهرحاكمها في تلك الفترة عقيل أغ ملوك، باحترامه، وتبجيله للعلماء، ووفرلهم فرص مواصلة القيام بواجباتهم على أحسن وجه، وفي نهاية حكم الطوارق للمدينة، سادت الفوضى في المدينة حيث بـدأ حكامها من أسرة اغ ملوك في آخرعهدهم يتطاحنون على السلطة، وهو الأمر الـذي أدى إلى تدهورالتجارة ، وكساد أموالها، ووصل الأمربأحد سلاطين نهاية تلـك الفتـرة مـن الطوارق إلى مضايقة علمائها، ووعاظها، بل مارس ضدهم التعذيب، والاعتقال الأمرالذي دفعهم إلى الاستنجاد بسلطان مقاطعة مالية كانت يومها تـنهض بـبطء ، لتأخـذ مكانـة إمبراطورية مالي الآفلة، وهى سنغاي[4].

في الختام نقول،أن مدينة تنبكت في فترة حكم طـوارق مغـشرن واصـلت تطورهـا، وازدهارَها بعد أن شهدت حالة عدم الاستقرارفي نهاية حكـم إمبراطوريـة مـالي،إلا أن الطوارق أعادوا استقرارها وأمنها،إلا أن هذا الاستقرارلم يدم طويلا فسرعان مـا بـدأت الاضطرابات في حكمها ، وتصارع أفراد أسرة آل اغ ملوك، حتى سيطرت عليهـا قـوة جديدة هى سنـغاي.

---

(1)عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص22.

(2)علي محمدعبداللطيف، المرجع السابق،ص89.

(3)Trimngham,(S),op.cit.p.74.

(4) علي محمدعبداللطيف ،نفسه، ص 89 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

6-3- تنبكت في عهد مملكة سنغاي[1]:

في عهد حكم سني علي (873- 898)هـ،(1468- 1492)م:

استجاب سلطان سنغاي يومها، وهو سني علي بير، والذي يعني اسمه(المنقذ الكبير علي)، سني علي قام بالهجوم على الطوارق في تنبكت، فتغلب عليهم وأخضع المدينة لنفوذ دولته الوليدة، وما حدث هنا بالنسبة لسكان المدينة، وعلمائها، اتضح أنهم استنجدوا بطاغية دموي مارس على المدينة وأهلها حكما إرهابيا،حيث بدأ عهده بمطاردة علماء المدينة، ووعاظها،وشيوخها[2]، بالإضافة إلى النهب، والسلب[3]،استمرحكمه لأكثرمن ثلاثين(30)عاما[4] .يقول عنه السعدي، أنه ظالم،وفاجر... تسلط على العلماء، والصالحين بالقتل و الإهانة، والإذلال... تملك العباد، والبلاد...،دخل تنبكت في عام 873هـ/1468م[5].أما محمود كعت،فيقول عنه، أنه فاجر،فاسق[6]. المؤرخان السودانيان السعدي وكعت أعطيا صورة غاية في البشاعة عن شخصية سني على.

وفي المقابل، امتدحه عدد من المؤرخين القدامى من أمثال حسن الوزان، الذي قال في حق سني علي،كان رجلا عظيما[7].

أما الباحثان مونتاي، وبازل دافدسون، فقد اتفقا على أن سني علي ، شخصية قاسية،شجاعة، متمرسة بالحرب، والفتوحات، استقل قوته، ومهابته فوسع من رقعة مملكته فأضاف إليها تنبكت[8]. يقول المؤرخ محمود كعت، أن سني علي بعث برسوله إلى بلد

---

(1) نسبةالى قبيلة سنغاي، وهى قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال حول جوانب النيجر، وفي القرن 7م كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي 150كلم،أما الأن فان السنغائيين يبلغ تعدادهم حوالي 65.000 نسمة، ويتوزعون بين جمهورية النيجر،ومالي.عبدالقادر زبادية،المرجع السابق،ص25.

(2) علي محمدعبداللطيف ، المرجع السابق،ص92.

(3)Faidherbe,(L).op.cit.p.352.

(4) علي محمدعبداللطيف، نفسه،ص92.

(5)عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص64 ومابعدها.

(6)محمود كعت، المصدرالسابق،ص43.

(7) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص536.

(8) بازل دافيدسون، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**،ترجمة،محمد جمال الدبن، دارالثقافة للنشروالتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ص159.ينظرأيضا:مونتاي،المرجع السابق،ص88.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تنبكت، ليأمر أهلها بالرحيل عنها، رسول سني علي، أخرج سيفا ، وقال: هذا سيفه! من بات في البلد هذه الليلة سأذبحه بسيفه... فما كان كلمح البصرحتى رحل الجميع، بعضهم من لم يحمل عشاء ليلته، وبعضهم لم يأخذ فراشا، ومنهم ماش، وله خيل في داره تركه توهما منه أن ربط السرج أمره. يطول ومنهم من خرجوا وما قفلوا أبواب بيوتهم،وبات أكثرضعافهم ومشايخهم، ومرضاهم الذين لم يجدوا من يحملهم،والعمى لا فائدة له ،وما وصل وقت المغرب حتى خلت تنبكت من كل أحد[1].

خلاصة القول، خضعت مدينة تنبكت لنفوذ سني علي،الذي نعتته المصادر السودانية بنعوت ذميمة،يا ترى هذه النعوت تتماشى وتصرفاته؟،أم أنها نابعة من عدم اهتمامه،ورعايته للعلماء عكس السلاطين السابقين منهم: منسى موسى،وأخوه منسى سليمان عن مملكة مالي،وسلطان الطوارق عقل أغ ملوك،والسلاطين اللاحقين،أسكيا الحاج محمد الكبير،وأسكيا داوود بن الحاج محمد.

المهم أن مدينة تنبكت تعاقبت عليها العديد من القوى السياسية، فمرة يرتفع مجدها وتعلو ذروتها، ومرة أخرى تنتشر فيها الفوضى، وتشهد حالة من الأمن.لكن مع نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشرالميلادي، عرفت ازدهارا، وتطورا في مختلف مناحي الحياة السياسية،والاقتصادية،والثقافية في ظل حكم الأسقيين دام حكمهم 101سنة. ونحن سنركز دراستنا على هذه الفترة بالذات، خاصة فترة حكم أسكيا الحاج محمد الذي حكم مابين (899-935)هـ ،(1493- 1528)م، حكم دام 35سنة، وفترة حكم ابنه أسكيا داوود (955-989)هـ(1548- 1582)م، الذي حكم 34 عاما. ففي فترة حكمهما عرفت مدينة تنبكت ذروة مجدها، وعظمتها، في الجانبين الاقتصادي والثقافي،أما باقي فترات الحكم فبقيت تراوح مكانها، لم يحقق السلاطين شيئا يستحق الذكر. إلى أن نصل في دراستنا هذه إلى الغزوالمغربي لها.

---

(1) محمود كعت، المصدر السابق،ص43 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثاني

الأوضاع الاقتصادية في تنبكت

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثاني
- الأوضاع الاقتصادية في تنبكت -

1- الفلاحة: 1-1 المزروعات:

1-1-1- الأرز.

1-1-2- الفول.

1-1-3- التبغ.

2- الصناعةوالحرف اليدوية:2-1- الخياطة والنسيج:

2-2- الحدادة.

2-3- الإسكافيون.

2-4- صناعة القوارب والسفن.

3- التجارة: 3-1- التجارالاجانب.

3-2- التجارالسودانيين.

3-3- السماسرة.

3-4- البائعون المتجولون السودانييون.

4- السوق.

5- المسالك التجارية:5-1- المسالك البرية.

5-1-1- طريق فاس- تنبكت.

5-1-2- طريق تلمسان- تنبكت.

5-1-3- طريق تكرت وورقلة – غاو.

5-1-4- طريق طرابلس- تنبكت.

5-2- المسالك النهرية.

6- المبادلات التجارية:6-1- الواردات:

6 -1-1- الملح.

6 -1-2- الكتب.

6-1-3- الخيل.

6-1-4- الأحذية.

6-2- الصادرات:

6-2-1- الذهب.

6-2-2- العبيد.

7- نظم التعامل التجاري:7-1-المقايضة.

7-2- الودع.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مقدمة الفصل الثاني:

عرفت أرياف مدينة تنبكت العديد من المحاصيل الزراعية المحلية رغم الظروف المناخية القاسية، ويستعين المزارعون في المدينة بمياه نهرالنيجر، في أوائل فصل الجفاف ليرووا ما زرعوه من الأرز، والفول...الخ.وشهدت المدينة العديد من الحرف اليدوية منها النسيج والخياطة، والحدادة وصناعة الأحذية، وبالتالي وجود عدد من محلات الصناع والحرفيين.

واعتبرت مدينة تنبكت كمحطة تجارية كبرى على الضفة الجنوبية من الصحراء الكبرى ، تحط بها القوافل التجارية المنهكة القادمة من شمال الصحراء،هذه القوافل تعرض مختلف سلعها وبضائعها.ومعظم تجارهذه القوافل من أصول عربية وبربرية. هؤلاء التجارنشطوا الحياة الاقتصادية في مدينة تنبكت، ومع مرورالزمن اشتغل العديد من التنبوكتيين في التجارة،هؤلاء حرصوا على تنظيم تجارتهم تنظيما محكما فمنهم التجار المتجولون، ومنهم الوسطاء(السماسرة)، ...الخ،وأصبحوا يتبادلون سلعهم مع تجارالمغرب الكبير، وكان هذا التبادل يتم بواسطة تبادل سلعة بسلعة مثل: تبديل الذهب بالملح.هذه التجارة نشطت بفضل الطرق والدروب التي ربطت بين مدينة تنبكت ومختلف المراكز الواقعة في الشمال الصحراوي، هذه الطرق سهلت تبادل مختلف البضائع والسلع.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1- الفلاحة:

الفلاحة في إمبراطورية سنغاي معاكسة للظروف المناخية السائدة[1]، فالمناخ جاف عموما، إلا أنه هناك فصل ممطر، يبدأ من شهر جوان وينتهي في شهرأكتوبر، وكميات الأمطارالتي تسقط لا تتجاوز250ملمتر/ سنويا[2]، وهذه الكميات تختلف من منطقة لأخرى، فكمية الأمطارفي مدينة تنبكت لا تتجاوز200ملمتر سنويا، أما قاو فالكمية تصل إلى 300ملمتر/سنويا، وتزيد كميتها في جني إذ تتراوح مابين(500-800)ملمتر/سنويا أما الأمطارالشتوية فهي لا تدوم إلا شهرين، وغالبا ما يكون هناك الجفاف[3].

هناك العواصف،والأعاصير، إذ يبلغ عددها في الشهر من 15 الى20 إعصارا في أشهرجوان،وجويلية،وأوت،وأكتوبر، وتصل درجة الحرارة إلى أكثرمن +50^{0}درجة. والأشهرالأكثرحرارة هي شهري ماي، وجوان، والأكثربرودة هما شهرا ديسمبر وجانفي،والعواصف كلها تأتي من الشمال- الشرقي، ومن الجنوب الشرقي، والتي تأتي من الشمال الشرقي هي أكثرقوة، وتخلف غالبا أضرارا معتبرة في المدينة، قد تؤدي إلى سقوط بعض الجدران الهشة[4].

فقسوة الطبيعة،وجفاف المناخ، كلهاعوامل لا تساعد على قيام زراعة نشطة، إلا أن الزراعة تمثل الحرفة الرئيسية،والمصدرالأساسي لعيش الغالبية العظمى من أهل البلاد وقد ساهم عدد من حكام السنغاي،في طليعتهم أسكيا الحاج محمد الكبيرفي تطويرالإنتاج الزراعي، وإدخال أساليب جديدة لاستصلاح الأراضي، وتحسين الحبوب، ورفع معدلات

(1)Sekené,(M-C),Tombouctou et l'empire Songhay,p.125.
(2)Hacquard,(A),op.cit.p.13.
(3)Sekené,(M-C),Ibid.p.125.
(4)Hacquard,(A),Ibid.pp.14-16.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الإنتاج، مستفيدا من صلات بلاده الوثيقة بالشمال الإفريقي[1].الأسكياالحاج محمد حفرقناة في منطقة كابارا[2]– تنبكت، وشجع الزراعة وأنشأعددا كبيرا من القرى الزراعية،وحشد فيها ما كان يعود به من عبيد في حروبه وخفض الضرائب على المحاصيل الزراعية[3]. وجعل غرامة في كل عام على المحاصيل الزراعية، حيث كان يأمررجلا من قومه أن يأخذ غلاتهم فمن استطاع منهم أن يعطي عشرأفتات أخذها، ومن استطاع عشرين فتا أخذها، وهكذا إلى ثلاثين فتا،هذه الضريبة فرضها على أتباع سني علي[4].وزادت نشاطا في عهد الأسكيا داوود، إذ بلغت أقصى ما يمكن بلوغه من نشاط[5].

أما الزراعة في تنبكت، فتعتمد على مياه نهرالنيجر، وقد أفاد مارمول ، أن المدينة حباها الله بنهرالنيجر[6]، ويفيد الرحالة الحسن الوزان، أن مياه النهرتصل المدينة بواسطة قنوات،ربما كان يقصد القناة التي حفرها الحاج محمد الكبير،بالإضافة إلى وجود عدة أبار مياهها عذبة[7].

أما نظام الزراعة الذي كان متبعا، فهونظام المزارع، وهذا ما أفاد به موسى السعدي في قوله:" **توفى الإمام أحمد بن الإمام صديق[8]، في مزرعة كريع، وحمل إلى تنبكت وصلى عليه صلاة الجمعة** "، كان ذلك في شهر رمضان 1005هـ1596م.الأمرالذي يؤكد وجود نظام المزارع[9].

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 267 ومابعدها.
(2) كابارا: مدينة كبيرة لها مظهر قرية دون جدار سور، وتبعد مسافة12ميلا ،أي ما يقارب(19كلم) تقريبا، عن تنبكت على نهرالنيجر. الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص542.
(3) سينكي مودي سيسوكو، المرجع السابق،ص206.
(4) محمودكعت، المصدرالسابق، ص56
(5) سينكي مودي سيوكو،المرجع السابق،ص207.
(6) مارمول، المصدرالسابق،ص202.
(7) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص540.
(8)الإمام أحمد بن الإمام صديق، هوأخرأئمة الجامع الكبير– جنكربير– في عهد سنغاي . عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق،ص62.
(9) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 271.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1-1- المزروعات:

ومن بين المزروعات الموجودة في تنبكت ما يلي:-

1-1-1- **الأرز:** يزرع الأرزعلى نطاق واسع، وهو يزرع بصورة خاصة حول النيجر وروافده لما يتطلبه من سقي وفير، ويزرع قبل وقت فيضان نهرالنيجر، ويبدأ موسم الحصاد قي شهرنوفمبر، وينتهي في ديسمبر[1].

أفاد رجل عربي يدعى الحاج عبد السلام شعبيني من أهالي تطوان بالمغرب الذي زار تنبكت مع والده حوالي العام 1787م، أنه رأى، أن الأرزيزرع في كل وقت،فبعض الأرزكان يزرع في حين كان يجنى الأخر[2].

وهناك أنواع متعددة من الأرز، الأرزالأبيض،الأسود، الصغيروالكبير، وعموما يزرع في الأراضي الأقل فيضانا، أو بعد انسحاب الفيضان[3]، والأرزهوالغذاء الرئيسي للسكان[4].

1-2-2- **الفول** : يزرع في شهرمارس، ثماره قصيرة الحجم، ولكنها مليئة بالحبيبات وقد ينتج صغيرا ، ونوعا ما مسطح الحبوب[5].

1-2-3- **التبغ** : وهومن المحاصيل الأساسية، يزرع في الشرق خصوصا بامباBamba، وتستهلك المدينة أكبرجزءا ، والباقي يصدرإلى قرى الجنوب[6].

بالنسبة إلى الحبوب، تستهلك المدينة ما تحتاج ، والفائض من هذه الحبوب تخزن في مطاميرMatamores، يصل عمق الواحدة منها ستة(6)أقدام(1.98م) [7]. وعرفت المدينة نوع أخرمن المخازن، صناعة مخازن الحبوب، التي تصنع من الطين المخلوط بالتبن

---

(1)Hacquar,(A),op.cit.p.22.
(2)Janes,(G-J),op.cit.p.26.
(3)Hacquard,(A),Ibid.p23.
(4)Janes,(G-J),Ibid.p.26.
(5)Ibid,p.25.
(6)Janes,(G-J).Ibid.p.15.
(7)Ibid.p.15.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والملح، حيث يصل ارتفاع الواحدة منها أربعة أمتار، ولا تزال هذه المخازن تستعمل إلى يومنا هذا، وهذا ما أكده الباحث الهادي المبروك الدالي عند زيارته لتنبكت عام 1995م[1].

ويوجد بالمدينة، مزارع تنتج البطيخ،والقرع،وبعض الخضروات، اللفت والبصل،والطماطم[2]،والجزر[3].

تنتج مدينة تنبكت العديد من المحاصيل الزراعية،إلا أنها لا تكفي حاجيات السكان،لذا تلجأ إلى استراد الحبوب، والخضر...ألخ، وهذا منذ القرن 6هـ/12م[4]، والرحالة الحسن الوزان الذي زارالمدينة في أوائل القرن العاشرالهجري،السادس عشرالميلادي،يرى أن نصف الأقوات كانت تأتي من كابارا[5].

في الأخير نقول أن المناخ جاف، وحارلا يساعد على قيام النشاط الزراعي، غيرأننا لاحظنا هناك العديد من المحاصيل الزراعية. وهي لا تكفي.

- الزراعة في مدينة تنبكت تعتمد على مياه نهرالنيجر.
- أفادت الدراسة وجود مخازن للحبوب منها: المطامير، ومخازن مصنوعة من الطين المخلوط بالتبن، والملح.
- عرفنا أن الزراعة تقوم على نظام المزارع.
- سلاطين سنغاي لهم دوركبير في دعم، وتنشيط الزراعة.

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 293.

(2)Hacquard,(A),op.cit.p.23.

(3)Dubois,(F),op.cit.p.293.

(4) هوبكنز،(أ – ج)،**التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**،ترجمة،أحمد بلبع،جامعة القاهرة،1998،ص117.

(5) الحسن الوزان،المصدرالسابق، ص542.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2)- الصناعة والحرف اليدوية:

مارس أهل تنبكت الكثيرمن الحرف والصناعات اليدوية منها:

1-1- الخياطة والنسيج:

من الحرف التي مارسها سكان تنبكت الخياطة، يؤكد المؤرخ محمود كعت، على وجود26 بيتا من بيوت الخياطين[1]، وهذا الرقم لم يكن الأقل لأن الخياطة كانت أكيد بداخل المنازل من النساء الأحرار، وعبيدهم[2]، وفي كل بيت من بيوت الخياطين يوجد شيخ رئيس معلم، وعنده عدد من المتعلمين نحو 50 متعلما، وعند بعضهم من 70 إلى 100 متعلم [3]،هؤلاء الخياطون عادة ما يرافقون السلاطين عند خروجهم للحرب والسلم بقصد تخيط ملابس الجند، وقد رافق الخياطون بلمع الصادق، وجيشه عند خروجه لأخيه أسكيا محمد بان[4] في كاغ [5].

هؤلاء الخياطون لا يقتصرعملهم على الخياطة فقط، بل عملوا على تطريزألبسة الرجال والنساء[6]،هذه الألبسة تطرزبالحرير وبها رسومات رائعة[7]،وذات مواصفات خاصة من حيث التصميم الفني،واللون[8].

يقول الباحث سينكي مودي سيسوكو، أنه لا يعرف إن كان الخياطون شكلوا أولم يشكلوا تعاونية في القرن 16م، في مهنة الخياطة، وأيضا النساج،هؤلاء النساج انتشروا في كل المدن النيجيرية، النساج يستعملون خيوط القطن، والصوف، وينسجون بعدة ألوان ورسومات متنوعة[9]. ومن الصناعات التي كانت منتشرة، صناعة الزرابي، التي تصنع

---

(1) محمود كعت، المصدر السابق،ص180. ينظر أيضا: Canale,(J-S).op.cit.p.181.

(2)Sekené,(M-C),Tombouctou et l'empire Songhay,p.131.

(3) محمود كعت، نفسه ، ص180.ينظر أيضا، هوبكنز،المرجع السابق،ص 95.

(4) محمد بان أسكيا هو أخو بلمع الصادق، أبوهما أسكيا داوود هذين الأخوين دخلا في صراع،سبب فساد ملكهم وقطع سلك نظام دولتهم، إلى إن نزلت محلة أهل مراكش- الغزو المغربي-. محمود كعت، المصدرالسابق ، ص 126.

(5) محمود كعت، نفسه، ص 131 . ينظر أيضا: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص 292.

(6)Sekené.Ibid,p.132

(7)Hacquard,(A),op.cit.p.41.

(8) هوبكنز(أ – ج)،المرجع السابق،ص96.

(9)Sekené,(M-C),Ibid.p.132.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

في زمن إمبراطورية سنغاي،التي تصنع من أصواف الأغنام، وشعرالماعز، ووبر الإبل، والتي تختص النساء دون غيرهن في ذلك، كما عرفت المنطقة صناعة الحصير،التي تنسج من نبات يشبه الديس إلا أنه أقوى منه وأكثرتماسكا.وصناعة الزرابي التي يبدوأنها انتقلت من المغرب الكبير فهي معروفة في الجزائر، وليبيا منذ فترة مبكرة[1].

2-2- الحدادة:

الحدادون يطلق عليهم أسم ديام Diam، أو قاراسا Garassa، كما هو بكل السودان الغربي، هؤلاء يصنعون أدوات زراعية،مثل الفؤوس، والسكاكين، والمطارق[2]،وحدائد الخيل،والإبر،ومعاول الحرث[3]، والسيوف، وكذلك أدوات التنظيف،هذه الأخيرة أتقنها الصناع البربر، فكانوا ماهرين في صناعة وسائل التنظيف والمصنوعة من الحطب،وصنعوا مقاعد بثلاث قوائم، وسروج الأفراس[4]، وكذلك انتشرت صناعة الصناديق، والعلب المصنوعة من الحديد الأبيض[5]،وصنع وإصلاح السلاسل[6].

المؤرخ السوداني محمود كعت يذكرخمسة قبائل عملت بالحدادة، هذه القبائل أخضعها أسكيا الحاج محمد الكبيرمن سني علي، وفرض عليهم ضريبة كل عام على كل قبيلة100 رمح، و100 سهم من كل عائلة[7].

2-3- **الإسكافيون:** هؤلاء يصنعون عدة أنواع من الأحذية، والوسائد، والأكياس وعلب التعاويذ، وأغماد السيوف...الخ، عملهم هوابتكارفي عدة أشكال رغم الوسائل البدائية، التي يصنعونها والخياطون يخيطون مختلف القطع[8].

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 291.

(2)Sekené,(M-C),op.cit.p.132.

(3) الهادي المبروك الدالي، نفسه،ص 290.

(4)Sekené,(M-C),Ibid.p.132.

(5)Hacquard,(A),op.cit.p.41.

(6)Oskar,(L),op.cit.p.155.

(7) محمود كعت، المصدرالسابق، ص 57 ومابعدها.

(8)Sekené,(M-C).Ibid.p.40.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2-4- صناعات أخرى:

ومن الصناعات المهمة في تنبكت، صناعة الذهب،والفضة،حيث اشتهرت صناعة الذهب وخاصة في حي الغدامسية،وحومة السوق، ونحوها، لأن عقول سكانها راجحة في ذلك[1] ويذكر صاحب مخطوط السعادة الأبدية، أحمد بابيرالأرواني، أن أهل تنبكت أهل صنائع كالخياطة، والحدادة، والجزارة، والدبغ،وصناعة الذهب الفضة...وغيرذلك ولهم عقول راجحة في ذلك لا يأتيهم شئ في الأكثرإلا وصنعوا مثله[2].

الرحالة الغرناطي الحسن الوزان يعطي صورة عن انتشار، وكثرة الصناع، والباعة ولاسيما حاكت القماش[3].

2- 5- صناعة القوارب والسفن:

نشطت صناعة السفن في عهد سني علي،الذي شجع على صناعتها فأبدع الصناع فيها،وتنوعت أحجامها فمنها القوارب الصغيرة، والكبيرة، وقد استخدمها في حروبه التوسعية وخاصة في هجومه على مدينة جني،كما استخدمها في السلم نقل البضائع، التي لا تنقل إلا في السفن مثل:القارو[4]،وقوارب الكنو[5]، و شهدت هذه الصناعة نشاطا كبيرا في زمن أسكيا الحاج محمد وخلفاءه[6].استخدم أسكيا داوود السفن في جمع المحاصيل الزراعية، التي فرضت على المزارعين[7]، وازدادت صناعة السفن في فترة حكم

---

(1)Delafosse,(M),**Haute Sénégal Niger**, paris, tome 2 , 1972,p.163.

(2) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدرالسابق، ص 77.

(3) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص 540. ينظرأيضا: مارمول، المصدرالسابق، ص202

(4) محمود كعت، المصدرالسابق،ص 47 ومابعدها.

(5) هوبكنز(أ – ج)،المرجع السابق،ص144.

الكنو زوارق طويلة مدببة الطرفين تنقاد بمجداف. نفسه، ص144.

(6) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق،ص76.

(7) محمود كعت، المصدرالسابق، ص 95 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

سلاطين المغرب، وخاصة في زمن الباشا جودر، فعرف ميناء كبره- كابـــارا- نـــشاطا للسفن،التي كانت ترسوعلى مرفئه، وقد أستخدم أسكيا إسحاق القوارب عند فـــراره مـــن الهجوم الذي قام به الباشا جودرعام 999هـــ/1591م[1]. وكانت السفن تصنع من أشـــجار غليظة، بأن تعد الإعداد الجيد وتنظف من بقية الأغصان ثم تخاط بطريقة انسيابية، ومنها تصنع القوارب الصغيرة، والسفن الكبيرة، وهناك سفن يتفنن فيها الـــصناع، مـــن حيـــث الأناقة، وهي التي يتنقل فيها السلطان[2].

مجمل القول نلاحظ أن أهل تنبكت أتقنوا العديد من الحرف.

- أدت الدراسة إلى وجود دورمتخصصة في الخياطة، هذه يشرف عليها معلمون، وبهـــا يتكون المتعلمون. هذا شبيه بمراكزالتكوين عندنا.
- عرفت المدينة صناعة الزرابي، التي يبدوأنها انتقلت إليها من دول الشمال الإفريقي.
- شهدت المدينة صناعة مختلف أدوات الزراعة، وكذا أدوات التنظيف المنزلية(المكانس) هذه الأخيرة أتقنها البربرالمتواجدون هناك.
- عرفت المدينة صناعة الأحذية في مدينة تنبكت.
- بينت الدراسة وجود محلات الصناع في مدينة تبكت.
- أثبتت الدراسة أن مدينة تنبكت شهدت صناعة القوارب والسفن، والتي استخدمت فـــي جني المحاصيل الزراعية، وفي الحروب.

---

(1) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 140 ومابعدها.

(2)Trimingham,(S),op.cit.p.13.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3- التجارة:

بعد سقوط المدينة الغانية القديمة في عام1240م، اجتذبت بيرو(ولاتة حاليا)، التجار وانتقلت التجارة إلي ولاتةWalata [1]، وريثة غانا،أصبحت ولاتة مرفأ ساحليا لإمبراطورية مالي، تمربها قوافل الرحالة الصحراويين المليئة بالبضائع الآتية من الشمال الإفريقي[2]. ثم برزت تنبكت كأحسن مركزعبورللمبادلات بين الشمال والجنوب[3]، بعد أن كانت مجرد مخيم للشتاء قرب النيجر[4]، أوكقرية صغيرة متواضعة[5]، تطورت تنبكت وأصبحت مركزا تجاريا كبيرا،وعوضت ولاتة التي كانت تلعب هذا الدور،وعرفت تنيكت توافد السودانيين من كل جنس فتكونت جالية من التجارالذين طلبوا الحماية من زعماء مالي[6]،ازدهارا وتطورا على يد منسي موسى ،وأخيه منسى سليمان ، بعد أن عمروها وجعلوا فيها الدكاكين ،والصناعات ،وجلبوا إليها البنائين [7]،فتحول تجارمدينة جني بقوافلهم التجارية نحو تنبكت المدينة الوليدة ،ولم يأت القرن الرابع عشر (14)م حتى تحولت تجارة المنطقة كلها تقريبا باتجاه المدينة الجديدة[8]، وهذا بعد أن كانت تحتل المرتبة الثالثة بعد ولاتا أو ولاتة، وغاو[9].وأضحت القوافل التجارية تأتي إليها مباشرة[10]. وأصبحت سوقا للتجار، وذوي الأموال[11]. إلا أن التجارة في هذه الحقبة كانت في يد تجارأجانب، وسودانيين أكابرالذين سكنوا فيها[12].

---

(1)Jahn,(M),op.cit.p.174.Boubou,(H),op.cit.p.353.
(2)Sekené,(M-C),Tombouctou et l'empire songhay.p.136.
(3)John,(M),Ibid.p.174.
(4)Canale,(J-S),op.cit.p181.
(5)Cornevin,(R et M), **Histoire de l'Afrique des origines à la deuxiéme guerre mondiale**, paris,1964, p.556.
(6)Canale,(J-S),op.cit.p.181.
(7) الحسن الوزان، المصدرالسابق،ص 539 ومابعدها.
(8) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 87.
(9)Sekené,(M-C),. Ibid .p.35.
(10)Faidherbe,(L),op.cit.p.350.
(11) عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق، ص 21.
(12)Sekené,(M-C),. Ibid .p.138.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3- 1- التجار الأجانب:

التجار الأجانب كانوا من العرب والبربر، هؤلاء هم الأوائل الذين بنوا مستعمرات حقيقة للتجارة، وهم أكثرمن مجموعة، فمنهم من جاء من الساحل الغربي بالخصوص مسوفة،والبرابيش، الذين يشتغلون بالتجارة، ونقل الملح، أما المجموعة الثانية، فهم كبار التجار القادمون من أكبر المراكز الصحراوية مثل: توات، وفزان، وتافيلات[1]، أما المجموعة الثانية فكانت تتكون من تجارالمغرب أومن مصر، وابن بطوطة في عام 1352م، أعطانا بعض العلامات عن هؤلاء التجارفي إمبراطورية مالي، زيارة أبن بطوطة لقبرالشاعر سراج الدين بن الكويك، السابق ذكره. واحدا من أكبرتجارأهل الإسكندرية، وقبره في مدينة تنبكت[2]. وذكرابن بطوطة واحدا من أهل تلمسان يعرف بابن شيخ اللبن[3].

3- 2- التجارالسودانيون:

وهم من إمبراطورية غانا الآفلة، ونتيجة للتطورالاقتصادي الحاصل في تنبكت، برز عدد من التجارالقدماء، منهم من السوننكيين المتواجدين في تنبكت، وبالخصوص من الونكاريين أوالماندينغ يسمون اليوم ' ديولا '[4].

3-3 – السماسرة:

سماسرة المدينة،ودورهم يتجلى في الضيافة،والوساطة،هذه الأخيرة قد يشتغل فيها الأطفال، وحتى النساء[5]،بين البائعين والمشترين، وكانوا يجنون أرباحا طائلة، وهناك عدد كبيرمن أهل المدينة يمتهنون هذه المهنة. وغالبية أسرتنبكت يمتلكون متاجر، ومنازل

---

(1)Sekené,(M-C). Ibid .p.138..

(2) ابن بطوطة، المصدرالسابق، ص689. ينظرأيضا:.Sekens,(M-C),op.cit.p.138

(3) نفسه،ص 690.

(4)Sekené.(M-C).Ibid,p.138.

منشأ الديولا الماندينغ(الماندي)وكانت لهم أهمية خاصة في الجزء الغربي من إفريقيا الغربية، برغم أنهم كانوا يتاجرون في الجنوب الشرقي إلى مسافات بعيدة تصل إلى غابات ساحل العاج، يبيعون الأقمشة،والماشية،ويشترون جوزة الكولا،والرقيق. هوبكنز،المرجع السابق، ص 121.

(5)Dubois,(F),op.cit.p303.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

يؤجرونها للتجار،ويخدمون الوسطاء بينهم وبين التجارالأجانب، والمستأجرون في أغلب الأحيان يشترون السلع،ويقومون بتخزينها في انتظارارتفاع الأسعارللحصول على أرباح تصل إلى 100%[1] .

3-4- البائعون المتجولون السودانيون:

وهم تجارأقل ثراء، ينتقلون بسلعهم من قرية إلى قرية مثلما هوالحال في وقتنا الحالي يبيعون سلعهم في الأسواق المجاورة للمدينة، على غرارأسواقها،وكانوا يبيعون التوابل والحليب، وقطع صغيرة من الملح، والتمور، والبذور، وغيرها من السلع[2].

4- السوق:

في الحقيقة كانت مدينة تنبكت سوقا، لا حد له، والسكان كانوا يعيشون بصورة مباشرة أوغيرمباشرة في التجارة، وكان بها سوق دائم إلى الشرق من منطقة جانقربيرJang ber أين يكون التقاء التجارمن كل السودان، وكان كل ربع من المدينة به سوق محلي صغير وهناك متاجرمخصصة للتجارالأجانب[3].ففي عام 1447م نجح أحد تجار مدينة-جينوه- الايطالية وأسمه "انطونيو مالفانت " "Antonio Malfante" في إرسال رسالة إلى أهله بايطاليا ضمنها معلومات عن الصحراء وما فيها،وكانت الرسالة مرسلة من بلدة-توات- الواقعة بالجنوب الجزائري بعد أن تمكن بطريقة غير معروفة من مرافقة قافلة تجارية انطلقت من السواحل الشمالية للجزائر،غير ان أخبارهذا الايطالي انقطعت فجأة،ولم يرسل شيئا إلى أهله منذ ذلك الوقت. بعده تمكن مواطن برتغالي يدعى "بينيتو دي "" Bendetho dei"زيارة مدينة تنبكت في عام 1470م، وفيها أسس محلا تجاريا كان يبيع فيه الأقمشة المستوردة عن طريق طرابلس من -لامبارديا- بالشمال الايطالي. وفي نفس تلك الفترة

---

(1))Sekené,(M-C),op.cit,p.139.
(2)Ibid,p.139.
(3)Sekené,(M-C), Ibid. p.142.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كانت هناك محلات تجارية يمتلكها ايطاليين يبيعون الأقمشة[1]،والستائر الإيطالية،والحرير،وكانت تباع بأسعارباهظة في نهاية القرن 16م[2].

وأقام التجارفي تنبكت حوانيت على الطريقة المغربية في بناء مخازن البضائع في أسفل دورالسكن، وقد قلدهم في ذلك الأفارقة، وقد شاهد هذه الحوانيت الرحالة الفرنسي ديبوا في القرن19م[3]. وأكد على وجود محلات مجهزة تجهيزا جيدا، وبها أنواع متعددة من الأقمشة المستوردة من الهند، ومانشستر[4]، فالأقمشة الإنجليزية، وبالخصوص الستائرالزرقاء،تستوردها تنبكت عن طريق البربر[5].

وإذا تحدثناعن الضرائب المفروضة عن السلع نجد ما نقول، كانت هناك ضرائب ورسوم فرضت على السلع، فالسلعة الداخلة إلى المدينة من بوابة نهرالنيجر، والتي تعتبر مدخلا للزنوج، تدفع ضرائب مقدارها 2%، أما السلع التي يأتي بها التجارالأجانب فتدفع أي شئ ، أما السلع الداخلة من بوابة الصحراء فتدفع4%على كل سلعة من السلع القيمة[6].

حكومة السنغاي، لم تتدخل في المعاملات التجارية، إلا أنها اكتفت بمراقبة السير الحسن للسوق، وفض الخلافات بين التجارالتي قد تقع بين التجار[7]، وتجنيد مفتشي الأوزان والمقاييس[8] ، وتوحيدها، وهذا ما نادى به أسكيا الحاج محمدالكبير[9]، ومفتش الأوزان هوواحد من طلبة القضاة، يفتش، ويراقب الأوزان[10]، وإن وجدت منقوصة يعاقب الجاني على الفور، وهؤلاء المفتشون يسمون قوبو- كويGoubo-koi [11].

---

(1) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص39.

(2)Sekené,op.cit.p.146
(3)Dubois,(F),op.cit.p.300.
(4)Ibid,p.p 297-303.
(5)sekenè,(M-C), Ibid..p146.
(6)Janes,(G-J),op.cit.p.15.
(7)Sekené,(M-C),. Ibid .p.141.
(8)Janes,(G-J), Ibid.p24.
(9)Dubois,(F), Ibid.p.134.
(10)Janes,(G-J) Ibid,.p.2
(11)Sekenè,(M-C), Ibid.p.141

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

في الأخير نخلص إلى القول،تحول التجارة من سوق بيرو، إلى تنبكت،التي أصبحت مركزا تجاريا كبيرا.

- تنبكت جذبت عددا كبيرا من التجارمن توات،وتافيلات،وفزان...وغيرها.

-هناك تجارسودانيون من السوننكيين، والماندينغ، بالإضافة إلى السماسرة والتجار المتجولين.

- بينت الدراسة أن تنبكت كانت سوقا كبيرا.

- يلاحظ وجود عدد من المحلات التجارية، وكان بناؤها شبيها بمحلات المغاربة.

-وجود محلات ملكا لتجارإيطاليين. بالإضافة إلى السلع الآتية منها،ومن إنجلترا والهند.

-عدم تدخل الحكومة في المعاملات التجارية واكتفت بمراقبة السوق،والأوزان والمقاييس.

5- المسالك التجارية:

5-1- المسالك البرية:

يقودنا الحديث عن التجارة بتنبكت إلى الحديث عن المسالك، والطرق، التي تتخذها القوافل التجارية معبرا من وإلى شمال إفريقيا، ومصر.

إذ تعتبر الطرق التجارية الرابطة بين السودان الغربي عامة، ومدينة تنبكت خاصة ونظيراتها في بلاد شمال إفريقيا، حلقة الوصل الأساسية، وهذه الطرق تخترق الصحراء في جميع جوانبها، أما اتجاهها من الشمال إلى الجنوب، وبالعكس، وهذا باستثناء الطريق الذي يربط مصر بالمنطقة، فإن اتجاهه كان من الشرق الغرب ،وبالعكس.

ويحصي الأستاذ الدكتور عبدالقادر زبادية،ستة (6) المشهورة[1]،إلا أن مدينة تنبكت تربطها بمراكز دول الشمال الإفريقي، أربع(4) طرق رئيسية. التجار يأتون إلى تنبكت بواسطة ثلاث مسالك كبرى رابطة لثلاث اتجاهات[2]، وهذه الطرق والمسالك هي:

---

(1)عبدالقادرزبادية،الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء،ص 29.

(2)Sékéné,(M-C), « La vocation… »Revue la Culture Africaine,p.220.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

5-1-1- طريق فاس – سجلماسة – تغازا[1] – والاتا 'ولاتة' – تنبكت :

ظهرهذا الطريق ببروزمدينة تنبكت كمحطة تجارية هامة[2]،وهوالطريق الذي وصف مرحلته الأولى فاس – سجلماسة، الجغرافي الأندلسي أبوعبيد الله البكري، ينطلق من مدينة فاس باتجاه سجلماسة، مرورا بمدينة صفروي، الواقعة على الضفة الغربية لوادي سبوجنوب فاس، ثم يتجه عبرموقع صغيريقال له المزي ، ثم إلى قرية تاسغمرت الواقعة على نهرسبو، ومنها الى سجلماسة[3]، ويقدرابن حوقل طول هذه المرحلة الأولى من الطريق بثلاثة عشر (13) يوما من السير[4].

والرحالة المغربي ابن بطوطة سلك هذا الطريق منطلقا من سجلماسة الى تغازا، ومنها إلى ولاتة(ايوالاتن)، ويقدرالمسافة بين سجلماسة إلى تغازا بخمسةوعشرين(25)يوما،ومن تغازا إلى ولاتة خمسة وثلاثون(35)يوما، ومنه المسافة من سجلماسة إلى والاتا شهران كاملان(60 يوما) ، ومن والاتة إلى تنبكت مسافة أربعة وعشرين (24) يوما مرورا بقرية زاغري[5]، ثم النهرالأعظم، وهوالنيل، يقصد به نهرالنيجر[6].

إذن المسافة بين فاس وسجلماسة 13 يوما. والمسافة بين سجلماسة إلى ولاتة 60 يوما . والمسافة بين ولاتة إلى تنبكت 24 يوما. ومنه المسافة على طول الطريق فاس – تنبكت 97 يوما.

يصف ابن بطوطة هذا الطريق عند زيارته مالي في عام 1353م. أن المنطقة الواقعة جنوب تغازا لا يوجد بها الماء إلا نادرا، وقد صادفت قافلة ابن بطوطة ماء

---

(1) تغاز أو (تغازا) أو (تغازة) تقع جنوب المغرب الأقصى. الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 308.

(2)Levitrion Nehima,**Muslims and chiefs west Africa** ,Oxford,1968,p5.

(3) ابوعبد الله بن عبدالعزيزالبكري،**المغرب في بلاد إفريقية والمغرب**،مقتبس من كتابه،المسالك والممالك،مكتبة أمريكا والشرق ميزون نوف، باريس،1965،ص147.

(4) ابن حوقل، **صورة الأرض**،منشورات دارمكتبة الحياة،بيروت،دون تاريخ،ص90.

(5) زاغري: قرية كبيرة تقع بين ولاتة وتنبكت، يسكنها التجار السودان،... ومعهم جماعة من البيضان. ابن بطوطة المصدر السابق،ص680.

(6) ابن بطوطة، المصدرالسابق، ص 674 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الغدران، الذي تركته الأمطار بين تغازا و تاسرهلا، والصحراء الواقعة جنوب تاسرهلا ذات ريح شديد الحرارة تجفف الأسقية، زمن هناك يواصل إلى ولاتة(ايولاتن) بعد قطع مسافة 35 يوما من تغازا إلى ولاتة، وتبعد هذه الأخيرة عن مالي مسافة 24 يوما ويصف ابن بطوطة الطريق بين ولاتة ومالي، إذ يقول:" **في تلك الطريق أشجار كثيرة، وأشجارها عادية ضخمة، تستظل القافلة بظل الشجرة منها، وبعضها لا أغصان لها ولا أوراق ولكن ظل جسدها... يستظل به الإنسان، وبعض تلك الأشجار قد استأنس داخلها واستنقع فيه ماء المطر، فكأنها بئر، ويشرب الناس منها**، ويقول، **مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلا حائكا قد نصب بها مرمته، وهو ينسج**،يقول **عجبت منه ... وفي أشجارهذه الغابة، مايشبه ثمرالأجاص، والتفاح، والخوخ والمشمش،... وفيها أشجار تثمر شبه الفقوس،فإذا طاب أنفلق عن شئ يشبه الدقيق، فيطبخونه، ويأكلونه ويباع بالأسواق ويستخرجوا من هذه الأرض حبات كالفول فيقلونها، ويأكلونها ...**"[1].

وهناك **طريق مراكش – تافيلات– تنبكت** ، تخرج القوافل التجارية من المغرب عبر مراكش، وتافيلات عدد الجمال فيها يصل في بعض الأحيان إلى 10.000 جمل في الرحلة الواحدة، وهناك تقاريرعديدة كتبها قناصلة أوربا في مراكش عن مشاهدتهم لقوافل يصل فيها عدد الجمال المحملة بالبضائع إلى أكثرمن هذا العدد[2].

5-1-2 – طريق تلمسان – غرداية – توات – تنبكت:

من تلمسان ونواحيها تأتي القوافل التجارية وتجتمع في غرداية،ومنه تنطلق القوافل إلى توات [3]، ومن توات إلى تنبكت مخترقة أراضي قبائل التوارق(الطوارق)، بعد أن تدفع إتاوة مالية لمشايخ هذه القبائل نظير المرور بأراضيهم تعرف باسم (حق الطريق) وتستمر القافلة في سيرها المرحلي، والطويل قرابة الشهر، والنصف (45) يوما، تقطع خلال هذه

(1) ابن بطوطة، المصدرالسابق، ص 676 ومابعدها.
(2) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص29.
(3) سليمان داود بن يوسف،" **انتشار الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء** "، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية الجزائر، تمنغرست،30اوت-8سبتمبر 1979، الجزء الثاني، ص128

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المدة ما يقرب من 1300كيلومتر، بمعدل 45 كيلومتر في اليوم حتى تصل إلى مدينة تنبكت. وتمرالقافلة المتجهة نحومدينة تنبكت بمنطقة المبروك، وأروان، وكان هذا الطريق هو أكثرالطرق أمانا،ولذلك كانت قوافل الإقليم التواتي تسلكه عند سيرها نحوتنبكت مرورا بتاوديني[1]، هذا الطريق من أقدم الطرق الذي تسلكه القوافل التجارية وأصبح له شأن كبير خاصة بعد حج منسى موسى الذي انطلق من مدينة تنبكت[2]، إذ كانت تخرج قافلتان كبيرتان تتجهان إلى أسواق تنبكت،الأولى في النصف الأول من السنة، والثانية في النصف الثاني من نفس السنة، وفي كل عام،وفي الغالب تمكث القافلة هناك حوالي ثلاثة(3) أشهرتستبدل أثناءها سلعها التي جلبتها معها من أسواق الشمال بالسلع المعروضة في أسواق تنبكت، وتعود القافلة سالكة نفس طريق الذهاب، وتدخل الإقليم التواتي من إحدى نقطه الثلاث(مدنين – قبلي– عين صالح). وتدفع الرسوم الجمركية على ما تحمله من سلع الجنوب النادرة[3].

5-1-3- طريق تكرت وورقلة إلى غاو:

هذا الطريق ينطلق من المؤانى الجزائرية الهامة في الشمال مثل جزائربني مزغنة،وسكيكدة[4]،وعنابة،ومستغانم،وغيرها،ويتصل بالمدن الكبيرة مثل:تلمسان،وقسنطينة،ومدن الجريد بالجنوب التونسي،وبوادي ريغ وسوف،وغيرها[5]،وقد أورد المؤرخ عبدالرحمن بن خلدون هذا الطريق، وقدرالمسافة بين تكرت و(واركلا) ورقلة،بـ 70مرحلة[6]،أي نحو(262)كلم تقريبا، وابن خلدون زار بسكرة سنة 754هـ/

---

(1) فرج محمود فرج،المرجع السابق، ص91 .

(2) Cornevin,(R et M),op.cit.p.556.

(3) فرج محمود فرج، نفسه ، ص92

(4)عبدالقادرزبادية،الحضارة العربية والتأثيرالأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء،ص29.

(5) سليمان داود بن يوسف، مجلة الأصالة، ص 128.

(6) عبدالرحمن بن خلدون، المصدرالسابق،الجزء 6، ص269.

المرحلة تساوي 3.75كلم.عمار بن خروف،**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر في القرن 10هـ/16م**،الجزء الثاني،دارالأمل للطباعة والنشر والتوزيع،2008م،ص 68.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1353م،في أيام أبي عنان إذ يقول:"... **لقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزني أمير بسكرة،** يقول ابن خلدون، **اخبرني عن استبحارهذا المصرفي العمارة،ومرور السابلة، وقال** (صاحب تكرت لابن خلدون)،**اجتازبنا هذا العام سفرمن تجارالمشرق إلى بلد مالي كانت ركابهم اثني عشرألف راحلة،** يقول(ابن خلدون)،**وذكر لي غيره أن ذلك هوالشأن في كل سنة.**"[1].

5-1-4- طريق طرابلس – غدامس – -عين صالح- توات – تنبكت:

كان اتصال طرابلس الغرب بعاصمة الصحراء الكبرى تنبكت، وبقية مناطق غرب إفريقيا يتم عن طريق واحة غدامس بشكل خاص، حيث كانت القوافل التجارية تتخذ طريقها انطلاقا من طرابلس، ثم غدامس، ومنها إلى عين صالح، وتوات بالجنوب الجزائري ثم تنبكت،وهناك نوعان من القوافل الأولى تتكون من 100 الى150 جملا وهي القوافل الصغيرة، أما القوافل الكبيرة، فيتعدى عدد الجمال فيها ليصل إلى 2.000 جمل، وقد تصل إلى ضعف هذا العدد في الرحلة الواحدة[2]. كل هذه القوافل تصل إلى تنبكت في الفترة بين شهري ديسمبر، ويناير من كل عام وتغادرها بين شهري جويلية وأوت من نفس العام، وهي فترة اختارها تجارالقوافل بدقة حيث تقل درجة الحرارة نهارا[3].

ويقدرالرحالة الأوربي الفرنسي فليكس ديبوا، عدد الجمال التي تصل تنبكت من مختلف الجهات كل عام يصل عددها ما بين 50 إلى 60 ألف جمل، وقد انخفض هذا في الفترة الاستعمارية 'الاحتلال الفرنسي' للمنطقة، ليصل عددها 14.000 جمل فقط [4].

تنبكت لعبت دورالوساطة، بين العالم العربي والبربري (المغرب،والجزائر،وتوتس)،و السوداني، فالمغرب كان أكبرالمتعاملين مع تنبكت، لقربه من السودان ونتيجة للغزو

---

(1) عبدالرحمن بن خلدون، نفسه،الجزء6،ص69.
(2) علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق، ص 29.
(3) نفسه،ص30.
(4)Dubois,(F),op.cit.p.290.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فمراكش، وتافيلات، وفاس هي نقاط انطلاق القوافل التجارية وتأتي الجزائر في المرتبة الثانية، غير أنها لا تتعامل مباشرة معها ،بل يتم التعامل من خلال توات، وبالمثل تونس وطرابلس مع تنبكت عن طريق غدامس[1]،هذه القوافل تأتي محملة بالتبغ، والبضائع الأوربية،والمغربية[2].

5-2- المسالك النهرية:

نهرالنيجرربط مدينة تنبكت بالمركزين التجاريين،والإداريين جني على بعد 250ميلا،أي مايقارب(400كلم) تقريبا،وغاو تقريباعلى نفس المسافة،في اتجاه مجرى النهر،واستخدمت مئات القوارب منذ القرن 7هـ/13م[3]،وهذا عند فيضان النهرخلال أشهرجويلية،وأوت، وسبتمبر.

تجارتنبكت يجلبون بضائعهم في مراكب صغيرة،ضيقة جدا، مصنوعة من نصف جذع شجرة مجوفة ويحذفون طيلة النهار،ويربطون مراكبهم في الماء، وينامون على الأرض[4]، ثم استخدموا القوارب لنقل، وجلب السلع باتجاه أرض الجنوب عبرالنهر، وهذا بعد استجلابها بواسطة الإبل من الشمال الإفريقي[5]. نهرالنيجرأسس كطريقا تجاريا رائعا فعلى مياهه نقلت بضائع كثيرة[6]، وكانت هناك زوارق كبيرة، التي سبق وأن أشرنا لها،تستطيع حمل، ونقل ستة(6) أطنان من السلع، وعدد كبيرمن المسافرين[7]. وكانت بعض قوارب الكنو تحمل مابين 10أطنان إلى 30 طنا من البضائع [8]،وهناك دليل يبرهن

---

(1) Dubois,(F),op.cit.pp.281-282.
(2)Caillie,(R),op.cit.p309.

(3) هوبكنز،(أ – ج)،المرجع السابق،ص 144.
(4) الحسن الوزان،المصدرالسابق،ص538، ومارمول،المصدرالسابق،ص203.

(5) Sekenè,(M-C), Ibid,p.144.

(6) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص324.

(7) Sekenè,(M-C), Ibid.p144.

(8) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص108.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أهمية نهرالنيجر في النقل البحري، مدينة باماكو كانت تصدرالذهب،والكولاالمتواجدة بأعالي النيجر،ولا سيما الحبوب، ومنتوجات أخرى الأكثراستعمالا، إذ أن هذه العلاقات بين المدينتين سهلها نهرالنيجر[1].

وما يمكن استنتاجه: يلاحظ بعد دراستنا لأهم المسالك والطرق التي ربطت مدينة تنبكت بدول الشمال:

- أن المغرب هوأكثردول الشمال تعاملا مع تنبكت، بالنظرللمحطات التجارية،التي تنطلق منها، وتحط بها القوافل التجارية الآتية من تنبكت، وهي، فاس،ومراكش،أما الجزائر،وتونس، وليبيا، فكانوا أقل تعاملا مع تنبكت.
- استفادت تنبكت من نهرالنيجرفي النقل النهري.

6- المبادلات التجارية:

6-1- الواردات:

جلب إلى مدينة تنبكت أنواع متعددة من السلع منها:

6-1-1- **الملح** : في القرن 6هـ/12م، كان الملح يستخرج من منطقة أوليل، التي تقع على مقربة من الساحل، وبها المملحة المشهورة، ولا يعلم في بلاد السودان مملحة غيرها ومنها يحمل الملح إلى جميع بلاد السودان[2].

وفي القرن 10هـ/ 16م كان الملح يضاهي قيمة البترول في الوقت الحالي،العالم المعاصر. والملح كان قاعدة لكل تجارالرحالة الصحراويين، فكانت حجارة ملح الصحراء أكثربحثا، وشهرة.

وفي نفس القرن أنشئت ثلاث ممالح أساسية هي: أوليل، و تيغازا،وأيضا تاوديني . وقد درس موني هذه الكمائن الثلاث بالتفصيل.

---

(1)Dubois,(F),op.cit.p.57.

(2) الإدريسي، المصدرالسابق، ص25.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- **مملحة أوليل:** يقدرطولها بـ 80 كلم، وعرضها 10أمتار[1]تقع على المحيط الاطلسي[2] ،ملحها ذونوعية،وجودة عالية،تصدرمنذ القرن 8هـ/14م نحوتنبكت وغيرها.

- **مملحة تيغازا:** تقع في قلب الصحراء،تبعد عن تنبكت بحوالي 800كلم[3]، وقدرالحسن الوزان بعدها عن تنبكت بمسيرة 20يوما، والتي أقام بها 3أيام،يستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح، وليسوا من سكان البلدة بل هم من أصل أجنبي، يأتون مع القوافل، ويقيمون بها كمنجميين يستخرجون الملح ويحتفظون به حتى تأتي قافلة فتشتريه منهم، ومن هناك يحمل إلى تنبكت التي يعوزها كثيرا[4].- **مملحة تاوديني:** تقع جنوب تغازا[5]، وشمال غرب مدينة تنبكت، وتبعد بحوالي 3أسابع من السير.(انظرالخريطة رقم:03).

الملح ينقل بواسطة قوافل الجمال المسماة عزالي[6]، وقبائل البرابيش احتكرت نقله.وكان الجمل يحمل عموما أربعة(4)ألواح من الملح،لوحان لكل جانب، ويزن كل لوح من 20 إلى 30 كلغ، وطول اللوح حوالي 1.20م، وعرضه حوالي0.6م[7].

أما سعرالملح فكان يختلف باختلاف المكان الذي يباع فيه، فهورخيص في تغازا وكلما بعد أرتفع ثمنه حتى يصبح الحمل بأربعين(40) مثقالا من الذهب في مالي[8]، وكان حمل الملح يباع في ولاتة من 8 الى10 مثاقيل[9]، وفي الفترة التي كان الحسن الوزان في تنبكت كان سعرحمل الملح بثمانين(80)دينارا[10].

---

(1)Sekenè,(M-C), op.cit,p.144

(2) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص324.

(3) Sekenè,(M-C), Ibid.p.144.

(4) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص108.

(5)Faidherbe,(L),op.cit.p.353 (1)

(6)عزالي كلمة تعني في اللغة العربية مصب الماء،يقال:أرسلت السماء عزاليها إذا جاءت بمطر منهمر. الفراهيدي احمدكتاب العين،تحقيق عبدالحميدهنداوي،4مجلدات،الطبعةالاولى2003،دارالكتب العامية،بيروت،المجلد الثالث،ص147.

(7)Sekené,(M-C),Ibid.144.

(8) شعباني نورالدين، المرجع السابق،ص197.

(9) ابن بطوطة، المصدرالسابق،ص678.

(10) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص540.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

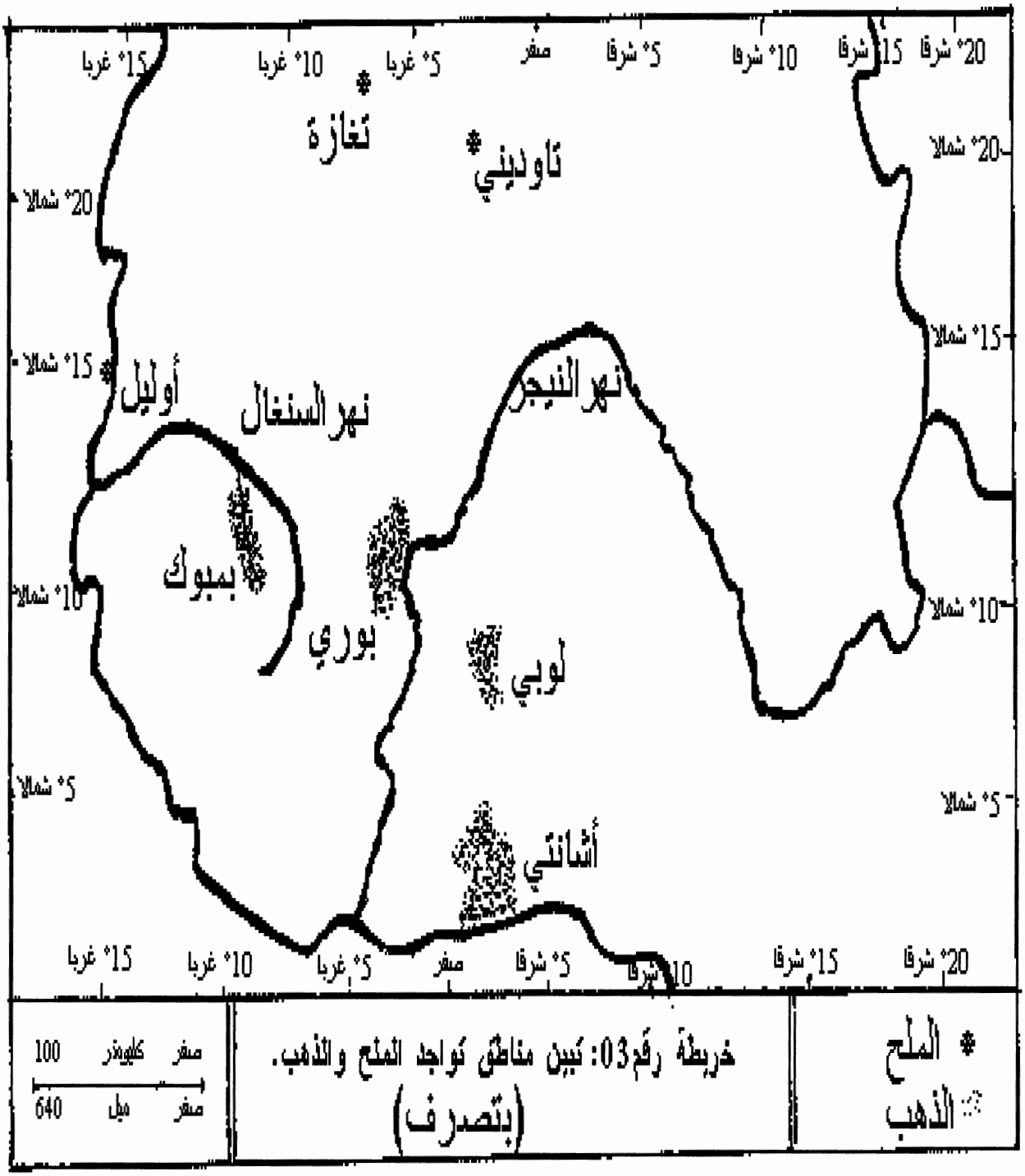

خريطة رقم03: تبين مناطق تواجد الملح والذهب.
(بتصرف)

هوبكنز(أ – ج)،المرجع السابق،ص88.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفي القرن 11هـ/17م، أصبح ثمن الملح في تنبكت يساوي ثلاثة(3) مثاقيل، وهذا ما أورده محمد بن عب في رسالة بعث بها إلى بكاربن حميد بخصوص تجارة بينهما قال:"... **من عند البركة المكرم الأكرم محمد بن عب إلى البركة المكرم الأكرم بكاربن حميد ألف ألاف، سلام عليه ورحمة الله وبركاته،... وان سئلت عن خبرالملح في تنبكت بثلاثة مثاقيل ونصف...وصلى على بكاركثيرالسلام كذلك محمد الأمين**"[1].

ملكت سنغاي ممالح تغازا، في الصحراء الموريتانية حاليا[2]،في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير[3]، وكانت هذه المنطقة هي التي تذرع بها المنصورالذهبي في حملته المشهورة على سنغاي، سنة1591م، سيأتي ذكرذلك في الفصل الرابع.

كان الملح يشكل أكثرمن نصف أحمال القوافل الشمالية إلى بلاد السودان، وكان يشترى في السودان بالذهب، ويباع بمقاديرمرتفعة جدا، وكل ما يحمله التجارمنه كان ينفذ بسرعة[4].وكان الملح يستخدم في بناء البيوت، والمساجد[5]، وفي بناء مخازن الحبوب[6] كما رأينا ذلك سابقا.

6-1-2- الكتب:

مثلت الكتب نوعا من أنواع التجارة، وكانت مناطق تصديرها الأساسية المغرب ومصر،والحجاز، وكانت أثمانها مرتفعة في عهد دولة سنغاي، وكانت تنبكت سوقا رائجا لها[7] ففي الفترة التي أقام الحسن الوزان بتنبكت، في عهد الأسقيا الحاج محمد الكبير كان أنفق شئا في أسواقها على ذلك العهد كانت الكتب، وأغلى بضائعها كانت الكتب، مما يدل على المستوى الثقافي الذي أصبحت عليه المدينة آنذاك[8]، وتباع فيها الكثير من الكتب

---

(1) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص329.
(2) عبدالقادرزبادية،الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، ص36.
(3)Fage,(J),op.cit.p.27.
(4) عبدالقادر زبادية، نفسه،ص36.
(5) Dubois,(F),op.cit.p.284.
(6) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص293.
(7) نفسه،ص 329 ومابعدها.
(8) عبدالقادرزبادية، مملكة سنغاي على عهد الأسقيين(1493-1591)،ص102.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المخطوطة، التي تأتي من بلاد البربر، ويجني من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع[1] فأثمانها تزيدعن أثمانها في المغرب، وقد تصل الزيادة إلى الضعف ونصف الضعف تقريبا[2]، وقد بيعت نسخة القاموس بثمانين(80) مثقالا، وهذا في عهد أسكيا داوود[3].

كانت الكتب تحمل إلى تنبكت من مختلف جهات العالم الإسلامي، ثم تنسخ ،وتباع في أسواق المدينة، وكانت تلقى إقبالا منقطع النظيرمن الطلبة، والمنشغلين بالعلم والسلاطين،والأمراء[4]. هذا يدل على قيمة الكتب وأهميتها،في السودان الغربي بصفة عامة وتنبكت بصفة خاصة، ووجدت فتوى لمحمود بغيغ[5]، موجهة إليه من احد أبناء السودان، **يقول** صاحبها:"**من مات، وخلف كتبا، هل يجبر ورثته على بيعها أن يكن فيهم من يصلح لطلب العلم أو لا؟** الجواب:" **لا يجبرون على ذلك**"[6].

يتضح من خلال هذه الفتوى، أن للكتب قيمة وأهمية عظيمة في تنبكت، وغيرها من المدن بالسودان الغربي، فهي عزيزة غالية، مطلوبة من قبل الطالبين للعلم، والمهتمين به.

6-1- 3- الخيل:

كانت كرام الخيل تأتي إلى مدينة تنبكت من بلاد البربر، وتأتي مع قافلة، وبعد عشرة أوأثنى عشريوما من وصولها تعرض أمام الملك، الذي يأخذ منها العدد الذي يرغبه ويدفع ثمنها بالسعرالمناسب[7]، فالحصان يساوي سعره أكثرمن العبيد، كان مطلوبا من طرف الطبقة الأرستقراطية، ولم يكن ذا أهمية كبيرة،فهوليس الحيوان الوحيد الذي

---

(1) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص541.
(2) عبدالقادرزبادية، الحضارة العربية والتأثيرالأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، ص 36.
(3) محمود كعت، المصدرالسابق، ص109.
(4) حسن أحمد محمود،" **دورالعرب في نشرالحضارة في غرب إفريقية**"، المجلة التاريخية المصرية،1968، العدد الرابع عشر، ص86.
(5) محمود بغيغ : إمام في مسجد سيدي يحيى، وعرف بحبه للكتب، وسعيه في تحصيلها شراء و نسخا،وكان يعيرها دون معرفته من هوالمعير...يقول أحمد بابا انه ذهب إليه ذات مرة لطلب كتب منه،يقول أحمد بابا، راح وفتش في داره، فأعطاه كل ما ظفر به منها، وكان له صبرعظيم على التعليم آناء النهار،...أستوطن في تنبكت وأخذ عن ابن سعيد الفقه، والحديث، وقرا عليه المدونة، والمختصر، وغيرها...، وتوفي-رحمه الله-عام1002هـ/1593م، وكان مولده سنة930هـ/1524م.أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**،تحقيق علي عمر، جزءان، الطبعة الأولى مكتبة الثقافة الدينية،2004،المجلد الثاني،ص294 ومابعدها.
(6) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق،ص 330 .
(7) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص541. و مارمول،المصدرالسابق،ص203.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

يستعمل في النقل، والسفر، والأحصنة العربية المستوردة من إفريقيا الشمالية كانت الأكثرطلبا[1] وتوجد هناك أحصنة سودانية، ذات القامة القصيرة المسماة(البراذيين) وتستعمل خصوصا في نقل المسافرين، ويستخدمها التجارفي أسفارهم[2].

6-1- 4- الأحذية:

عرفنا سابقا أنه توجد صناعة الأحذية.تصنع في تنبكت الأحذية الحمراء مع الحرير[3]. إلا أن تنبكت تستورد نوعا من الأحذية[4] من مملكة غوبر، هذه الأخيرة كان بها الذين يصنعون أحذية شبيهة بتلك التي كان يحتذيها قدامى الرومان [5]،وتعرف لدى العرب بالأخفاف جمع خف.

6-2- الصادرات:

6-2-1- **الذهب:** كان الذهب يستخرج في إفريقيا الغربية منذ الألفية الأولى،ولكن لم يحدث توسع ملحوظ في الإنتاج إلا حوالي القرن 2هـ/8م،مع تطورالاتصالات التجارية مع العالم العربي،وكان الجزء الأكبرمن الناتج المحلي يتم تصد يره،ووجد الذهب في أربع مناطق رئيسية،في بامبوك،وفي بوري،ولوبي في السودان الغربي،وفي أشانتي في الغابات[6]، وفي تنبكت بودل الذهب مقابل الملح [7].(انظرالخريطة رقم:03).

---

(1)Sekené,(M-C),op.cit.p.146.

(2) الحسن الوزان، المصدرالسابق،ص541، و مارمول، المصدرالسابق،ص203.ينظرأيضا:Ibid,p.146.

(3)Dubois,op.cit.p.298.

(4) يرى هنري الهوتH.Elhote,واحد من محققي كتاب 'وصف إفريقيا' للوزان. الأحذية التي تستوردها تنبكت من مملكة عوبر، هي نوع من نعل،أو كلاش،وتسمى طوارقي،وتدعى بالعربية نعل، وصناعته من اختصاص الهوسا،ولا تزال مدينة ماداوا الواقعة في منطقة غوبر ذات شهرة بصنع هذه النعال،حسن الوزان، المصدرالسابق،ص542.

(5) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص542.

(6)هوبكنز،(أ – ج)،المرجع السابق،ص 89 ومابعدها.

(7)Sekené,(M-C),Ibid.p.144.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

6-2-1- العبيد:

العبيد في هذه الحقبة يشكل أداة العديد من السكان، ونميز نوعين من العبيد، منهم عبيد ملك للأسكيا، وهؤلاء أخضعهم اسكيا الحاج محمد عند انتصاره على سني علي، وهي أربعة وعشرون(24) قبيلة وكل قبيلة مكلفة بعمل معين،فمنهم من يعملون في القرى الفلاحية، ومنهم من يؤدون الواجبات المنزلية، وآخرون مكلفون بصناعة الأسلحة.إلا أن عبيد القرى الفلاحية يتمتعون بنوع من الحرية، فمنهم أسياد في حقولهم، وأحرار في نشاطاتهم، وقد يعتق العبد بحسب أمانته، أو ورعه[1].

العبيد كانوا موضع مضاربة في كل الأسواق النيجيرية الكبرى، كانوا يباعون ويرسلون إلى شمال إفريقيا، فالعبد هومنتوج قديم لتجارة الرحالة الصحراويين.في القرن10هـ/16م كانت تجارة العبيد مزدهرة، ولسوء الحظ ليس لدينا إحصائيات، ومن الممكن إعطاء رقم لهذا التعامل، فالباحث موني Mouni في جدوله الجغرافي قدرذلك بحوالي 20.000 عبد في السنة، أي مليوني عبد في القرن.

أما سعرالعبيد، فالباحث مالفونت Malfante، أعطانا أرقاما لسعرالعبيد في عام1447م سعرالعبد الواحد يساوي 2 دينار بتوات،وفي فترة حكم أسكيا داوود بلغ سعرالعبد الواحد بـ 10دنانير[2].

وختام القول، افتقار تنبكت لمادة الملح،الذي يجلب من المناطق المجاورة،وبأسعار مرتفعة.

- استراد تنبكت للكتب من مختلف العالم الإسلامي، ويلاحظ حب أهل تنبكت للكتب التي يتسارعون لاقتنائها،رغم ارتفاع أسعارها.

- بينت الدراسة، أن تنكت تربطها علاقات تجارية مع دول المغلاب الكبير،ومناطق مجاورة لها.

-أفرزت الدراسة ، أن العبيد في تنبكت أنواع، وهؤلاء يباعون وينقلون إلى دول الشمال..

---

(1)Sekené.op.cit,pp.167-170
(2)Ibid,p.146.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بعد استجلابها بواسطة الإبل من الشمال الإفريقي[1]. نهرالنيجرأسس كطريقا تجاريا رائعا فعلى مياهه نقلت بضائع كثيرة[2]، وكانت هناك زوارق كبيرة، التي سبق وأن أشرنا لها،تستطيع حمل، ونقل ستة(6) أطنان من السلع، وعدد كبيرمن المسافرين[3]. وكانت بعض قوارب الكنو تحمل مابين 10أطنان إلى 30 طنا من البضائع [4]،وهناك دليل يبرهن أهمية نهرالنيجر في النقل النهري، مدينة باماكو كانت تصدرالذهب،والكولا المتواجدة بأعالي النيجر،ولا سيما الحبوب، ومنتوجات أخرى الأكثر استعمالا إلى تنبكت، إذ أن هذه العلاقات بين المدينتين سهلها نهرالنيجر[5].

7- نظم التعامل التجاري:

7-1- المقايضة:

كانت المقايضة إحدى الوسائل، التي تعامل بها تجارالسودان الغربي، مع تجارالشمال الإفريقي منذ القديم، وهي تعتمد على الاتفاق بين الطرفين فيما يعرضونه من السلع فالتاجرالسوداني يعرض الذهب كسلعة رئيسية، إلى جانب بعض السلع الأخرى مثل: الريش، والتوابل، ويعرض التاجرالوافد الملح إلى جانب المنسوجات، وكل واحد يضع تجارته، ويختفي عنها إلى أن يتفقوا، ويسمى هذا النوع من التجارة بالتجارة الصامتة[6]. ونتيجة لكثرة الذهب في تنبكت،استخدم في المعاملات التجارية ليس لضرب العملة[7] وإنما كان أهلها يقايضون التبربالملح مع تجارالقوافل من الشمال الإفريقي[8] لم تقتصرالمبادلة على هاتين المادتين، فقد بدل الملح مقابل البذور[9].

---

(1) علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق،ص30.

(2)Dubois,(F),op.cit.p.134.

(3)Sekené,(M-C),Tomboucou et l'empire Songhay,p.136

(4) هوبكنز(أ – ب)،المرجع السابق،ص144.

(5)Dubois,(F),Ibid.p.57.

(6) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص339.

(7)Oskar,(L),op.cit.p.155.

(8) علي محمد عبداللطيف،المرجع السابق،ص 110.

(9)Sekené,(M-C),op.cit.p.142.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

7-2- الودع:

استخدم الودع في الأسواق الرئيسية في النيجرالأوسط منذ القرن5هـ/11م،وغربا في موريتانيا قبل القرن9هـ/15م،وشرقا بلاد الهوسا في القرن 12هـ/18م،وفي برنو في النصف الثاني من القرن 19م[1]. كان التجاريحضرونه بكميات كبيرة من الأندلس والمغرب الأقصى[2]،وبلاد فارس[3]، ومع مرورالزمن اندمج مع الودع الذي كان التجار الأوربيون يستوردونه عن طريق البحرمنذ القرن10هـ/ 16م،وكان الودع هوالعملة الأكثرانتشارا في إفريقيا الغربية[4].

أما في مدينة تنكت فكان التجاريتعاملون به كثيرا[5]،أورد الرحالةالمغربي الحسن الوزان أن الودع كان يستعمل لشراء الأشياء البسيطة[6]،وقد أفاد كعت أن المثقال من الذهب في تنبكت كان يصرف بثلاثة آلاف ودعة في القرن العاشرالهجري، السادس عشرالميلادي عندما وقعت تنبكت تحت حكم باشوات مراكش، كما أفاد أن عشرثمرات بخمسة ودعات[7].

وفي الأخير نقول: هناك العديد من طرق التعامل التجاري بالمدينة منها: نظام المقايضة،والتعامل بالودع.

---

(1) هوبكنز،(أ – ب)،المرجع السابق، ص134.
(2) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 340.
(3) الحسن الوزان،المصدرالسابق،ص541.
(4) هوبكنز،(أ – ب)، المرجع السابق،ص 134 ومابعدها.
(5) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 340.
(6) الحسن الوزان،المصدرالساق،ص541.
(7) محمود كعت،المصدرالسابق، ص183.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثالث

الحياة الثقافية في تنبكت

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثالث
- الحياة الثقافية في تنبكت -

1- التعليم: 1-1- المساجد:

1-1-1- الجامع الكبير.

- أئمة الجامع الكبير.

1-1-2- مسجد سنكري.

- أئمة مسجد سنكري.

1-1-3- مسجد سيدي يحيى.

- أئمة مسجد سيدي يحيى.

1-2- المدارس:

1-2-1- مراحل التعليم:

- المرحلة الابتدائية.

- المرحلتا التعليم العالي والثانوي.

1-3- الشهادات.

1-4- المناهج.

1-5- دورالمكتبات.

2- العلماء المؤثرون في الحركة الفكرية:

2-1- أبرزالعلماء الذين استقدموا من المغرب ومصروالحجاز إلى مدينة تنبكت.

2-2- أبرزالعلماء الذين رحلوا طلبا للعلم.

2-3- مؤرخومدينة تنبكت.

3- القضاة والقضاء:

3-1- شروط تولي القضاة.

3-2- مهام القضاة.

3-3- رواتب القضاة.

3-4- أنواع العقاب.

3-5- أبرزالفضاة.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مقدمة الفصل الثالث:

بعد أن أصبحت مدينة تنبكت،المركزالتجاري الهام في غرب إفريقيا، ومصدر الثروات الكثيرة، التي ملأت خزائن الدولة، تحولت إلى منارة علم،ومصدرإشعاع ديني عظيم[1]، إذ أضحت مرفأ لعدة قوافل صحراوية، أتيت من الشمال، حاملين لعدة بضائع، وأفكارمن المتوسط، فتحولت إلى مكان التقاء العرب- البربر- والسود من السودان، وبالتالي حققت شروط لتطورثقافي على السلم الإفريقي[2]، هذا التطور الثقافي سبقه الازدهار التجاري، وقد استمر شأن تنبكت في التعاظم، طيلة القرنيين 14م و 15م، وفي نهاية القرن السادس عشربدأت تضعف بعد أن غزا سلاطين المغرب الأقصى البلاد[3]،سنتكلم عن هذا في الفصل الرابع،

أما هذا الفصل فنخصصه لدراسة الحياة الثقافية في مدينة تنبكت،نبين ذلك الاحتكاك الذي حصل بين السودانيين، والتجار، والعلماء القادمين من دول شمال الصحراء، ومصر، وتبادل الأفكار، وبالتالي التأثيروالتأثر في المجال الثقافي.

---

(1)Trimingham,(S),op.cit.p.98.
(2)Sékéné,(M-C) , « La vocation… »,Revue la Culture Africaine , p.220.
(3) عبدالقادرزبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493- 1591)،ص 100ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1- التعليم:

إن الوثائق الإفريقية، والعربية تتيح لنا فرصة الحصول على معلومات كافية عن المراكز الثقافية، التي شعت منها الثقافة العربية، إبان العصور الوسطى، والحديثة،وفي مقدمة هذه المراكز،تنبكت، التي كثرت فيها المدارس، والمساجد، وبعض هذه المساجد كانت مقرا للتعليم، إذ تعقد فيها حلقات لهذه الغاية.وإلى جانب كل مسجد هناك غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد[1].

1-1- المساجد:

1-1-1- **الجامع الكبير**: والمسمى عند أهل تنبكت " بجنكر بير" أو " جنجر بير" ومعناه المسجد الكبير، وهو أول مسجد بنى في تنبكت[2]، بناه السلطان منسى موسى في عام 726هـ/1327م[3]، صومعته متكونة من خمسة صفوف، وفي خارجه توجد قبور من جهتي اليمين،والمغرب، وتلك عادة السودان أهل المغرب، فالمغاربة لا يدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم، وجوامعهم.

أورد صاحب كتاب تاريخ السودان، أن الفقيه العاقب بن القاضي محمود [4]،خرب المسجد يوم الأحد 15 ذي الحجة 977هـ/ 1569م، وأعاد بناءه يوم الثلاثاء 15 رجب 977هـ/ 1569م، وفرغ منه عام 978هـ/1570م، وكان هذا في عهد أسكيا داوود الذي ساهم بدوره في إعادة بنائه [5]، وتوسيعه[6]، بأن بعث بأربعة ألاف 4.000 خشبة من شجر كنكو، ومنه اكتمل بناؤه[7].

---

(1) نعيم قداح ،**حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**،الطبعة الثانية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،دون تاريخ،ص159.

(2) مولاي احمدالاروانى، المصدر السابق،ص71.

(3)Barth,(H),op.cit.p.323. Oskar,(L),op.cit.p.151.

(4) العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أاقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي قاضي تنبكت. ولد عام 913هـ/1507م، وتوفي في 991هـ/1583م. عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق،ص 40 ومابعدها.

(5) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق،ص 56 ومابعدها.

(6)Delafosse,(M),op.cit.p.270.

(7) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص110

.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ولما زارالرحالة الألماني بارث تنبكت في القرن 19م، وصف المسجد وصفا دقيقا **بقوله:" يوجد في المسجد أكبر برج، في حين أن الجزء الرئيسي من المبنى يضم تسعة أجزاء مختلفة الحجم**، يقول، **ويقدرطوله بـ: 262 خطوة، وعرضه بـ:194 خطوة وفيه سبعة نوافذ في الجانب الشرقي، وبه مساحة فسيحة**"[1]، ويقع المسجد في الجزء الغربي من المدينة[2].الرحالة الفرنسي رينيه كالييه وصف مسجد تنبكت وصفا دقيقا ويعتبره أكبر المساجد الموجودة في تنبكت، به 5 أبواب مختلفة الأحجام، من الجهة الشرقية وثلاث(3)أبواب من الجهة الجنوبية، وبابين من الجهة الشمالية، وعلى الجدارالشرقي منه زخارف ملونة باللون الاصفر، وجدران المسجد مبنية بالأجرالمدورالمجفف بالشمس،والممزوج ببقايا الأرز،وجدراه مرتفعة على علو 25قدما (8.25متر)[3]، وهوأول معلم يترائ لزائرالمدينة[4]. أما مئذنته فهي هرمية الشكل وهوأول بناء من هذا الطراز في بلاد السودان ولا يزال هذا المسجد قائما بشكله الهرمي إلى يومنا هذا، ويصلي فيه الناس[5].

ويكون قد نقل ذلك النموذج عن المغاربة، بالإضافة أنهم كانوا يقيمون القبوربالقرب،أو بداخل المساجد، وخاصة أضرحة العلماء، والصالحين[6].

- أئمة مسجد الكبيرفي تنبكت:

تعاقب على إمامة المسجدعدد من الأئمة، وسأكتفي بذكرالأئمة الذين تولوا منصب الإمامة في القرن 10هـ/ 16م ومنهم:

1)- الإمام أبو القاسم التواتي:- رحمه الله- كان إمام المسجد الجامع في تنبكت ...،

---

(1)Barth,(H),op.cit.pp.323- 325.

(2)عثمان برايماباري،**جذورالحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دارالأمين للنشروالتوزيع،دون تاريخ،ص24.

(3)Caillie,(R),op.cit.pp.333-338.

(4)John,(M),op.cit.p.177.

(5) ابوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة،المرجع السابق،ص 223.

(6)Cornevin,(R et M),op.cit.p.164.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهوالذي ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة... وبقيت تقرأ فيه إلى العام 102هـ /1611م بدلت بأخرى.وحبس أميرالمؤمنين أسكيا الحاج محمد الكبيرتابوتا فيه 60 جزءا من المصحف على ذلك الجامع لأجل تلك الختمة، سكن الإمام في جوارالمسجد الجامع من جهة القبلة ليس بينه،وبين داره إلا الطريق الضيق النافذ بعدما ابتنى محضرا في قبالة المسجد لاصقا بها، وفيها يقرأ الأطفال،توفى- رحمه الله- في عام 923هـ/ 1517م[1].

2)- الإمام منصورالغزاني:-رحمه الله- وهو الذي خلف الإمام أبا القاسم التواتي- رحمه الله- وهو من تلامذته[2]، وهو من علماء شمال إفريقيا[3].

3)- الإمام الفقيه إبراهيم الزلفي:- رحمه الله- جاء مع جماعة من علماء، وشرفاء تافلالت، وفي الوقت الذي توفى فيه كان يوجد في تنبكت خمسون (50) عالما من توات[4].

4)- الإمام علي الجزولي:-رحمه الله- كان من عباد الله الصالحين، ولاه القاضي محمود الإمامة، واستناب الفقيه الفاضل الإمام عثمان بن الحسين- رحمه الله- فكان يستنيبه متى ما عرض له عذر...، وتوفى- رحمه الله- بعدما مكث في الإمامة 18 عاما، وقال الفقيه محمود، جديرإن ينفرد بروضة فدفن خارج السور[5].

5)- الإمام صديق بن محمد تعل:-رحمهما الله- كان رحمه الله عالما فقيها...،ارتحل إلى تنبكت، وتوطن فيها، وسبب ارتحاله أنه صور يوما صورة من مسائل الفقه في مدرسته وهناك من طلبته من ارتحل إلى تنبكت بعدما قرأ عليه، ثم رجع إلى جنج فقال : صورة

---

(1) أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكرالصديق البرتلي الولاتي،**فتح الشكورفي معرفة علماء التكرور**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي،الطبعة الأولى، دارالغرب الإسلامي بيروت،1981، ص 96ومابعدها. ينظرأيضا: عبد الرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص58.

(2) عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق، ص58 .

(3) أحمد الفتوري،مجلة البحوث التاريخية، المرجع السابق، ص249.

(4) ابوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة، المرجع السابق،ص233.

(5) البرتلي الولاتي،المصدرالسابق،ص 189ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

هذه المسالة ليست هكذا على ما سمعت من الفقهاء في تنبكت، فقال الشيخ:، وما هي؟ فقال: كذا وكذا، قال الشيخ: ضيعنا عمرنا باطلا، وارتحل إلى تنبكت- رحمه الله- . ولاه القاضي محمود بن عمرالإمامة لما توفى الإمام سيدي علي الجزولي- رحمه الله- بعد أن أمر الفقيه الفاضل عثمان بن الحسن بن الحاج التشتي أن يكون إماما فامتنع، وقال له القاضي محمود لا تخرج من عندي حتى تدلني على من يستحقها، فدله على الفقيه صديق بن محمد تعل فقبلها، فصارإماما في الجامع الكبير بتنبكت،... ومكث في الإمامة نحو 24 سنة،... توقى رحمه الله صدر ولاية القاضي العاقب محمد بن عمر[1].

6)- الإمام عثمان بن الحسن بن الحاج التشتيي- رحمهم الله- أبوه القاضي العاقب محمد بن عمر، أصبح إماما في الجامع الكبير، ولما توفى الإمام صديق، قبل الإمامة بعدما حلف له أبوه إن لم يقبلها ليسجنه،توفى-رحمه الله- في عام 977هـ/1569م ودفن في المقابرالقديمة التي سواها القاضي العاقب وزادها في الجامع،موضع قبر. فيه معروف عند أهل معرفته والله اعلم[2].

7)- الإمام محمد بن أبي بكر بن أكداد الفلاني:- رحمهم الله- كان من عباد الله الصالحين تولى إمامة الجامع الكبيربعد وفاة الإمام عثمان بن الحسن التشيتي – رحمهم الله- بأمر القاضي العاقب، لما توفي الإمام عثمان-رحمه الله- تنازع أهل الجامع الكبيرفي الفقيه كداك هذا، والفقيه الإمام أحمد بن الإمام صديق- رحمهم الله- فاختار القاضي العاقب كداد، فرتبه إماما في الجامع الكبير، ومكث في الإمامة 11 عاما، وتوفى في 29 محرم 989هـ/ 1581م[3].

8)- الإمام أحمد بن الإمام صديق:- رحمهم الله- تولى الإمامة بأمرمن القاضي العاقب ومكث فيها 15 عاما، وهوآخرأئمة الجامع الكبيرفي عهد سنغي[4].

---

(1) البرتلي الولاتي، نفسه،ص 154ومابعدها . ينظرأيضا: عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق،ص 60 ومابعدها.
(2) البرتلي الولاتي، المصدرالسابق،ص 190 ومابعدها.
(3) نفسه ، ص 108.
(4) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق،ص62.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1-1-2- مسجد سنكري:

يقع مسجد سنكري في الشمال الشرقي للمدينة[1]، بنته امرأة واحدة أغلالية ذات مال كثير في فعل البر، ولا يعرف تاريخ بنائه[2].إلا أن الباحثين المعاصرين حاولوا تحديد تاريخ بناءه وها هوالباحث سينكي مودي سيوكو، يقول: أن المسجد بنا في النصف الأول من 9هـ / 15م[3]، أما الباحث جون مارينر، فيرى أن المسجد أنشئ أعواما قليلة بعد عام 1325م،ولكن التاريخ المحدد لهذه النشأة يبقى مجهولا[4]. والرحالة الأوربي بارث يرى أن مسجد سنكري بنى قبل المسجد الكبير[5]، أي قبل عام 1327م.

ومهما يكن من اختلاف، فالثابت هو أن المسجد أعيد بناؤه من طرف أحد قضاة تنبكت، وهو الحاج العاقب بن القاضي محمود، وكان هذا سنة 989هـ/ 1581م، وأخذ مقاس طولا، وعرضا من الكعبة الشريفة خلال حجه إلى مكة[6]، أما المؤرخ عبدالرحمن السعدي فيرى أن تاريخ تجديد بناء المسجد كان عام986هـ/1578م[7]، وبه بابين من الجهة الجنوبية، وباب واحد من الجهة الشمالية[8]،ويقدرطوله بـ:120قدما (39.6متر)،وعرضه 80قدما(26.4متر)[9].

- **أئمة مسجد سنكري:** تعاقب على إمامة مسجد سنكري عدة أئمة منهم:

1)- الإمام أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي:- رحمهم الله- كان إماما عالما،تقيا،ورعا،متواضعا لله،واثقا بالله تعالى، شهيدا في علم العربية، مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، مدرسا لكتاب الشفاء،في رمضان بعد موت أبيه في مسجد سنكري

---

(1) جاك ووديس، **جذور الثورة الإفريقية**،ت وتعليق،أحمد فؤاد بلبع،راجع الترجمة،عبدالملك عودة،الهيئةالمصريةالعامة للتأليف والنشر،1971،ص563. بنظر أيضا:.Hacquard,(A),op.cit.p.2

(2) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 62 .ينظرأيضا:.Delafosse,(M),op.cit.p.271

(3) سينكي مودي سيسوكو،المرجع السابق، ص 219.

(4)John,(M),op.cit.p.177.

(5)Barth,(H),op.cit.p.324.

(6) محمود كعت،المصدرالسابق،ص 121.

(7) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق،ص111.

(8)Caillie,(R),op.cit.p.339.

(9)Oskar,(L),op.cit.p.151.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ولاه القاضي محمود- رحمهما الله- الإمامة عند كبر سنه، ويقول، البرتلي أنه لا يعرف تاريخا لوفاته، ولكنه قريب من معاصرة القاضي محمود[1].

2)- **الإمام الفقيه أبي بكر بن أحمد بير:**- رحمهم الله- تقدم للإمامة كرها صلى بالناس الظهر،والعصر، والمغرب،والعشاء، ثم خرج من البلد هاربا.

3)- **الإمام عبد الرحمن بن الفقيه محمود،** وهوأخوالفقيه أبي بكر بن أحمد بير، لم ينبه أحد إلى أن قبضهم محمود بن زرقون عام 1002هـ/1594م.

4)- **الإمام محمد بن محمد كري:**تولى الإمامة بعد الإمام عبدالرحمن بن محمود،وبقي فيها إلى أن توفى-رحمه الله-فصلى بالناس القاضي سيد أحمد مدة قصيرة،ثم تولى الإمامة ابنه الفقيه محمد بن سيد أحمد.

5)- **الإمام سنتاعون بن الهادي الوداني:**- رحمهم الله- تولى بعد الفقيه محمدبن سيد أحمد، ولاه القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا[2]، بعد عام 1004هـ/1596م.

6)- **الإمام أحمد بن محمد عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنبكتي**- رحمهم الله- من أهل سنكري، كان رحمه الله عالما، فقيها متقنا للتفسير، نحويا لغويا متفننا في علوم الآداب، والأشعار، شهدت له بالعلم الشيوخ- رحمهم الله تعالى[3].

1-1-3- مسجد سيدي يحيى:

وهو اصغر بكثير من المسجدين السابقين[4] وجدرانه أقل ارتفاعا[5]، يفيد عدد من المؤرخين بأنه أول جامع بنى في مدينة تنبكت، على يد سلطان مغشرن الطارقي[6] الملك عقيل[7]،في القرن 5هـ/11م، بنى هذا المسجد ليصلوا فيه الجمعة،والصلوات، وبعد

---

(1) البرتلي الولاتي،المصدر السابق،ص107.
(2) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق،ص63 .
(3) البرتلي الولاتي،المصدر السابق، ص39 .

(4)Barth,(H),op.cit.p.324.
(5)Caillie,(R),op.cit.p.340.

(6) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق،ص 72.

(7)Delafosse,(M),op.cit.p.271.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

انقراض دولتهم اندرس المسجد، وخرب ولم يبق إلا موضعه،ثم جدده الشيخ محمد نض وبناءه على أحسن ما كان عليه، وجعل الشيخ القطب الرباني سيدي يحيى[1]إماما فيه،فتوفيا معا عام 888هـ/1483م،ثم أعاد بناءه، وتوسيعه القاضي العاقب بن القاضي محمود عام 976هـ/1568م[2]،ويقع هذا المسجد في وسط المدينة[3].

-**أئمة مسجد سيدي يحيى:** تعاقب على مسجد سيدي يحيى مجموعة من الأئمة نذكر منهم:

1)- الإمام بن محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التمبكتي المعروف ببغيغ: رحمهم الله- محمود بغيغ-رحمه الله- (سبق ذكره).

2)- الإمام بن محمد الونكري:رحمهم الله- كان رحمه الله، إماما في مسجد سيدي يحيى كان عاملا عابدا، صالحا، توفي عام 1018هـ/1609م.

3)- الإمام أحمد بن سعيد، رحمهم الله- كان رحمه الله، إماما في مسجد سيدي يحيى وكان فقيها ذا دين، توفى عام 1040هـ/1630م.

3)- الإمام إبراهيم بن عبدالله:- رحمهم الله، توفي رحمه الله عام 1140هـ/1727م.

4)- الإمام إبراهيم بن أحمد:-رحمهم الله، توفي رحمه الله عام 1157هـ/1744م[4].

لما فرغ الفقيه العاقب بن القاضي محمود من ترميم المساجد الثلاث السابق ذكرها رجع لبناء مسجد سوق تنبكت،وهوأخر ما ابتنى-رضي الله عنه-[5].ويضيف صاحب مخطوط السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، مولاي أحمد بابيرالأرواني، أن العاقب بنى مسجد الهناء عام949هـ/1542م، لكنه اندرس،وخرب فلم يبق إلا موضعه

(1) سيدي يحيى بن عبد الرحيم التادلسي من أبناء القرن 9هـ/15م،تتلمذ على الشيخ سيدي أحمد الكابري وفاق لقرنه علما وأدبا وبرع في الفقه والنحو. مولاي أحمد بابيرالأرواني، المصدرالسابق، ص15.

(2) نفسه،ص 72.

(3) جاك ووديس، المرجع السابق،ص563، بنظر ايضا:Hacquard,(A),op.cit.p.3

(4) مولاي أحمد بابيرلأرواني،المصدرالسابق،ص 129 ومابعدها.

(5) محمودكعت، المصدرالسابق، ص122.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ويقول صاحب المخطوط، أن المسجد سقط على كثيرمن الأولياء، والله أعلم.وموضعه معروف ويزارإلى الآن[1].

وهناك مسجد التواتيين، يفيد مولاي أحمد بابير الأرواني، أن المسجد بنى في عام 1190هـ/1776م، إلا أن الباحث الهادي المبروك الدالى يقول أن المسجد بنى قبل هذه الفترة بزمن بعيد، ويستند في ذلك على الرواية الشفوية، التي ترى أن تاريخ بنائه عام 920هـ/1514م،بناه محمد علي التواتي، القادم من بلدة توات مع جماعة من أبناء جلدته وسبب بناء المسجد وقوع خلافات دينية بينه،وبين بعض من أهالي تنبكت ، وقد تعاقب عليه عدد من الأئمة منهم، الفقيه محمود بن محمد الزغوي التنبكتي[2]،واستمرفيه إلى أن توفى عام 1011هـ/1602م[3].

الرحالة الفرنسي رينيه كالييه يحصي خمسة مساجد أخرى، لكنها صغيرة[4]، أما الرحالة الألماني بارث، أكد على وجود ثلاثة مساجد أخرى، باستثناء مسجد الجامع- مسجد سنكري- مسجد سيدي يحيى، وهم جامع سيدي حاج محمد، وجامع مسعد بلال وجامع سيدي بامي (البامي)[5]، ومنه يلاحظ أن بارث أضاف أسماء ثلاث مساجد أخرى،لم يرد ذكرها، وربما أنها بنيت خلال القرون اللاحقة (17م- 18م-19م)، ولم يشرلمسجد التواتيين هذا.

تنافس العلماء، والعاملين للخير، وحب الدين على بناء المساجد، وكانت الأموال التي تصرف على المساجد، وصيانتها، وترميمها في مدينة تنبكت كثيرة، القاضي العاقب بن محمود بن عمرأقيت أنفق في ترميم المساجد الثلاث (المسجد الكبير- مسجد سنكري- مسجد سيدي يحيى)،مالا يعرف نهايته إلا الله .

---

(1) مولاي أحمد بابيرالأرواني،المصدرالسابق،ص 74.

(2) محمود بن محمد الزغوي التنبكتي مولدا، ومنشأ- رحمه الله تعالى-اخذ عن الفقيه احمد بن محمود بن سعيد،وعن عبدالله بن الفقيه محمود بن عمر،ومهر في النحو،...ثم غلب غليه السعال فلازم بيته سنتين، وتخلف عن الجماعة والجمعة، وكان إماما في جامع التواتي،توفي-رحمه الله- في عام 1011هـ/1602م، عن عمر 64 سنة. البرتلي الولاتي، المصدرالسابق، ص110.

(3) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدرالسابق،ص 74.

(4)Caillie,(R),op.cit.p.340

(5)Barth,(H),op.cit.p.325.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تعالى، كان ينفق يوميا سبعا وستين(67) مثقالا إلا ثلثا،وقد نافسه في الإنفاق الحاج الأمين[1].وهناك صورة أخرى في الإنفاق على المساجد. يذكرالمؤرخ محمود كعت، أن أسكا الفع بكر، أرسل 27 نفسا إلى إمام المسجد الكبير، وأمره أن يستعملهم في خدمة المسجد، والنسوة منهم تنسجن حصرالمسجد، وفرشه،والرجال يحمل بعضهم الطين له ويقطع له الخشب، ثم بعث مرة أخرى 27 نفسا، وقال لرسوله، اذهب بهم إلى الإمام أيضا، وقل له هؤلاء صدقة مني[2].

وعند دراسة بقايا الآثارالإسلامية في تنبكت وغيرها، يكشف لنا عن وجود أسلوب سوداني في العمارة، متأثرا بالطرازالإسلامي، وهو أسلوب عمراني يمتازبقلة النقوش داخل المسجد لكنه احتفظ بالتزيين، وبالخطوط الهندسية، والكتابات القرآنية. وظلت المحاريب على طرازبنائها العربي، وكانت المادة الأساسية في الآثارالعمرانية الإفريقية من الطين المجفف أوالمشوي. واحتفظ الأفارقة باسم المحراب، وهوحفرة في الجداريقف فيها الشيخ لإمامة المصلين في المسجد[3].

المساجد الثلاث،المسجد الكبير، وسنكري،وسيدي يحيى،أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى، ومراكزثقافية،وتربوية[4]، وحققت هذه المساجد أهدافها التعليمية والثقافية، والتربوية، وتخرج منها القضاة، والعلماء، والأدباء[5]،فكانت أماكن للتدريس وكان من أشهرها، وأكثرها اكتظاظا بمجموع الطلبة، والمدرسين خلال القرن10هـ /16م جامع سنكري[6]، إذ بلغ عدد الطلبة حوالي 10.000 إلى 15.000 طالب من مختلف الأعراق، وليس بينهم تميز، ولا بمعيار[7].

---

(1) محمود كعت، المصدرالسابق،ص122 .
(2) نفسه ،ص106.
(3) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 145 ومابعدها.
(4) الموسوعة العربية، المجلد السادس، الطبعة الأولى، الجمهورية العربية السورية، سوريا، 2002، ص 853.
(5) أبوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة،المرجع السابق،ص 224.
(6) عبدالقادرزبادية،"**ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر** "، المجلة التاريخية المغربية،1976، العدد 7 – 8 ، ديسمبر،ص34
(7)Sékéné,(M-C), « La vocation… »Revue la Culture Africaine ,p.221.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ويعتبرسنكري بمثابة جامعة إسلامية كبرى على غرارالقرويين بفاس،والزيتونة بتونس والأزهربمصر، ومساجد تلمسان، وبجاية، وقسنطينة، وعنابة،تصدى للإقراء والوعظ والإرشاد،ودرس بها مختلف العلوم[1].

وأضحى واحد من أكبرمراكزالمعرفة، وملجأ للشعراء، والباحثين الموريين الذين فروا من الأندلس حاملين معهم الثروات الثقافية الغرناطية، والقرطبية، ويحتمل أن تنبكت اكتسبت ميزاتها المعمارية بعدما استقبلت هذه الهجرة[2].

خلاصة القول،احتلت الجالية المغربية مكانة مهمة في تنبكت، فمنصب الإمامة للجامع الكبير أسند في الكثير من الأحيان إلى علماء من شمال إفريقيا.

- تنافس العلماء، والصالحين، والمحبين للخير في بناء، وترميم المساجد.
- بناء المساجد على نفس الطرازالإسلامي المغربي.
- أصبحت المساجد بمثابة مراكزللتعليم.

1-2- المدارس:

كانت المدارس تمتاز بظاهرة عامة، هي ارتباطها الشديد بالدين،ففي أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد،وبازدياد قوة الإسلام، وظهورالمرابطين في القرن 4هـ /10م ألحقت المدارس بالرباط ، هوالمكان الذي يقيم فيه المرابطون للتعبد، وقد قلد الإفريقيون هذا النوع من المدارس، فأصبح إلى جانب كل زاوية من زوايا الفرق المذهبية، والدينية مدرسة لتعليم الأطفال، على أنه في القرى الصغيرة، التي تخلوا من المساجد كان الأطفال يتلقون تعليمهم بواسطة أحد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي[3].

---

(1) يحيى بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى القرن 20م** ،دارهومة، الجزائر،2001 ص 195 .

(2)John,(M),op.cit.p.177.

(3) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 157 ومابعدها. ينظرأيضا: عصمت عبداللطيف دندش، المرجع السابق،ص 167

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وكان في تنبكت في القرن 10هـ /16م حوالي 180 مدرسة قرآنية، وآلاف من الطلبة القادمين من جميع أنحاء السودان، والساحل،وكان الأساتذة، وبعض الأهالي يستضيفون الطلبة عندهم، ولم يكن الأساتذة يتقاضون أجورا، ولكنهم كانوا يعيشون مع ذلك في بحبوحة كافية، ويتفرغون تماما للدراسة ليلا، ونهارا[1].وكان يدرس، ويتلقى العلم في هذه المدارس أكثرمن 30 ألف طالب، كانوا يتوافدون على المدينة من مختلف السودان الغربي، يوم كان عدد سكان المدينة في أوج ازدهارها[2].

1-2-1- مراحل التعليم:

كان التعليم في تنبكت خلال القرن 10هـ /16م، يقسم إلى ابتدائي، وثانوي، وعال[3].

- المرحلة الابتدائية:

التعليم الابتدائي هوالمرحلة الأولى الأساسية لكل طلاب، وهذا بالإضافة إلى أن مرحلته هي الوحيدة، التي يبدوأنه كان يراعي فيها إلى حد ما مستوى السن، فكان التلاميذ في السلك الابتدائي لا يتجاوزون في أغلبيتهم مرحلة الصبا، وفي هذه المرحلة الابتدائية كان الآباء هم الذين يقومون أبناءهم إلى معلمي الصبيان، ويجبرونهم على الدوام، كما يراقبون مدى استيعابهم[4].

ويتولى التدريس في هذه المرحلة معلمو الكتاتيب، التي انتشرت في المدن، والقرى على السواء ، وكان يدرس للطلاب مواد أساسية كحفظ القرآن الكريم، والصلاة، وتعليم اللغة العربية، ومبادئها، وإتقان الخط [5] . وكانت المدارس تفتح صباحا نحو ثلاث ساعات

---

(1) سينكي مودي سيسوكو،المرجع السابق، ص 220.
(2) علي محمدعبداللطيف، المرجع السابق، ص101.
(3) عبدالقادرزبادية،مجلة التاريخية المغربية،المرجع السابق،ص 32 .
(4) نفسه،ص32 .
(5) عمربن سالم بابكور،المرجع السابق،ص 25.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بعد الظهر، والمساء نحو9 ساعات الأطفال يتوجهون باستمرار، وبالتناوب إلى المدرسة في ساعات مختلفة من اليوم، ومن حفظ القرآن يعتبرقد أنهى دراسته[1].

أما عن طريقة التدريس، فكان الأطفال يلتفون حول مدرسهم، وهو يمثل ناظرالمدرسة في الكتاب، ينصتون إليه ليعلمهم القرآن، واللغة العربية، فكان هذا منظرا جميلا لنواة المجتمع العلمي[2]. وقد يصل عدد الصبيان في المدرسة إلى 123 صبيا[3].

- مرحلتا التعليم الثانوي والعالي:

وبعد أن ينهي الطالب مرحلة التعليم الابتدائي، يدخل مرحلتا التعليم الثانوي والعالي ولم يكن لهاتين المرحلتين عرف معين في السن، كما أن الفروق بينهما لم تكن واضحة ولعل مرد ذلك إلى أن هاتين المرحلتين كان التعليم فيها حرا بالنسبة لانخراط الطلبة،وهذا المرحلة تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها، هي الكتب المبسطة، وكان يتولى تدريسها غالبا من يسمون بالأشياخ،ويبدوأن الأشياخ في العرف العام آنذاك،كانوا متوسطي الثقافة بالنسبة للأساتذة، ولكن عددا ما الأساتذة تعاطوا أيضا تدريس مثل هذه المؤلفات، وهذا ما يجعل الانفصال بين المرحلتين واضحا للباحث،لان أولئك الأساتذة في نفس الوقت كانوا يجمعون إلى ذلك تدريس أمهات الكتب المفصلة في نفس الموضوع، ويبدو أنهم كانوا يقسمون أوقاتهم خلال النهار،فيدرسون مثلا في الصباح لطلاب في مستوى الثانوي،ثم يجلسون بعد الظهرلطلاب المرحلة العليا أوالعكس[4]. ولم تكن هذه المرحلة محددة بوقت معين، وفصل أو سنة دراسية معينة،بل كانت تتوقف على استيعاب الطالب لعدد من الكتب منها كتب الحديث، والمنطق، والفقه،والنحو، وهذا يرجع إلى ذكاء،ومهارات،وقدرات الطالب على التحصيل، والانتهاء منها[5]،و لربما أن الطلبة ينفقون أكثرمن ثلاث سنوات

---

(1)Hacquard,op.cit.p.44.
(2)Dubois,(F).op.cit.p.331.

(3) محمود كعت،المصدر السابق،ص180.
(4) عبدالقادرزبادية، المجلة التاريخية المغربية،المرجع السابق، ص32 .
(5) حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 86.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

في قراءة موطأ مالك، وغيره من كتب المذهب المالكي، والسير،وعلم الحديث[1]، ودراسة الكتب التي تحوي المواد بتوسع، وتفصيلات، ومناقشة المسائل الكبيرة، والمؤلفات التي عرفها المسلمون، وكان الطلاب يقبلون على العلم، وينهلون من أمهات الكتب،وينتقلون من مكان لأخركلما سمعوا عن عالما،أو فقيها ضليعا في مادة أوعلم ما، قد وفد إلى تنبكت وخاصة العلماء الذين يقدون من المغرب، ومصرإلى تنبكت[2].

وإذا تحدثناعن أوقات الدراسة، كانت ساعات التدريس تستغرق النهاركله، ولا تتوقف إلا في أوقات الصلاة،وكان بعض الأساتذة يدرسون حتى في جزء من الليل،وكان الطلبة يجتمعون حول الأستاذ، الذي يشرح النصوص، ويناقشها معهم[3].

ولنا الحديث عن الأساتذة، فاللين،والتواضع هم من شيم أولئك الأساتذة اللامعين بتنبكت في تلك الفترة، وكان صبرالأستاذ على تفهيم طلبته يعتبره الناس من صفات الأساتذة الناجحين في مهنتهم[4]، وملتزمين جدا لواجباتهم[5].وكانت الطريقة الشائعة في الدرس هي أن يبدأ الأستاذ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته، وبعدها يقرا الطلاب درسهم من الكتاب المقرربحضورالأستاذ، ثم طلب كل مهم توضيح ما يشكل عليه وأثناء ذلك يقيد الطلبة التفاسيرالتي يعطيها الأستاذ كجواب على استفساراتهم[6].

1- 3- الشهادات:

أماعن الشهادات المتداولة فكانت تعطى الشهادة الدالة على نجاح الطالب الذي أتم المرحلة التعليمية، التي تؤهله ليصبح بعدها متمكنا من مادته، وأسانيدها، وقد ناقشها معه

---

(1) عصمت عبداللطيف دندش،المرجع السابق،ص166.
(2) عمربن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 35 ومابعدها.
(3) عنتا ديوب،" **عملية نشرالإسلام في إفريقيا السوداء،ودور جامعة تومبوكتو**"،كتاب الأصالة،الجزء الثاني،1978،ص 277 .
(4) عبدالقادر زبادية،المجلة التاريخية المغربية،المرجع السابق، ص 36.
(5)Dubois,(F),op.cit.p.324.
(6) عبدالقادر زبادية، نفسه،ص36.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

معلمه، أوأستاذه[1]. وكانت الشهادة تعطى للطالب صاحبها، ويستلمها بنفسه يدا بيد، أما في حالات خاصة فيجوزأن يرسلها المعلم للطالب التابع له، كما حدث عندما أرسل العالم الفقيه أحمد بابا التنبكتي إجازة علمية عامة للعالم المغربي عبد الرحمن التنارتي، الذي سبق أن تعرف عليه بمدينة مراكش، وكان التنارتي قبل حصوله على الإجازة قد ولى منصب القضاء، وأشتهربالإفتاء والاجتهاد[2].

وكانت هناك شهادات خاصة تختص بالقرآن الكريم، والحديث أي خاصة بالثقافة الإسلامية البحتة لنشركلمة الله تعالى[3]، وهناك شهادات عامة تشمل عدة مواد، أوفنون أو مهارات بجانب العلوم الدينية،وكلتاهما مطلوبة في مدينة تنبكت[4]، وكانت هناك شهادات تعطى فردية، بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ، في المواد التي يتقنها ذلك الأستاذ، يتعاطى تدريسها، لكنه يبقى طالبا في مواد أخرى، وبناءا على هذا فإن الشهادات كانت في شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة أوأكثر.

والأستاذ لا يراعي أية شكليات في منح الشهادة لطالب العلم على يديه، ولكنه يراعي بدقة مدى الكفاءة، التي يكون الطالب قد حصل عليها[5].

وكانت تلك الشهادات تعطى عادة في حفل كبيرا، وأحيانا يسلم لهم عمائم دليلا على أنهم أصبحوا من العلماء[6]، وقد يحض أهل الناجح، وأصدقوءه[7].وهذه الشهادة العلمية،التي يتحصل عليها الطالب، تؤهله لان يعمل بإلقاء الخطب، أوالإمامة،أوبأن يعمل المتخرج كمساعد للقاضي ،أونائبا له، أوكاتبا في مصلحة حكومية، أونسخ الكتب، أوتعليم القراءة، وقد تنتهي بالعمل بالقضاء، وتولي مهامه[8].

---

(1) عبدالقادرزبادية،نفسه،ص 35.
(2) عمربن سالم بابكور، المرجع السابق، ص29 .
(3)Dubois,(F),op.cit.p.329.
(4) عمربن سالم بابكور،نفسه، ص 28 .
(5) عبدالقادرزبادية،المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص 36 .
(6) عمربن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 28.
(7)Hacquard,(L),op.cit.p.44
(8) عمربن سالم بابكور،نفسه، ص 29.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1-4- المناهج:

كانت مدارس الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا عامة، وفي تنبكت خاصة،أن تكون مدارس مغربية بحتة، فكأننا في فاس، أوأودغست، أومراكش،أوالقيروان، نفس الأسلوب ونفس الحياة، ونفس الوسائل،حتى طريقة الكتاب نفسها تأثرت بالطابع المغربي، فالقلم العربي المستخدم هوالقلم المغربي،والمناهج والكتب المتداولة هي المناهج والكتب المالكية المغربية[1]،وأعطى المؤرخ عبدالرحمن السعدي نماذج من هذه الكتب،كتب عياض، وكتب سحنون،وشروح ابن القاسم،وخليل، وكتب المغيلي والونشريسي، وموطأ مالك، والخزرجية، وتحفة الحكام والعباد، وكذلك وجدت كتب أخرى درست في تنبكت منها شرح زروق، ونظم أبي مقرعة، والهاشمية، ومقدمة التاجوري، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومدخل ابن الحاج[2].

وازدهرت بالمدينة العلوم التي شملت جميع أمورالحياة بجانب الدين منها القرآن الكريم،والفقه،والحديث،والتفسير،والنحو،والعلوم الفلسفية، والرياضيات،والمنطق،وعلم النفس،والهندسة،والفلك،والأدب،والفنون،والطب بجانب العلوم الشرعية والتراجم والتاريخ،والرحلات، وفن الكتابة[3]،إلى درجة أن كتاب (تكملة الديباج) لأحمد بابا التنبكتي، يذكرأكثر من مائة شاعر، وقاض، ورياضي،وأديب... وغيرها، كلهم في مدينة تنبكت، أو سكنوها[4].

ومن المؤكد أن هذه المناهج كانت تشمل صفوة ما بلغته الحضارة الإسلامية في ميدان المعارف، غيرأنه لا يبدو، أن تلك المناهج قد عصمت الناس من بعض الانحراف[5].

---

(1) حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دارالفكرالعربي، القاهرة، 2001، ص 207.
(2) عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق، ص 38 ومابعدها.
(3) شعباني نورالدين، المرجع السابق،ص 179 ومابعدها . ينظرأيضا.
Dubois ,(F),op.cit.p.333.
(4) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص195.
(5) عبدالقادرزبادية،المجلة التاريخية المغربية،المرجع السابق، ص 33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1- 5 - دور المكتبات:

انتشرت المكتبات التي اقتناها العلماء، والأثرياء في تنبكت، وكانت مفتوحة لاطلاع الطلاب، والراغبين في العلم، واشتهرت تنبكت بعدد كبيرمن المكتبات المملوكة لعلمائها،وعرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الاستعارة مهما كانت الكتب قيمة.وكانت تدوربالمدينة حركة نسخ نشطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نسخ من الكتب التي يريدونها[1]،وتمكين الراغبين في العلم من الحصول على حاجتهم من الكتب،حيث يقوم متطوعون خاصة ممن يرغبون في مزاولة هذا العمل،وهم عادة من طلبة جامعة سنكري بالمدينة، بإعادة نسخ ما يحصلون عليه من الكتب بالخط،والخط العربي، ثم يبيعون تلك النسخ لمن يريد، وتبقى النسخة الأصلية مع أولئك الناسخين[2]،وكان الملك أسكيا داوود ملك إمبراطورية صنغي 'سنغاي' يعين أشخاصا من الكتاب الذين يقومون بنسخ المخطوطات، والكتب المطبوعة ليقوم بتوزيعها على العلماء والطلبة مجانا، وكان هو أول من أنشأ مكتبة عامة للمطالعة في هذا الجزء من العالم[3].

وكانت بالمدينة مكتبة ضخمة يلتقي فيها العلماء أثناء إقامتهم، أوعبورهم من مختلف مناطق السودان الغربي باتجاه الحج لبيت الله الحرام، حيث كانت قوافل الحجيج تتجمع في المدينة قبل أن تأخذ طريقها عبرالصحراء الكبرى، أما باتجاه غدامس، وطرابلس[4].

ونتيجة لازدهارالحياة العلمية، أقبل الناس في شغف على اقتناء المكتبات الخاصة التي تعج بالكتب العربية، وكثرت المكتبات الخاصة[5]، ولم تكن هذه المكتبات حكرا على أسماء معينة من الأسربل أن كل أسرة كبيرة في تنبكت تمتلك مكتبة عامرة بأمهات الكتب، والكتب القيمة التي يحفظونها في غرف مغلقة في منازلهم، ومن تلك الأسر، أسرة

---

(1) أحمد شلبي،**موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،8أجزاء،الجزء6،القاهرة،1998 ، ص 235. ينظر أيضا:أبوبكرإسماعيل محمد ميقا،المرجع السابق، ص 249 .

(2) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق،ص 94 .

(3) محمود كعت،المصدرالسابق،ص 94. ينظرأيضا: عثمان برايماباري،المرجع السابق، ص 29.

(4) علي محمد عبداللطيف،المرجع السابق، ص 102 .

(5) عصمت عبداللطيف دندش،المرجع السابق، ص 166 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أبو العرف، التي تملك الكثيرمن الكتب، وكذلك من المكتبات الكبيرة المشهورة في تنبكت مكتبة محمد محمود بن الشيخ[1].

واعتنت تنبكت بالكتب، والعلم حذا حذوها أهل المدن الأخرى، وفي الصحراء والقرى، التي امتلأت بالمساجد، والمدارس،والمكتبات،والتلاميذ، والفقهاء، والشيوخ مسايرة تلك النهضة العلمية الثقافية في تنبكت، فقد روى أن أحد التجاراسمه سيدي إبراهيم البصيرذهب إلى السودان الغربي، فوجد في طريقه قرية يطلق عليها شمامة عثر بها على كتب كبيرة قيمة، ووجد مكتبات في الصحراء منها المكتبة السناوية، ومكتبة الشيخ ماء العينين، ومخطوطات صحراوية سودانية، وفاسية[2].وهناك المكتبة المتنقلة ،إن صح التعبير، مكتبة ممأحيدرة للمخطوطات،التي أنشئت في القرن 10هـ/16م،كانت تنتقل في البوادي،وفي القرى،إلى أن وصلت أخيرا إلى مدينة تنبكت،وثبتت فيها[3].

يقول المؤرخ الفرنسي فليكس ديبوا، أن مكتبات تنبكت شملت تقريبا جميع الكتب، إن لم يكن كلها، فالتمبكتيون مهووسين بجمع الكتب، والمؤلفات النادرة، فهم من عشاق الكتب،وفد وقف ديبوا على إنتاجات، ومؤلفات أدبية من إسبانيا، والمغرب، إلى جانب أعمال من سوريا، وبغداد[4].

---

(1) عمربن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 36ومابعدها.
(2) عمربن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 37ومابعدها.
(3) عبدالقادرحيدرة فضل صاحب المكتبة ، نقلاعن المصدرالسابق، قناة الجزيرة.
(4)Dubois,(F),op.cit.p.327.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفي الختام نقول أن التعليم في مدينة تنبكت عرف مراحل تعليمية، مرحلة الابتدائية، ومرحلة التعليم الثانوي والعالي،ولكل مرحلة خصوصياتها،وميزاتها.

- بينت الدراسة أن المتخرج يحصل على شهادة،أوإجازة ، تمكنه من الحصول على وظيفة.

- أفرزت الدراسة أن المناهج ، التي تدرس في تنبكت هي نفسها مناهج مغربية بحتة.

- أكدت الدراسة على تواجد عدد من المكتبات العامة، والخاصة، وبها نفائس الكتب والمخطوطات.

2- العلماء المؤثرون في الحركة الفكرية:

شهدت مدينة تنبكت خلال القرن العاشرالهجري/السادس عشرالميلادي،نشاطا فيما يتعلق بحركة التدريس، وقد ضمت مدارسها العديد من الطلاب،والأساتذة، كما رأت لأول مرة في تاريخ السودان الغربي، اتساع التعليم الجامعي، وتوارد عليها في تلك الأثناء عدد من الأساتذة من بلدان المغرب، ساهموا في تنشيط التعليم، وتعميقه[1]،وذلك باستقدام العلماء، وتشجيعهم على بدل العلم[2]، فالتعليم في أول أمره محصوربالأساتذة العرب القادمين من شمال إفريقيا، وتشجيع الطلاب السودانيين على الرحلة إلى شمال إفريقيا[3]،ومصر،والحجازلطلب العلم، والوقوف على مراكزالعلم، وما ألفه العلماء في تلك المراكز[4]، ومن هنا تكونت طبقة مثقفة من الأفارقة تولت مهمة التعليم، بعد أن تخرجت من المدارس العربية في المغرب، ومصر، وأغلبية المعلمين كانوا من رجال الدين أتقنوا اللغة العربية، ومارسوا التعليم بها لأنها كانت لغة الدين، والثقافة والتجارة[5].

---

(1) عنتا ديوب،مجلة الأصالة،المرجع السابق،ص 277 .
(2) ابوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة،المرجع السابق،ص 233.
(3) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 160.
(4) ابوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 233 .
(5) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 160.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2-1- من أبرزالعلماء الذين استقدموا من المغرب،ومصر،والحجازإلى مدينة تنبكت:

لم يكن حرص ملوك، وسلاطين السودان الغربي عامة،وتنبكت خاصة، على نشر العلم، وإرساء قواعد نهضة ثقافية في بلادهم مقصورا على إيفاد طلاب العلم إلى المراكز الإسلامية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، بل اهتموا اهتماما شديدا باستقدام كثيرمن العلماء، والفقهاء، من مواطن العلم في الحجاز، ومصر، والمغرب[1]، ومنهم:

1)- سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي:-رحمهم الله- ينسب- رحمه الله- إلى قبيلة مغيلة، التي تقطن نواحي تلمسان، ولا يعلم تاريخ ولادته بالضبط ، غير أن وفاته في سنة909هـ/1503م، وقد كان من المثقفين، وأولى الفكر في عصره،وقد انتقل بعد إتمام دراسته بالشمال، إلى الصحراء فسكن توات،وبها توفى،ولا يعرف سبب انتقاله إلى الصحراء غير أن حملته على اليهود القاطنين بها في زمانه،ورسائله العديدة في موضوعهم تحمل على الظن بأنه وجد ضيقا في العيش بالشمال، حيث يسيطر اليهود في أهم المدن على مصادر التجارة، والمال،وتوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين فأصبحوا صنائع لهم،ولما انتقل إلى الجنوب وجد اليهود يشاركون بنشاط في حركة القوافل التجارية مع السودان، ويتصرفون تصرفات أكثرحرية مما في الشمال فدعا لمحاربتهم[2]،ثم ارتحل إلى بلاد التكرور فوصل إلى بلاد كاغو، واجتمع بسلطانها أسكيا الحاج محمد،وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألف تأليفا أجابه فيه عن مسائل دينية[3]،يلاحظ هنا أن طرح الأسئلة من طرف السلطان على عالم مثل المغيلي... يعطينا صورة عن نظرة الأسقيا الكبيرللعلماء في وقته[4]، ثم ارتحل المغيلي إلى توات فأدركته المنية بها سنة 909هـ/1503م،أخذ عنه الكثيرمن العلماء[5].

---

(1) ابوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة المرجع السابق،ص 222 ومابعدها.
(2) محمد بن عبدالكريم المغيلي، المصدر السابق، ص 8 ومابعدها.
(3) ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، **البستان في ذكرالأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص 254.
(4) محمد بن عبدالكريم المغيلي، المصدرالسابق، ص 18 .
(5) ابن مريم الشريف، المصدرالسابق،ص 256 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2)- محمد بن عيسى بن علي التلمساني: اشتهر بوضع كتاب حلل فيه شرب الخمر باعتبارأنها تتخلل بالخل، يقال أنه عرض كتابه ذاك على بعض شيوخه فأعجبوا بطريقة عرضه، وتحليله،قلت: والخمرنجس لا تحل بالإجماع إلا إذا انقلبت الخمرة خلا بنفسها بدون فعل أحد فتحل حينئذ باعتبارها خلا، وليس خمرا[1].

3)- صالح بن محمد أندي عمر:- رحمهم الله- صالح بن محمد اندي عمرالمعرف بصالح تكن الشيخ المعمري المستحرم عنه السلاطين يشفع للمساكين عندهم، ولا يردون شفاعته على كل حال ألف شرحا على مختصرالشيخ خليل- رحمه الله-[2].

4)- أبوالقاسم التواتي:- رحمه الله – (سبق ذكره في أئمة المسجد الكبير).

5)- عبدالرحمن بن علي بن أحمد القصري:- رحمهم الله-عبد الرحمن بن علي احمد القصري ثم الفاسي السفياني، ولد بمدينة القصر الصغيرعلي البحر المتوسط، وهو شيخ المنجورأشهرعلماء المغرب، قال أحمد بابا في كتابه نيل الابتهاج: قال المنجور في فهرسته: شيخنا الفقيه الأستاذ المحدث المسند المحقق الرحالة أخذ عن شيخ الجماعة ابن غازي، والشيخ زروق، وأدرك أبا الفرج الطلنجني... وشرق سنة 909هـ/ 1503م فأخذ علم الحديث بمصرعن أصحاب ابن حجر كالقلقشندي وغيره،وضبط فحصل له رواية واسعة لم يحصلها من الفاسيين، ثم آب لبلاد السودان، دخل كانو وغيرها، فعظموه وأعطوه مالا جزيلا، ثم رجع إلى فاس سنة 924هـ/ 1518م، فأكب على رواية الحديث وتدريسه،وكان يدرس الموطأ، والكتب السنية، والتفسير... حتى توفى سنة 959هـ/1549م،على نحو 86سنة[3].

7)- الشيخ مخلوف بن علي صالح البلبالي:-رحمهم الله-كان رحمه الله يشتغل بالعلم على كبرعلى ما قيل، فأول شيوخه العبد الصالح سيدي عبد الله بن عمر بن محمد أقيت قرأ عليه الرسالة...، سافرإلى المغرب فأخذا عن ابن غازي، وغيره، واشتهربقوة الحفظ

---

(1) ابوبكر إسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة،المرجع السابق، ص 222.
(2) نفسه،ص223.
(3) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريزالديباج، الجزءالثاني،ص 290 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

حتى ذكرعنه العجب في ذلك،ودخل بلاد السودان ... ودخل تنبكت ليدرس هناك، وقرأ بها، ثم رجع إلى المغرب فدرس بمراكش، وسم هناك فمرض، ورجع لبلده، وتوفي بعد 940هـ/1533م[1].

2- 2- من أبرزالعلماء الذين رحلوا طلبا للعلم:

من العلماء السودانيين الذين رحلوا في طلب العلم إلى مصر، وفاس، وتلمسان والقيروان، والحرمين... وغيرها من المراكزالإسلامية في المغرب، والمشرق، ثم عادوا إلى بلادهم بعد أن نهلوا من العلوم، والمعارف المزدهرة في تلك البلاد[2]، وأصبحوا علماء عظام، ومنهم:

1)- أبوالعباس أحمد بن محمد أقيت جد الشيخ أحمد بابا:- رحمهم الله- كان رحمه الله من أهل الخير، والفضل، والعلم،والدين،حافظا على السنة، والمروءة،والصياغة، والتحري محبا للنبي،صلى الله عليه وسلم،وملازما لقراءة قائد مدحه، وشفاء عياض على الدوام فقيها ،لغويا، نحويا، عروضيا محصلا، اعتنى بالعلم طول عمره ... كتب عدة كتب بخطه مع فوائد كثيرة، وترك نحو700 مجلد...رحل إلى المشرق في عام 890هـ/ 1485م وحج ولقي السيوطي،والشيخ زين الدين خالدا الأزهر شارح التوضيح،وغيرها. ثم رجع إلى بلاده في زمن فتنة سني عالى(علي)،فجلس للتعليم فأخذ عنه جماعة منهم أخوه الفقيه القاضي محمود بن عمر قرأ عليه المدونة، وغيرها[3]،وكان قاضيا في تنبكت وعلى أهل ولاتن(ولاتة)، توفى- رحمه الله- عام 942هـ/1535م.

2)- محمود بن عمرأقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي التنبكتي:- رحمهم الله- قاضي تنبكت أبوالثناء، وأبوالمحاسن عالم التكرور، وصالحها، ومدرسها، وفقيهها وإمامها بلا مدافع،...اشتهر علمه، وصلاحه في البلاد، طار صيته في الأقطار شرقا،وغربا

---

(1) أحمد بابا التنبكتي،نفسه، ص 304 ومابعدها. ينظرأيضا:البرتلي الولاتي، المصدرالسابق، ص 146.
أبوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة،المرجع السابق،ص218.

(2) أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق محمد مطيع، جزءان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، الجزء الأول، ص 132 ومابعدها.

(3) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريزالديباج، الجزء الثاني، ص 303 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ولي القضاء عام 904هـ/ 1498م، فشدد في الأمور،وسدد،و توخي الحق في الإحكام،... فظهرعدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته مع ملازمة التدريس...،وكان أكثر ما يقرأ المدونة، والرسالة،ومختصرخليل، والألفية، والسلالجية،... حج في عام915هـ/1509م فلقي السادات كإبراهيم المقدسي،والشيخ زكرياء واللقانيين،وغيرهم...، توفي – رحمه الله– سنة 955هـ/ 1548م، وكان مولده سنة 868هـ/ 1463م[1].

3)– محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي:– رحمهم الله–... كان فقيها عالما علامة محققا،... قرأ ببلده على يد الحاج أحمد بن عمر، وعلى خاله الفقيه علي، ثم رحل إلى تكدة بها المغيلي،وحضر دروسه ثم رحل للشرق...،فلقي شيخ الإسلام زكرياء القلقشندي...، ثم رجع إلى السودان فنزل بلدة كشن[2](كاتسينا)،أستقر بشمال نيجيريا،وحظي بالاستقبال الحار،والاحترام، وعين قاضيا في الفترة مابين عامي 1529م/1530م[3]،وتوفى بها في حدود 936هـ/1589م، عن عمر60سنة[4].

4)– أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (932– 991)هـ،(1526– 1583)م تنبكتي المولد،نزل المدينة المشرفة... كان ورعا زاهدا تقيا...،كثير الصدقة، والعطاء... حج ، ثم آب لبلاده لأجل أولاده فأخذهم ورجع، وحج وسكن المدينة حتى مات 991هـ/1583م، درس أحمد بابا التنبكتي علم النحو[5].

5)– أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى

(929– 991)هـ ، (1523– 1583)م، كان ذكيا،داركا، متفننا محدثا... لا يرد له شفاعة، يغلظ على الملوك فمن دونهم، و ينقادون له أعظم الانقياد، ويزورونه في داره

---

(1) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريزالديباج، الجزء الثاني، ص 303 ومابعدها.
(2) نفسه، ص 278 ومابعدها. ينظرأيضا: البرتلي الولاتي،المصدرالسابق، ص 146.
(3) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 26.
(4) البرتلي الولاتي، المصدرالسابق، ص 146.
(5) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، الجزء الأول،ص181.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ولما مـــرض في كاغ في بعض أسفاره كان السلطان الأعظم أسكيا داوود،يـأتي إليـه بالليل فيسهر عنده حتى برء،ويسهرعنده تعظيما لقدره، وكان مشهورالقدر، والجلالـة... رحل للشرق سنة 956هـ/1549م، فحـج وزار، وأجتمـع بجماعـة كالناصـراللفاني والشريف يوسف تلميذ السيوطي،... وشرح مخمسات العشرينات الفازازية لابن صهيب، في مدائح النبي، صلى الله عليه وسلم، ومنظومة المغيلي في المنطق شرحا حسنا، وعلـى مواضع من خليل،...توفى- رحمه الله-991هـ/ 1583م[1].

6)- محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التمبكتي:- رحمهم الله- سبق ذكره في أئمة مسجد سيدي يحيى .

2-3- مؤرخومدينة تنبكت:

1)- **المؤرخ محمود كعت:**- رحمه الله- هوالقاضي محمود كعت بـن الحـاج المتوكـل كعت[2]،هوأديب سونينكي من تنبكت[3]،وكان فقيها من علماء تنبكت صحب أسكيا الحـاج محمد الكبير، وقد شهد 15عاما من حكم الحـاج محمـد الكبيـر، وكـان مولـده عـام 1460م.وهو صاحب كتاب الفتاش، الذي بحث عنه الرحالة الفرنسي فيلكس ديبوا، إلا انه وجد جزءا منه. هذا الكتاب يلقي الضوء على تاريخ مملكة مـالي، وتنبكـت، وسـنغاي وتنتهي أحداث الكتاب في عام 950هـ/1554م[4]، وهناك من يقول أن أحـداث الكتـاب انتهت عام 1008هـ/1599م،أي بعد وفاة المؤلف بست(6)سنوات(1002هـ/1593م) ويبدو أن احد أحفاده هوالذي أضاف السنوات الست التالية لوفاته[5].

وأنا أرجح الرأي الثاني،لأن محمود كعت شهد الغزوالمغربي عام999هـ/1591م عاش وأرخ لهذه الحملة، وبعدها.

---

(1) أحمد بابا التنبكتي،المصدر السابق،الجزء الأول، ص 137 ومابعـدها. ينظرأيـضا:عبـد الـرحمن الـسعدي، المصدرالسابق، ص 42.ينظرأيضا: البرتلي الولاتي،المصدرالسابق،ص 29.

(2) محمود كعت، المصدرالسابق، ص9.

(3) مونتاي، المرجع السابق، 86.

(4)Dubois,(F),op.cit.pp.342- 343.

(5) جمال زكريا قاسم،**الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دارالفكرالعربي، 1999. ص157 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2)- المؤرخ أحمد بابا التنبكتي:

أحمد بابا التنبكتي بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن بكي بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفربن جبراي بن اكنبر بن أنص بن أبي بكربن عمرالصنهاجي الماسي – رحمهم الله-، ولد ليلة الأحد 21 ذي الحجة عام 963هـ[1] – الموافق 26 أكتوبر 1556م،وهو معروف باسم أحمد بابا،ويضيف المؤرخون لاسمه لفظ ، الصنهاجي أوالمسوفي، أوالسوداني، أوالماسيني ، أو التنبكتي،أوالتكروري،وقد تستخدم ثلاث ألفاظ لاسمه الصنهاجي الماسي أوالتنبكتي أوالتكروري،وقد تستخدم ثلاث ألفاظ لاسمه الصنهاجي الماسي والمسوفي[2].اجتهد في بداية أمره في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه، ولا يناظره في العلم إلا أشياخه وشهدوا له بالعلم، واشتهر في المغرب... وكان اسم محمد- صلى الله عليه وسلم- مكتوبا في عضده الأيمن خلقة بخط أبيض،... قرأ على عمه أبي بكر التفسير،والحديث،والفقه،والأصول،والعربية،والبيان، وغيرها على شيخه العلامة محمد بغيغ، ولازمه أكثر من عشرين سنة، وأخذ الحديث على والده سماعا، والمنطق...[3].

قبض عليه الباشا محمود بن زرقون، بعد الغزوالمغربي على السودان الغربي، وكان عمره آنذاك 36 سنة، وأرسل إلى منفاه في المغرب هووأسرته، وبعض العلماء(سنتطرق إلى هذا في الفصل الرابع)،في 1 رمضان 1002هـ/20جوان 1593م،واستقرمع عياله في حكم الثقاف، وأفرج عليه في 21 رمضان 1004هـ/ 19ماي 1595م، بشرط الإقامة في مراكش[4].

أما عن نشاطه في المغرب، فبعد أن أفرح عنه، قعد ليدرس في جامع الشرفاء بمراكش،درس مختصرخليل قراءة بحث وتدقيق، ونقل وتوجيه، وكذا تسهيل ابن مالك

---

(1) البرتلي الولاتي،المصدرالسابق، ص 31 .

(2)Mahmoud A.zouber,**Ahmad BABA de tombouctou (1556 -1627), sa vie et, son œuvre** paris, 1977.p.14

(3) البرتلي الولاتي، فسه، ص32 .

(4) Mahmoud (A.Z).Ibid,pp.24-26.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وألفية الحديث للعراقي، وختمها عشرة مرات، وتحفة الحكام لابن عاصم، وجمع الجوامع للسبكي...،والصحيحين...والشفا والموطأ، والمعجزات الكبرى للسيوطي[1]، وتعلم الخطابة، والقانون، وعلم اللاهوت[2].وقرأ على يديه قاضي الجماعة بفاس العلامة أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني... وكذا قاضي مكناسة[3].

عاد أحمد بابا إلى تنبكت،بعد أن سمح له ابن منصورالذهبي مولاي زيدان بن المنصورالذهبي، بالرحيل، عام 1016هـ/1607م، ووصل إلى تنيكت في ذي الحجة 1016هـ الموافق لـ 17مارس 1607م، ومكث هناك يدرس، ويكتب الفتاوى، وتوفى- رحمه الله- في6شعبان 1036هـ الموافق لـ 22افريل 1627م[4]. وله أربعون تأليفا[5].

3)- المؤرخ عبد الرحمن السعدي:- رحمه الله- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي"السعدي"،رحمهم الله- ولد ليلة الأربعاء ليلة عيد الفطر عام1004هـ/1596م، تولى إمامة مسجد سنكري عام 1036هـ/1627م[6]، يقول الباحث أحمد فؤاد بلبع، يتضح من اسم هذا المؤرخ أنه ليس في أجداده إلا أسماء عربية، ومع ذلك لا يحق لنا أن نستخلص بطريقة قاطعة أنه كان من سلالة عربية خالصة، ففي ذلك العصر جرت عادة المسلمين الذين ترجع أصولهم إلى البربر، أو إلى غيرها، على أن ينسبوا أنفسهم إلى أصل عربي، أو شرف.

تلقى العلم في شبابه على يد الفقيه أحمد بابا، كما تلقى العلم على كثيرين غيره من علماء المنطقة نذكرمنهم القاضي محمود بن أبي بكر، انتقل السعدي من تنبكت إلى جني للعمل بها،حيث عمل كمحرر للعقود في جني، واستطاع في عام 1036هـ/1627م

---

(1) البرتلي الولاتي، المصدرالسابق، ص 34ومابعدها.

(2)Dubois,(F),op.cit.p.347.

(3)Mahmoud,(A.Z),Ibid.p-p(28-31).

(4) Mahmoud,(A.Z)Ibid,pp32-34.

(5) البرتلي الولاتي، نفسه، ص 36.

(6) نفسه، ص 176.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الحصول على منصب إمامة جامع سنكري،وفي أواخر عام 1039هـ/1670م، وسع معارفه عن العالم برحلته قام بها إلى مملكة ماسينا،وبدعوة من قاضي هذه الأخيرة واستقبل بحفاوة من السلطان نفسه، ومن أعيان المملكة، مما شجعه على معاودة زيارة المملكة بعد ثلاث سنوات، وأدى في هذه المناسبة خدمة للسلطان بعقد الصلح بينه، وبين تابع له كان بينهما ثأرقديم، وقدم السعدي بهذا النوع من الوساطة مرات كثيرة بين أمراء المنطقة مما أكسبه خبرات واسعة، وعلاقات وطيدة مع عدد من حكام المنطقة، بل إنه كان ضالعا في الشؤون السياسية لبلاده، وشغل كاتبا، كما أنه يقوم بالأعمال العامة، والسفارة والوساطة،وربما طرأت في إحدى هذه المناسبات فكرة كتابة تاريخ لبلاده، يتيح له ربط الأحداث الماضية،والأحداث التي تجري أمام عينيه، ولقد شرع بالفعل في كتابة تاريخ السودان،وظل السعدي يواصل هذا العمل الهام إلى أن توقف به عند أحداث 5 ذي الحجة1063هـ، الموافق لـ 8 نوفمبر1652م،ولكنه عاد بعد ثلاث سنوات فأضاف أحداثا أخرى، انتهت بتاريخ 16 جمادى الأولى1065هـ الموافق لـ12 مارس 1655م وفي ذلك التاريخ يكون السعدي قد قارب الواحد والستين(61) سنة بالتقويم الهجري،(59 سنة ميلادية)[1]،وهذا ما ذهب إليه المؤرخ البرتلي، صاحب كتاب فتح الشكور، في معرفة أعيان علماء التكرور، أن السعدي كان حيا عام 1065هـ/ 1655م[2].

تمتع العلماء في تنبكت بمكانة مرموقة في المجتمع السوداني، فقد درج ملوك وسلاطين سنغاي على إصدارمراسيم تجعل شخص العالم، وولده، وماله حراما لا يمس بسوء طيلة حياته، وكان لهذا الجومن الطمأنينة الذي وفره هؤلاء الحكام لعلماء تنبكت أكبرالأثرفي تقدم العلوم، وازدهارالثقافة الإسلامية في جامعة تنبكت[3].

---

(1) أحمد فؤاد بليغ ،"**عبدالرحمن السعدي، عصره وكتابه(تاريخ السودان)** " ،المجلة التاريخية المصرية، 1973،العدد العشرون، ص102 ومابعدها.

(2) البرتلي الولاتي، المصدرالسابق، ص 176 .

(3) ابوبكرإسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 248 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وخيرمعبرعن ذلك ما كتبه المؤرخ محمود كعت:" **في تلك الزمان لم يكن لتنبكت مثيل بين مدن السودان بمثابة مؤسساتها، وحريتها السياسية، ونقاء تقاليدها،و الاطمئنان على النفس، والمال، والرحمة، والشفقة على الفقراء وعابري السبيل،وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم**"[1].

وتحدث المؤرخ عبدالرحمن السعدي، عن العلماء، ووصفهم بالأخيار، والصالحين الذين وفدواعلى تنبكت، وسكنوها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مصر،والحجاز،و فاس،والقيروان، وبلاد المغرب،ويبين أن هؤلاء الأخيارمن العلماء الذين سكنوا تنبكت اتخذوا مساجدها مدارس يحفظون الناس فيها القرآن الكريم، ويفقهونهم في دينهم،وينشرون الثقافة الإسلامية، وذكربعض فضائلهم، ومآثرهم[2].وأعطى الحسن الوزان صورة علمية رائعة عن تنبكت أثناء مروره بها في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير، وبين ما فيها من العلماء، والقضاة، والأئمة،الأدباء، وما يحظون به من الإكرام والإجلال من قبل ملوك سنغاي[3].

3- القضاء والقضاة:

حينما يتحدث السعدي، وكعت،وهما من المصادرالأساسية عن تاريخ سنغاي على أيام الاسقيين يخيل للباحث أن سلطة القاضي كانت أسمى من سلطة الأمير، غير أن هذا لا يدل إلا على المكانة السامية، التي كان يتمتع بها القاضي في مجتمع سنغاي في ذلك الوقت،أما أحمد بابا الذي كان قد عاصرحكم الأسقيين في سنغاي، فيسرد لنا قوائم طويلة بأسماء القضاة، الذين تولوا منصب القضاء في تنكبت، ويصفهم بالاستقامة الواسعة لدى الأمراء وبين أفراد الشعب[4].

---

(1) محمود كعت، المصدرالسابق،ص179.
(2) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 21 ومابعدها.
(3) الحسن الوزان، المصدرالسابق، ص541.
(4) عبدالقادرزبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493 - 1591)، ص 73 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كان منصب القضاء منصبا صعبا،يرفضه أهل التقوى والورع،خوفا من إصدارحكم جائر عن غيرقصد، فينالهم العقاب الرباني،ويعتبرون تولي القضاء كارثة عليهم، وقد يجبر السلطان الفقيه على تولي أمرالقضاء[1]، وهذا ما حدث للفقيه محمد بن أبي بكر بغيغ على تولي مهمة القضاء بأمرمن أسكيا إسحاق،عند زيارة هذا الأخيرلمدينة جني،فرفض رفضا قاطعا لهذا المنصب، وكذلك أهل بيته له، **قالت: لو اخترت الموت عليه لكان أحسن منه،ولو قلت أقتلوني** فلا أدخل، **فقال: ما قلت ذلك**، فأدبرت باكية لأيام، إلا أن القاضي محمود أخذ على حين غرة، أخذوه وأمسكوا به، وجعلوا قمصان أسكيا في عنقه[2].

وكان القضاة في مملكة سنغاي على أيام الأسقيين يعينهم الملك، فالأسقيا محمد الأول حيث تولى السلطة ، نصب في تنبكت قاضيا[3]،وإلى جانب القاضي، الذي يحكم بالشريعة الإسلامية، قاض مساعد يفصل في قضايا الأجانب، بحكم أن المدينة مدينة تجارية يقصدها التجار من كل جهة[4].

3 – 1– شروط تولي القضاء:

يشترط في القاضي، أن يكون عالما، فقيها، متحليا بالنزاهة، والورع، ولم يشترط العلم في بادئ الأمر، فكان القضاة من العرب، ولما كثرالمثقفون الذين تعلموا في فاس والقاهرة عمل قسم منهم في القضاء، وفي الخطابة، وإمامة المسجد،ولم يكن ليستلم منصب القضاء إن لم يكن آهلا له خوفا من غضب الله[5].

حدث وأن تعطل منصب القضاء في مدينة تنبكت، فبعد وفاة القاضي العاقب في 17شعبان991هـ/1589م،بقى منصب القضاء شاغرا لمدة سنة ونصف ما تولاه أحد لأن أسكيا محمد الثالث (1582– 1586)م، أرسل في ذلك للعلامة الفقيه أبي حفص عمربن الفقيه محمد ما قبل المنصب مرتين وثلاث، وكان الفقيه محمد بغيغ الونكري، هوالذي

(1) عبدالقادرزبادية ، نفسه، ص 74 .ينظرأيضا: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص18.
(2) محمود كعت، المصدرالسابق، ص89 ومابعدها. ينظرأيضا: الهادي المبروك الدالي،المرجع السابق، ص 134.
(3) محمود كعت، المصدرالسابق، ص 60 .
(4) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 171.
(5) نفسه، ص 172.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

يفصل في القضايا، ولما طال الحال بعث الشيخ المبارك الفقيه صالح تكن لأسكيا سرا أن يكتب له إذا لم يقبلها يوليها لجاهل، فكل حكم إلا يسأله الله تعالى عنه، وكان أمامه غدا بين يديه، فلما قرأ، أبوحفص عمر، كتاب أسكيا، بكى، وقبل فتولاها في سنة 992هـ/1584 م، ومكث فيها تسع سنين كاملة[1].

وهناك إمكانية الجمع بين منصبي الإمامة، والقضاء، فمثلا القاضي محمود بن عمر حين أراد الحج في عام 913هـ/1507م، استخلف في الإمامة خاله الفقيه المختارالنحوي وفي القضاء القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر، بأمر من الأميرأسكيا الحاج محمد[2].

3-2- مهام القضاة:

من مهام القاضي الفصل في الأمور، التي تتصل بحياة الناس اليومية، فيحكم في الخلافات الشخصية من طلاق، وزواج، وديون، وقروض، وتجارة، وعقارات وما شاكلها[3].

وقد أورد صاحب مخطوط جامع فروع العلم، عن مهام القاضي بقوله:" وأما القاضي فهو نائب الإمام في تنفيذ الأحكام الشرعية، فإن كانت الأرض سائبة، كما في تنبكت، وما حولها، أوفي حكم السائبة ... فعلى القاضي أن يفصل في هذه المسائل..."[4].توضح لنا هذه المخطوطة، أن من مهام القاضي، لا تقتصرعلى الأحكام الشرعية فقط، بل لديه مهام أخرى منوطة به، وهي مراقبة التسيب في الزراعة، ونحوها[5].

ومن أهم، وأكبروظائف القاضي، كانت الإشراف على سيرالتعليم في البلاد، فهوالذي يعين المدرسين في منطقته، ويحصي الطلبة، ويساعد المحتاجين منهم، وكان كثيرا ما يتولى مهمة بناء المساجد للدراسة، والصلاة حسبما يراه من حاجة المنطقة إلى ذلك، أوإنه

---

(1) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 118 .
(2) نفسه، ص 76 .
(3) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 136 . ينظرأيضا:عبدالقادرزبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493 -1591)، ص 75.
(4) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 136 .
(5) نفسه، ص 136.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

يتولى توسيع مسجد من المساجد، وترميمه[1]،(كما رأينا في موضوع المساجد أن الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود رمم مسجدا سنكري و الجامع...الخ).أما شهرة القاضي فتنمو بحسب نزاهته[2].

3-3- رواتب القضاة:

للقضاة رواتب، الرحالة حسن الوزان، أورد أن رواتب القضاة كان يدفعها الملك من الخزينة، وهي رواتب محترمة، وقد تدفع من أموال الأوقاف. وهذا ما أكده صاحب مخطوط جامع العلم بقوله:" **يقدم للقاضي رزقه من الأوقاف المطلقة،... فإن لم توجد فمن أوقاف المساجد، وأما إعطاؤه من غيره...**"[3]، تبين هذه المخطوطة، أن رواتب القضاة تصرف من الأوقاف المطلقة، وإن لم تكن هناك أموال فمن أوقاف المساجد، أومن أي أموال.

3-4- أنواع العقاب:

العقاب يتفاوت بحسب الجرم الذي يقترفه الشخص، فالقاضي له تطبيق عقوبة السجن[4] أوالضرب بالعصا، أوالغرامة[5]. وعقاب الرجل الذي يمشي بالنميمة بين الناس يقبض عليه، وينقش بالحمرة، والسواد، والبياض، ويركبونه حمارا، ويطوفون به في البلد وينادون هذا جزاء من يمشي بالنميمة و كان هذا في عهد الأسقيا محمد الثاني(1537/1531)م[6]. أما عقوبة القاتل، والزاني، فهي الإعدام، والإعدام يكون بالخنق حتى الموت،أو قطع الرأس[7]. وكان خطيب المسجد له مكانة لا تقل عن القاضي، له الحق في الإفراج عن السجناء من قيدهم، وسجنهم[8].

---

(1)عبدالقادرزبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493 – 1591)م،ص76.

(2)Dubois,(F),op.cit.p326.

(3) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 139

(4) نفسه،ص 139.

(5)Janes,(G-J),op.cit.p.17.

(6) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 90.

(7)Janes,(G-J),Ibid,p.19.

(8)Barth,(H),op.cit.p.293.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3-5 - أبرز القضاة:

1)- القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت:- رحمهم الله- (سبق ذكره ضمن أبرز العلماء الذين رحلوا طلبا للعلم.)

2)- القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت :- رحمه الله- ولد القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي قاضي تنبكت في 909هـ/1503م- رحمه الله- تولى القضاء بعد أبيه... له تعليق على رجز المغيلي في المنطق، أخذ عنه أحمد بابا التنبكتي البيان، والمنطق، توفى رحمه الله- في عام 973هـ/1565م[1].

3)- القاضي العاقب بن محمود بن عمربن محمد أقيت:- رحمهم الله- القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى قاضي تنبكت، كان-رحمه الله- مسددا في أحكامه صلبا في الحق ثبتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم،... جسورا على السلطان فمن دونه، وقع له معهم وقائع، وكانوا يخضعون له، ويطاوعونه في كل ما أراد إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابه، ثم يلاطفونه حتى يرجع، ولد سنة 913هـ/1507م، وتوفى- رحمه الله- في عام 991هـ/1583م[2].

4)- القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت:- رحمهم الله- أخذ عن والده- رحمهما الله- ، تولى القضاء في تنبكت في عام 993هـ/ 1585م بعد الإباية، حتى كتب له أسكيا محمد الثالث(1582-1586)م،أنه إن لم يقبلها يوليها إلى جاهل، وكل ما حكم به الجاهل لا أسأل عنه غدا بين يدي الله تعالى إلا هو، توفى- رحمه الله- في عام 1003هـ/1595م[3].

وفي الأخير نقول صعوبة مهام القاضي،فالقضاة كانوا يتهربون،ويرفضون تولي هذا المنصب خوفا من الأخطاء، التي قد يقعون فيها،والقاضي يحكم بمبادئ الشريعة الإسلامية

---

(1) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، الجزء الثاني، ص 291 .
(2) نفسه، الجزء الأول، ص 399ومابعدها.
(3) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 178 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الرابع

الغزوالمغربي على مدينة تنبكت

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الرابع
- الغزوالمغربي على مدينة تنبكت -

1-أولى المناوشات بين سلاطيين المغرب وسلاطين سنغاي.

2- التجهيز للغزوودخول العاصمة غاو.ـ

3- دخول الباشا جودرتنبكت وبناء القصبة.

3-1- تنبكت في عهد الباشا جودر.

3-2- تنبكت في عهد الباشا محمود بن زرقوق.

3-3-1- إنتفاضة أهل تنبكت.

3-3-2- ثورة أبو بكر ولد الغنداس الطارقي.

3-3-4- التنكيل بالعلماء ونفي آل اقيت.

4- تنبكت أثناء الحكم المغربي:

4-1- المرحلة الأولى:(1591-1612)م.

4-2- المرحلة الثانية:(1612-1660)م.

4-3- المرحلة الثالثة:(1660-1780)م.

5- قضاة مدينة تنبكت على عهد الحكم المغربي.

6- أئمة مدينة تنبكت للمسجد الجامع ،على عهد الحكم المغربي.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مقدمة الفصل الرابع:

من خلال دراسة الأوضاع الاقتصادية لمدينة تنبكت، عرفنا أن المدينة كانت مزدهرة ومتطورة، واعتبرت مصدرا للثروات، وهمزة وصل بين دول شمال الصحراء، وجنوبها وربطتها علاقات تجارية ببعض الدول الأوربية،والمغربية ، فالتجار جاؤوها حاملين بضائع لبيعها، وأفكارا لنقلها،وبالتالي جمعت تنبكت بين التجارة،والثقافة،هذه الأخيرة حملها أهل المدينة نتيجة لالتقاء الأفكار القادمة من العرب، والبربر، والسود من السودان الغربي،ومنه أصبحت المدينة مصدرإشعاع ثقافي عظيم، لكن مع نهاية القرن 10هـ/16م، غزا المغاربة مملكة سنغاي بصفة عامة، وتنبكت بصفة خاصة.

وفي هذا الفصل سنتطرق إلى حملة المغرب الأقصى في عهد السلطان المنصور على تنبكت، وما خلفته من آثار،ومالهدف من وراء هذه الحملة التي يقال أنها كانت تستهدف مدينة تنبكت بالدرجة الأولى. لكن قبل هذا سنعرج عن أولى المناوشات بين سلاطين المغرب الأقصى وسلاطين إمبراطورية سنغاي، لأن هذا الغزو،أوالفتح كما يقال؟

ومع نهاية القرن 16م نتيجة لتوفرالإمكانيات،وأصبح المغرب الأقصى في حالة من القوة وضعف من جانب إمبراطورية سنغاي،هذه الأخيرة غزاها السلطان أحمد المنصوربجيشه.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1- أولى المناوشات بين سلاطين المغرب وسلاطين إمبراطورية سنغاي:

شهدت مملكة سنغاي بعد إقصاء السلطان محمد الكبيرمن الحكم على يد ابنه حالة من التصدع، في العلاقات داخل البيت الحاكم، إذ بدا عهد النزاع على كرسي المملكة، وبدأت الفوضى والمؤامرات، وبدأ التدهورفي أمورالدولة، فالأسقيون الذين تولوا بعد أسكيا الحاج محمد،لم ينجزوا أشياء تستحق الذكرلصالح المملكة، هذا من جانب، ومن جانب آخربدأت مناوشات سياسية بين ملوك سنغاي، والسلاطين السعديين، في فترة حكم مولاي أحمد الأعرج، هذا الأخير طلب من أسكيا إسحاق الأول(1539- 1549)م، تسليم ممالح تغازا للمغرب، فكان جواب أسكيا إسحاق، أن الذي يطلب مثل هذا الطلب من ملك سنغاي لا يمكن أن يكون مثل مولاي أحمد الأعرج، كما أن الذي يقبل هذا الاقتراح لا يمكن أن يكون الأسقيا إسحاق الأول، وقد أضاف إسحاق إلى جوابه بالقول،إرسال حملة من المهارية الطوارق، كانت متكونة من مائتي(200) محارب، فدخلت أراضي المغرب الجنوبية[1]،بالضبط جنوب شرق المغرب منطقة وادي درعة[2]، كإظهارللقوة ثم عادت بعد أن أغاروا على سوق، وأكلوا كل ما وجدوا في ذلك السوق من الأموال فرجعوا كما أمرهم، وما قتلوا أحدا[3].

واستمرت هذه المناوشات،والمضايقات المغربية لمملكة سنغاي،ففي فترة حكم أسكيا داوود(1549-1582)م، غض هذا الأخيرطرفه عن هذه المضايقات،وبعد أن اعتلى العرش المغربي مولاي أحمد المنصورسنة 1577م، عمد إلى تحقيق أغراض المغرب بالطرق السلمية،فبعث إلى داوود هدية بعشرة ألاف 10.000 وقية من الذهب[4]،وهناك من يقول عشرة ألاف قطعة ذهبية[5]،وأسكيا داوود قبل اقتراح مولاي أحمد،والمتمثل في

---

(1) عبدالقادرزبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591)، ص41ومابعدها.

(2)Ki-zerbo,(J),**Histoire de l'Afrique noire**,paris,1972,p.179.

(3) محمد مزين، "**بلاد المغرب وبلاد السودان خلال القرنين16-17 الميلاديين**"، مجلة المؤرخ العربي، 1987، العدد 31، ص217.

(4) عبدالقادرزبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، ص 44 ومابعدها.

(5) عبدالهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصورإلى اليوم**، المجلد الثامن"السعددين"، 1988، ص 240

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تأجيرممالح تغازا(تغازة) لمدة سنة واحدة، وظلت العلاقات الطيبة بين الطرفين[1]، وبعد وفاة أسكيا داوود، تولى أمر سنغاي أسكيا محمد الثالث(الحاج الثاني) (1582-1586)م هذا الأخير استقبل بعثة مغربية تحمل له هدية ضخمة من مولاي أحمد، وكانت هذه البعثة بمثابة بعثة استطلاعية تقصي أحوال مملكة سنغاي، ومدى قوة جيشها، والدليل على ذلك حسب قول الأستاذ الدكتورعبدالقادرزبادية، أنه بمجرد رجوع البعثة إلى المغرب، أرسل أحمد حملة متكونة من عشرين 20.000 ألف محارب[2]،وضمت هذه الحملة عددا من أسرى الأسبان [3]،إلى تنبكت، غيرأنها لم تنجح، ورجعت إلى مراكش، ثم أرسل مولاي أحمد حملة ثانية تتكون من مائتي200 فارس، وقد احتلت منطقة ممالح تغازة، لمدة قصيرة ثم انسحبت منها.

وبعد وفاة أسكيا محمد الثالث، خلفه في السلطة إسحاق الثاني(1588-1591)م إسحاق الثاني دخل في معركة نهائية مع مولاي المنصورالذهبي، وهذا بعد أن تلقى المنصور الذهبي رسالة من أحد المغاربة[4] يسمى ولدكرنفل(القرنفلي) سنة 1589م، الذي عاد من السودان الغربي، يخبره فيها بضعف مملكة سنغاي، وانقسام الأساقي على أنفسهم[5]، وعلى الفور بعث مولاي أحمد برسالة إلى الأسقيا إسحاق الثاني يطلب منه فيها بتسليم الممالح إلى المغرب الأقصى،والاعتراف بسلطة ملك المغرب على سنغاي، وعلل مولاي أحمد السبب الذي حدا به ليطلب تسليم منطقة الممالح إلى المغرب بحرص المغرب على حماية جنوبه من خطرالمسيحيين[6]،وأما صاحب الاستقصا، فيقول أن مولاي بعث برسالة لاسكيا إسحاق يأمره، فيها بإخراج مثقال من الذهب العين لكل حمل، لتستعين به عساكره على الجهاد[7].رد أسكيا إسحاق عل طلب السلطان برسالة كلها شتم، وأرفقها

(1) عبدالقادرزبادية، الحضارة العربية والتأثيرالأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، ص 45.
(2) نفسه ،ص 43 ومابعدها.
(3) يحيى جلال، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،1999،ص119.
(4) عبدالقادرزبادية،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591)، ص 49 ومابعدها.
(5) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص137.
(6) عبدالقادرزبادية،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591)، ص 51 ومابعدها.
(7) ابوالعباس أحمد بن خالد الناصري،**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**،تحقيق جعفرالناصري، ومحمد الناصري،دارالكتاب، الدارالبيضاء،1955، الجزء الخامس،ص 111.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بقبضة رمح ، وقطعة حديد يربط بها العبيد، في إشارة منه لاستعداده للقتال، فكانت الفرصة التي طال انتظارها، وعمل على توفيرأسبابها، فبعث حملته المشهورة بقيادة الباشا جودر، وقضت نهائيا على إمبراطورية الأساقي في سنغاي سنة 1591م[1].

أماالناصري فيرى أن جواب أسكيا إسحاق تأخر، فظن المنصور، أن أسكيا رفض الرد عليه، وهذا ما زاد غضب المنصور، وعزم على توجيه العساكرإلى السودان الغربي[2]. والمؤرخ عبد الرحمن السعدي،يعلل سبب تأخر جواب أسكيا إسحاق، وهذا نتيجة لنزول الثلج، وكاد رسول المنصورأن يهلك[3].

ويقال أنه، في محرم فاتح سنة 999هـ/1591م كتب أحمد المنصوررسالة إلى الفقيه العلامة أبي حفص عمربن الشيخ محمود بن عمرأقيت، يأمره بحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة[4]، وجاء **نص الرسالة** كما يلي:" **من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور... إلى القاضي عمر بن محمود بن عمر، أسعدكم الله بتقواه، وطاعته وعرفكم بركة الانضواء إلى حزب الهدى وجماعته بفتح البلاد المقفلة أرضا أرضا ونقيم من أعمال الجهاد، ومصالح البلاد نفلا، وفرضا ... رفيقكم وحزب الهدى قرينكم والسلام، وكتب في شوال عام ثمانية وتسعين وتسعمائة 998هـ** "[5]، لكن رسالة المنصور بقيت دون جواب[6].

يتضح من خلال هذه الرسالة ، أن أحمد المنصور يعتبرنفسه فاتحا، وما يقوم به هو جهادا في سبيل الله.

---

(1) عبدالقادرزبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقين(1493-1591)، ص 53.
(2) الناصري،المصدرالسابق، ص 112.
(3) عبد الرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 137.
(4) الناصري، المصدرالسابق، ص 122.
(5) عبدالعزيزلفشتالي، **مناهل الصفا في مآثرموالينا الشرفا**، تحقيق عبدالكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، دون تاريخ، ص 256 ومابعدها.
(6) عبدالهادي التازي، المرجع السابق، ص 259.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2- تجهيز الحملة ودخول العاصمة غاو:

جهز مولاي أحمد الذهبي بنفسه الجيش، إذ بدأ بتجهيز آلة الحرب من مدافع، والعجلات التي تحملها، والبارود، والرصاص، وكل ما يحتاج إليه الجيش من آلة السفر[1].

في أوائل عام 999هـ/1591م أرسل مولاي أحمد الذهبي ذلك الجيش في حملة كبيرة لغزو سنغاي، وهذه الحملة متكونة من 3000جندي، بين أصحاب الخيل،والرجل،والصناع،والأطباء[2]، وجعل الباشا جودر،ومعه نحوعشرة من القياد[3].أما صاحب الاستقصا، يقول أن الحملة خرجت في اليوم 16ذي الحجة سنة 998هـ/1590م،ونزلت العساكر بتعداد 20.000جندي،ومعهم من الملمين البحرية،والطبجية 2.000، وكان مجموع الجيش 22.000 جندي[4]، أما باقي المراجع الحديثة، فكل منها تعطي أرقاما مختلفة عن تعداد الجيش.منهم دي فيج يقول 4000جندي(5)،الجنرال الفرنسي فيدهرب يقول من 3000 إلى 4000 جندي[6]، أما كي-زربو فيقول،5600 جندي، ومن بينهم 1.500جندي مغربي[7].وفي المقابل، تجهز أسكيا إسحاق بـ 18.000فارس،و9.700 راجل[8]، أما عبد الرحمن فيقدر الجيش بـ 12.500من الخيل،و30.000راجل[9].

وصل الباشا جودر في 28 فبراير 1591م، وتوقف عند الضفة اليسرى من نهر النيجر[10]، ويقال أن الباشا جودر تجنب تنبكت، بالرغم من أهمية مينائها إلى كل من

---

(1) الناصري، المصدر السابق، ص 121.
(2) محمود كعت،المصدر السابق،ص146 .
(3) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق، ص 138.
(4) الناصري، المصدر السابق، ص 121.

(5)Fage,(J),op.cit.p28.
(6)Fahdherbe,(L),op.cit.p354.

(7)Ki-zerbo,(J),op.cit.p198.

(8) محمود كعت،المصدر السابق،ص147.
(9) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق، ص 140 .

(10)Ki-zerbo,(J),Ibid.p.199.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

النهروالصحراء، وتوجه إلى العاصمة قاو(غاو) عاصمة مملكة سنغاي، الباشا جودربعث إلى أسكيا رسالة طالبا التسليم طوعا لسيادة مولاي أحمد المنصور، تجنبا للكثيرمن سفك الدماء، لكن أسكيا رفض[1].

التقى الجيشان في مكان قرب تندبي[2]، انهزم جيش أسكيا إسحاق، وانسحب متجاوزا غاو،وبعد هذا النصرالسهل للباشا جودر،دخلت القوات المغربية مدينة غاو، هؤلاء الجنود نهبوامنازل المدينة، ودخلوا قصرغاو، في اعتقادهم العثورعلى أكوام من مسحوق الذهب،والثروة من أي نوع، لكن أصيبوا بخيبة أمل كبيرة[3]،ولم يجدوا في القص سوى إمدادات من الأرز،والزبدة،والعسل.وكانوا يتوقعون أن يجدوا مدينة غاو،مدينة كبيرة عامرة بالمباني شبيهة بمدنهم في الشمال،ولم يشاهدوا إلا أكواخا وضيعة مشيدة باللبن،والقش[4].وبعد ذلك انسحب الجيش المغربي من غاو،في بداية أفريل 1591م،متجها إلى تنبكت، وصل الجيش إلى القرب من المدينة، وأقام مخيما، في الجنوب من المدينة،وبقي الباشا جودارفي مخيمه هذا 35 يوما للاستراحة[5]، أما محمود كعت فيقول أن الجيش المغربي أقام في مخيمه 30 يوما كاملة[6].

3- دخول الباشا جودرمدينة تنبكت وبناء القصبة:

في يوم 6 شعبان 999هـ الموافق لـ 30 ماي 1591م،دخل الجيش المغربي مدينة تنبكت،وطافوا فيها، وطالعوها، ووجدوا أكبر عمارة حومة الغدامسيين،فاختاروها للقصبة وشرعوا في بنائها، وأخرجوا سكان الحومة من ديارهم[7].

---

(1) Castries,(H)," ***La Conquête du Soudan par El-Mansoir (1591)***",in Revue Hespéris, tome3,1923,p.450.

(2)عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص 140.

(3) Castries,(H), Ibid,p.452.

(4)عبد الرحمن زكي،**تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، المؤسسة العربية الحديثة،1961، ص 155.

(5) Castries,(H),Ibid,p.453.

(6)محمود كعت،المصدرالسابق، ص 155.

(7)عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق، ص 142 .ينظرأيضا:.Castries,(H),op.cit.p.454

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3-1- تنبكت في عهد الباشا جودر:(30ماي1591 – 17أوت 1591).

روى أن الباشا جودرأتى إلى الفقيه عمربن محمود، ودخل عليه، وقبل رأسه،ورجليه... وطلب منه دارا ليسكن فيها، خوفا من تلف بارود السلطان خاصة مع قرب موسم المطر، فقال القاضي: لست بملك، ولا أقدرإعطاءك دارأحد، يقول القاضي أدخل داري، إن كان مرادك فيها، أوادخل في البلد، وانظرأي موضع يعجبك، ...، ثم يضيف الراوي،خرج، وطاف في البلد، ومعه قومه، حتى دخلوا إلى موضع هذه القصبة وألقاها معمرا بل هوأعمر ديار تنبكت، وفيها بيوت، وقلبوه،وأعجبهم، وقطعوا منه مقدار هذه القصبة ثم أمروا أرباب تلكم البيوت بالانتقال، والرحيل، ويقول الراوي، أنه لا دار هناك إلا، وهي مملوءة بالمال العظيم من الملح، ... وغيرها، ولا يعلمها إلا مالكها[1].

يقول الراوي، اشتكى أهل المكان القاضي عمر-رحمه الله- أن يمهلهم وقتا حتى يجدوا بيوتا غيرها، **يقول الراوي**، أن القاضي عمر طلب إمهالهم شهرا، لكنهم رفضوا وأعطوهم 15 يوما فقط، غير أنهم لم يصبروا، وهجموا على البيوت في اليوم السابع خربوا البيوت، وأهانوا الناس، واستولوا على ما بقى من أموال الديار، وهدموا بعض الديار، ولا فتنة أعظم، ولا أكبرعلى أهل تنبكت[2]، وأحرقوا كل البلد بالنار، وذلك في يوم الجمعة 14 شعبان999هـ/ الموافق لـ 8 جوان 1591م[3]،وقاربوا ديارالقاضي عمر بالحريق[4].

جمع الباشا جودرعلماء تنبكت، وتجارها،ووظف عليهم العبيد، والخدم لبناء القصبة،ونفقة العبيد،منهم من كتب عليه عشرة من العبيد، ومنهم من وظف عليه سبعة سبعة، وخمسة عشروثلاثة من العبيد جعلهم يخدمون إلى صلاة العصر،وبعد صلاة العصرينادي ابن شواش،ويأتيه منهم أكثر من 40 شاوشا،ويأمرهم بسوق كل عبد إلى

---

(1) محمود كعت، المصدرالسابق، ص155.
(2) نفسه، ص 156.
(3) Deschamps,(H), **Histoire général de l'Afrique noire** , ٤ome 2: de 1800 à nos jours, paris,n.d. p.274.
(4) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 156.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مولاه ،ويقول قل لأربابهم أن يعشهم حتى يشبعوا، ويبكروا بهم، ويكون مع كل واحد منهم غذاءه،... وساقوهم إلى حمل الطين من الصبح إلى العشا إلى أن أنهوا البناء.ويضيف المؤرخ محمود كعت،أنه سمع من بعض شيوخ تنبكت، أنهم أخبروه،أن الباشا جودر قطع على تجار تنبكت وقت البناء ألفا ومائتين 1.200 صينية[1] كل شهر، وفي غده يفرقها على جنده تفرقة المؤنة،... فلما أتم بناء تلك القصبة ارتحل بجيشه كله إليها[2].

يقال أن السلطان مولاي أحمد المنصور،غضب من أداء الباشا جودر، الذي كان قد أرسل له سوى 100.000قطعة ذهبية، و 1000 عبد[3]، ولعدم ملاحقة أسكيا إسحاق[4].عزل السلطان مولاي أحمد الباشا جودر.

3-2- تنبكت في عهد الباشا محمود بن زرقون(17اوت 1591-1595)م:

أرسل السلطان مولاي أحمد المنصور،الباشا محمود بن زرقون، بعد أن وجهه،وأمره بإعادة الجيش إلى غاو وملاحقة أسكيا إسحاق. الباشا محمود غادر مراكش في جويلية 1591م،ووصل إلى تنبكت في 17 أوت 1591م، بعد أن قطع الصحراء في أقل من 50 يوما،الباشا محمود ترك القائد المصطفى في القصبة،وتوجه مع الباشا جودرإلى غاو.

3-2-1- انتفاضة أهل تنبكت:

اندلعت الفتنة بين أهل تنبكت، وبين القائد المصطفى التركي، بعد موت تنبكت منذ يحيى "يحيى ولد بردم"، الذي جاء مع أتباعه من الزغرانيين أهل يرو، في أكتوبر 999هـ/1591،حاول السيطرة على القصبة،لكنه فشل وقطع رأسه، وطيف به في شوارع المدينة[5]، فاشتكى أهل تنبكت إلى الفقيه القاضي أبي حفص عمر بن أبي البركات

---

(1) الصينية وحدة من وحدات كيل الحبوب،وكان اسكيا داوود يزن بها الحبوب التي يجنيها.الهادي المبروك الدالي،المرجع السابق،ص337.

(2) محمود كعت، المصدرالسابق، ص 157 ومابعدها.

(3) Ki-zerbo,(J),,op.cit.p.199.

(4) عبدالرحمن السعدي، المصددر السابق،ص144.

(5) عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص144. ينظر أيضا:Boubou,(H),op.cit.pp.-226-328

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

القاضي محمود بن عمر، فشاورالقاضي أصحاب الرأي فمنهم من أشار إلى قتالهم ومنهم من كف، وأمسك، فبعث القاضي عمر خديم الشرع، بأن لا ينتفضوا، إلا أن خديم الشرع بدل قول القاضي،وقال: أن الفقيه يأمركم بالجهاد، فابتداء القتال في محرم 1001هـ/1593م، واستمر إلى أوائل الربيع الاول1001هـ/1593م[1]، قتل أهل تنبكت من الجنود المغاربة 76جنديا[2]، ومن بين القتلى ولدكرنفل الذي جاء مع الباشا جودر،وبقى في تنبكت مع القائد المصطفى[3].

لما سمع الباشا محمود بن زرقون خبر ما جرى بين جنده وأهل تنبكت،ومحاصرة أهل تنبكت للقصبة، بعث القائد مامي بن برون، ومعه 324 جنديا[4]،لما وصل القائد مامي الى خارج مدينة تنبكت، وجد أن أهل تنبكت قد تصالحوا مع القائد المصطفى،دخل القائد مامي تنبكت بتاريخ 12ربيع الثاني1001هـ/ الموافق لـ 27 ديسمبر1593م، يقول المؤرخ محمود كعت، أن أهل تنبكت لما سمعوا بمجئ القائد مامي،هرب الكثير منهم في تلك الليلة خوفا، وتركوا أموالهم، وأولادهم،وأزواجهم، وما رجعوا إليها بعد ذلك، وبات الناس مفزوعين شاهرين، كانوا يتوقعون الشر، ولم يخرجوا من ديارهم إلا بعد صلاة العصر، وهذا بعد أن ناداهم الفقيه القاضي عمر، فأتوه جمعا، وكان من بينهم الفقيه محمد بغيغ-رحمهالله- يشاورهم على ما يفعلون. دخل عليهم غلام القاضي الموكل بالباب،وأخبرهم بأن القائد مامي، واقف بالباب،ومعه طائفة من قومه يستأذنون بالدخول لما دخل القائد مامي وجنده، كان مقاتلو تنبكت مستعدين للقتال، دخل القائد مامي على الفقيه القاضي، وقبل رأسه،وقال: أن الباشا محمود،والقياد يسلمون عليك،ويطلب منكم العفو،والغفران، فأتى القاضي إلى قومه، وقال:قطع الله تلك المحنة[5].ثم مشى القائد مامي إلى الزغرانيين،أهل يرو، فغزاهم، وقتل رجالهم، وأتى بنسائهم، وصبيانهم إلى تنبكت

(1) عبدالرحمن السعدي،نفسه،ص 155ومابعدها.
(2) محمود كعت،المصدرالسابق،ص 169 .
(3) عبدالرحمن السعدي،نفسه، ص 156 .
(4) نفسه، ص 157.
(5) محمود كعت، المصدرالسابق، ص 170 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وباعوهم بـــ 200 إلى 400 ودع[1].

3-2-2- ثورة أبو بكرولد الغنداس الطارقي:

جاء أبوبكر الغنداس الطارقي من رأس الماء[2]،لقتال القائد المصطفى في تنبكت، فتجهز القائد لهذا القتال، والتقى الجيشان عند" بئرالزبير" ،انتصرالقائد المصطفى على أبي بكر،وفر جيش أبوبكر بعد أن قتلوا الكثيرمنهم[3].

3-2-3- التنكيل بالعلماء ونفى آل أقيت:

في 22محرم1002هـ الموافق لـ23أكتوبر1594م،اجتمع الناس في جامع سنكري ليبايعوا السلطان مولاي أحمد المنصور، في ذلك اليوم بايعه التواتيون، والفزانيون والورقليون، أما الولاتيون ، والسودانيون فبايعه في اليوم الثاني.

أما الفقهاء،فقبضهم الباشا محمود بن زرقون بأمر من مولاي أحمد المنصور، في يوم24محرم1002هـ/24اكتوبر1594م،وعلى أصحابهم،وأبنائهم، وقسمهم إلى فئتين، فئة سيقت إلى وسط البلدة، وفئة ذهب بها إلى خارج البلد من جهة القبلة، وقتلوا العديد منهم وهم في طريقهم سائرون حتى وصلوا إلى حومة زم كنداستل.ومن الذين قتلوا ونكري يقال له اندف،وأحمد معيا، والفقيه محمد الأمين، والفقيه المصطفى[4] . أما القاضي عمر كان شيخا كبيرا يومئذ، وبه وجع الظهر، ولا يقدر على المشي فأركبوه بردونا صغيرا[5] والزاهد سيدي عبدالرحمن أخوه، في الفئة التي مضت إلى وسط البلد،والجميع كانوا مقيدين،ثم دخل الباشا في ديارهم فرفع جميع ما فيهن من الأموال، والمتاع والأثاث،اللائي لا يحصيها إلا الله تعالى ما بين أملاكهم، وأملاك سائرالناس من الودائع[6] وكتبهم[7].

---

(1) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 157.
(2) رأس الماء تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تنبكت،تبعد عنها بحوالي600 كلم.الهادي الدالي،المرجع السابق ص117.
(3) عبدالرحمن السعدي،نفسه، ص 164 ومابعدها. ينظرأيضا: Delafosse,(M),op.cit.p.246.
(4) نفسه ، ص 169.
(5) محمود كعت، المصدرالسابق،ص173.
(6) عبدالرحمن السعدي،نفسه،ص 170.
(7) الناصري، المصدرالسابق، ص 129.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وجردوا حرائرهم، وفعلوا بهن الفواحش، وذهبوا بهن إلى القصبة مع الرجال وسجنوا فيها ستة(6) أشهر[1].ثم نقلهم إلى مراكش، كان من بين المرحلين الفقيه العلامة أبوالعباس أحمد بن أحمد بن أحمد ثلاثة أحامد بن عمربن أقيت المدعو" أحمد بابا"(سبق ذكره ضمن مؤرخي مدينة تنبكت)، والفقيه أبوحفص عمربن محمد أقيت[2] وهناك من يقدرعدد العلماء المرحلين إلى مراكش بـ 169 عالما[3]، المهم أنهم حملوا مصفدين في الحديد، ومعهم حريمهم،وكان هذا في أواخرمحرم عام1002هـ/1594م،ووصلوا إلى مراكش في 1 رمضان1002هـ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف، ثم سرحوا في 21رمضان 1004هـ ففرحت قلوب المؤمنين بذلك، ولما دخل الفقيه أبوالعباس على المنصوربعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب، وبينه، وبينهم كلة مسدولة على طريقة خلفاء بني عباس، ومن تيشبه بهم، **فقال الشيخ:**" أن **الله تعالى** يقول:" **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب** "،فنزل المنصوررفعت الأستار، **فقال له الشيخ:"أي حاجة لك في نهب متاعي،وتضييع كتبي، وتصفيدي من تنبكت إلى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقي"**(4)، **فقال له المنصور:" أردنا أن تجتمع الكلمة، وانتم في بلادكم من أعيانها، فأن أذعنتم أذعن غيركم"**، فقال:"**الشيخ أبو العباس:" فهلا جمعت الكلمة بترك تلمسان فأنهم اقرب إليك منا "، فقال المنصور:" قال النبي–صلى الله عليه وسلم–:" أتركوا الترك ما تركوكم ". فامتثلنا الحديث، فقال أبو العباس:"ذاك زمان"، وبعده قال أبن عباس:" لا تتركوا الترك وإن تركوكم"**، فسكت المنصورو انفض المجلس[5].

ولما سرح الشيخ أبوالعباس تصدرلنشرالعلم، وهرع الناس إليه للأخذ عنه، ولم يزل بمراكش إلى أن مات المنصور،وخلفه ابنه زيدان بن المنصور، هذا الأخير سمح

---

(1) عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق، ص 171.
(2) الناصري، المصدرالسابق، ص 130.
(3) عبدالرحمن زكي،المرجع السابق،ص 163.
(4) الناصري، المصدرالسابق، ص 130. ينظرأيضا:.Mahmoud,(A),op.cit.p.28
(5) اليفراني،**نزهة الحادي بأخبارملوك الفرن الحادي**، تحقيق هوداس، باريس،1988 ،ص 93 ومابعدها. ينظر أيضا:عبد الهادي التازي،المرجع السابق، ص 269.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

لآل أقيت في الرجوع إلى بلادهم، بعد أن مات عدد منهم بمراكش، وقد كان الشيخ أبوالعباس يتشوق إلى رؤية بلدته، ويسكب العبرات عند ذكرها، ولم ييأس من روح الله في العودة إليها، ثم لحق تنبكت واستقربها إلى أن مات سنة 1036هـ/1627م- رحمه الله[1].

استولى الباشا محمود بن زرقون على الأموال التي جمعها من بيوت العلماء،ويقال أنه أفسد جميع هذه الأموال، ولم يبعث للسلطان مولاي أحمد المنصور سوى 100.000الف قطعة ذهب[2]، ويقدره الباحث كي- زربو بـ 100.000 مثقال ذهب يساوي470 كيلوغرام[3]،فغضب عليه السلطان مولاي أحمد، وعزله، وبعث القائد منصوربن عبد الرحمن للقبض عليه، وقتله، وإهانته[4].

4- تنبكت أثناء الحكم المغربي:

بعد دخول القوات المغربية مدينة تنبكت، أصبحت المدينة عاصمة للحكم المغربي منذ أول يوم احتلالها[5]، وعين على رأس المدينة باشا، الباشا يتولى الأمورالسياسية والإدارية في المدينة في حين الحكم الأعلى للمقاطعات ظل في يد أحد القادة[6]، والباشا يعين واليا، أو قائدا ينوب[7] عنه في تسييرالشؤون السياسية، والإدارية، وأمينا يكلف بأمورالمال[8] يسمى كوهياKohia، وقاضيا يفصل في أمورالشرع، وأكثرمن ذلك حامية عسكرية للدفاع عن المدينة ضد الهجمات الخارجية[9].

---

(1) عبدالهادي التازي،المرجع السابق، ص 270.
(2) عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق، ص 171.
(3)Ki-zerbo,op.cit.p.200.
(4) عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص 175.
(5) محمد بن عبد الكريم المغيلي،المصدرالسابق، ص13.
(6)Dubois,(F),op.cit.p.149.
(7) رزوق محمد،"**العلاقات العربية الافريقية في القرن السادس عشر(الوجود المغربي بالسودان الغربي كنموذج)**"،مجلة المؤرخ العربي،العدد الحادي والثلاثون،السنة الثانية عشر،1987م، ص 227.
(8)Dubois,(F),Ibid,p.149.
(9) رزوق محمد، نفسه ، ص 227.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وقد مرحكم هؤلاء الباشاوات بثلاث مراحل متمايزة:

4-1- **المرحلة الأولى (1591 - 1612)م:** كان الباشاوات في هذه المرحلة يعينون من طرف السلاطين مباشرة، وقد قضى الباشاوات أيامهم في القضاء على الثروات، التي كانت لا تكاد تنقطع ضد الحكم المغربي في مختلف جهات المملكة، أما المتأخرون منهم فأصبحوا يلاقون المؤامرات بشكل مستمرتقريبا من طوائف الجند التي كانت قيادتهم بتلك البلاد[1].

ومن الباشاوات الذين حكموا في هذه المرحلة:

1- الباشا جودر (30ماي 1591م- 17 أوت 1591م).(سبق ذكره).

2- الباشا محمود بن زرقون (17أوت1591-1595م).(سبق ذكره).

وصل القائد منصور إلى مدينة تنبكت في 12 مارس 1595م، فتلقاه الباشا جودر، سكن القائد منصورتنبكت، وكان رجلا مباركا عدلا، وأمسك أيدي الظلمة،والفسقة عن المسلمين، ثم دخل في خلاف مع الباشا جودر، فكتب للسلطان مولاي أحمد، ففرق بينهما بقوله حكم الأرض لجودر، حيث هوفتحها، وحكم الجيش للقائد منصور،توفى القائد منصور في عام 1005هـ[2]-الموافق لـ 9 نوفمبر 1596م، وقيل أن جودرأطعمه السم[3].

3- الباشا محمد طابع (1597-1598)م:أرسل مولاي أحمد الباشا، محمد طابع، ومعه 1000جندي من المشاة، والخيالة، وصل محمد طابع إلى تنبكت في 19 جمادى 1006هـ الموافق لـ 28ديسمبر 1597م، توفى محمد طابع في 5 شوال 1006هـ الموافق لـ 11ماي 1598م، وقيل أن جودر أطعمه السم هوالأخر[4].

4- الباشا عمار(1598-1599)م:وصل الباشا عمارإلى مدينة تنبكت في 1007هـ/

---

(1) محمد بن عبد الكريم، المصدرالسابق، ص 13ومابعدها.

(2) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص176.

(3)Boubou,(H),op.cit.p330.;Delafosse,(M),op.cit.p.249.

(4) عبد الرحمن السعدي، نفسه، ص 182ومابعدها. ينظرأيضا:Boubou,(H),Ibid.p331

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1598م،ومكث في السلطة سنة وشهرين. وفي فترة حكمه طغى وتمرد القائد المصطفى الذي جاء مع الباشا محمد الطابع في ديسمبر 1598م، وأصبح لا يبالي بأحد، فبلغ هذا السلطان مولاي أحمد، فأرسل السلطان أحمد، الباشا سليمان.

5- الباشا سليمان(1599-1604)م :أرسله السلطان أحمد المنصوروأمره بالقبض على القائد المصطفى التركي،وإرساله إلى السلطان، الباشا سليمان وصل تنبكت عام 1008هـ/1599م، ومعه 500جندي[2].

6- الباشا محمود لنك(1604-1612)م: وصل الباشا محمود لنك إلى تنبكت في يوليو(جويلية) 1604م، ومعه 300 جندي، مات مطعونا بعد أن حكم 8أعوام، وسبعة أشهر، وهوآخرالباشاوات من مراكش[3].

خلال هذه المرحلة، وفي الفترة المحددة بـ (1591-1599)م، بلغ عدد القتلى في صفوف الجيش المغربي 23.000 جندي، وهذا باعتراف من مولاي زيدان بت مولاي أحمد المنصور للمؤرخ السوداني أحمد بابا[4].

في الأخير نخلص إلى القول:

في هذه المرحلة الأولى من الحكم المغربي على تنبكت،تعاقب عدد من الباشاوات المعنيين من طرف السلطان مولاي أحمد المنصور، وكل هؤلاء الباشاوات مكثوا فترات حكم قصار، وأغلبيتهم قتلوا، وهذا بدل على أن حكمهم لم يعرف الاستقراروالأمن، فهي فترة كلها قتل وغدر.

4- 2- **المرحلة الثانية(1612-1660)م:** الباشاوات في هذه المرحلة يعينون من طرف طوائف الجند [5]، وغالبا ما يتناولهم التغيير[6]. ومن بين الباشاوات نذكر:

---

(1) عبدالرحمن السعدي، المصدرالسابق، ص 182ومابعدها. ينظرأيضا:Boubou,(H),op.cit.p331
(2) عبدالرحمن السعدي نفسه، ص 189 ومابعدها. ينظرأيضا:.Ibid,p331، ينظرأيضا:
Delafosse,(M),op.cit.p.249.
(3) عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص 191 ومابعدها. ينظرايضا:.Boubou,(H),Ibid.p.331
(4) عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص 191.
(5) مونتاي،المرجع السابق، ص60 .
(6) عبدالرحمن السعدي،نفسه، ص 220 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1- الباشا علي بن عبدالله التلمساني (1021-1027)هـ،(1612-1617)م: الباشا علي عينه الجيش، وعزل في عام 13 مارس 1617م، بعد أن حكم خمس سنين إلا شهرين.

2- الباشا أحمد بن يوسف العلجي(1026-1027)هـ،(1617-1618)م:

في فترة حكمه شهدت البلاد جفافا، خرج الناس للاستسقاء وبقوا فيها نحو 14 يوما لا تزداد السماء إلا صحوا،ثم سقوا قليلا فكان فيه غلاء مفرط في تنبكت،هلك في هذه المجاعة خلق كثير،فأكل الناس ميتة البهائم، وحتى الآدميين،ونزل الصرف إلى 500 ودعا، ثم صار وباء فمات منه كثير من الناس بغيرجوع،واستمرالغلاء سنتين، وفرغ المال من أيدي الناس وباعوا أثاثهم، وأمتعتهم، واتفق الشيوخ على أنهم لم يروا مثله قط،ولا سمعوا بمثله من الأشياخ قبلهم. عزل الباشا أحمد بن يوسف من طرف الجيش، بعد أن مكث في السلطة 6سنوات، وأربعة أشهر[1].

3- الباشا حد بن يوسف الاجناسي(1027هـ/1618م): حكم مدة عام،وتوفى في جانفي 1619م[2].

4- الباشا محمد بن أحمد الماسي(1028-1030)هـ، (1619-1621)م:عين باتفاق من الجيش، وقتل على يد كبراء الجيش، وعلق في السوق في يوم 4نوفمبر 1621م[3].

5- الباشا يوسف بن عمر القصري(1031-1036)هـ،(1622-1627)م: مكث في السلطة 5سنوات،وخمسة أشهر.

6- الباشا إبراهيم بن عبدالكريم الجراري(1036-1037)هـ،(1627-1628)م:عين باتفاق من الجيش عام 1036هـ/1627م، وعزل بعد سنة[4].

7- الباشا علي بن عبدالقادر: بقي في السلطة 4 سنوات.

8- الباشا علي بن مبارك الماسي: مكث في السلطة 3اشهر.

9- الباشا علي سعود بن أحمد عجمرد الشرقي.

---

(1) عبدالرحمن السعدي، المصدرلسابق، ص 220 ومابعدها.

(2)Boubou,(H),op.cit.p.335.

(3) عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص 224. ينظرأيضا،Boubou,(H),Ibid.p.335

(4) نفسه، ص 227 ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

10- الباشا عبدالرحمن بن القائد أحمد بن سعدون الشاظمي: مكث في السلطة سنة واحدة فقط[1].

11- الباشا سعيد بن علي المحمودي: حكم سنة واحدة.

12- الباشا مسعود بن منصورالزعري(1046-1053)هـ،(1636-1643)م.

13- محمد بن محمد بن عثمان(1053-1055)هـ،(1643-1645)م.

14- الباشا أحمد بن الباشا علي بن عبدالله التلمساني:مكث في السلطة سنتين.

15- الباشا حميد بن عبدالرحمن الحيوني: حكم سنة واحدة.

16- الباشا يحيى بن محمد الغرناطي: حكم ثلاث سنوات.

17- الباشا أحمد بن الباشا حد بن يوسف الاجناسي:حكم ثلاث سنوات.

18- الباشا محمد بن موسى: مكث تسعة أشهر.

19- الباشا محمد بن أحمد بن سعدون الشاظمي[2].

اعتبارا من تاريخ 1621م،بدأت سلسلة من الثورات العسكرية، وقتل الباشاوات لبعضهم البعض، هذا ما أسرع في زوال السلطة في المنطقة ما بين تنبكت، وجني . وكان الباشاوات يمارسون السلطة عن طريق العنف[3]، وتزايد الفوضى، والاغتيالات[4].

في الأخير نقول أن الباشاوات أصبحوا يعينون من طرف أكابر الجيش، و هؤلاء الباشاوات حكموا فترات قصيرة، حيث هناك من حكم 3 أشهرفقط، وهذا يدل على عدم الاستقراروالأمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى شهدت مدينة تنبكت سنوات من القحط، والمجاعة، متسببة في انتشار الأوبئة ، والأمراض، وبالتالي مات خلق كثير.

---

(1) عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص 228 ومابعدها.
(2) نفسه، ص256 ومابعدها.

(3)Boubou,(H),op.cit.p.335.
(4) Deschamps,(H), Histoire générale de l'Arique,tome2.p.275 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4-3- **المرحلةالثالثة(1660-1780)م:** في المرحلة الثالثة من حكم الباشاوات عرف حكمهم في السودان الغربي بالضعف، وأصبحت سلطتهم لا تكاد تتجاوزحدود تنبكت وضواحيها القريبة[1]، ويذكر الباحث حسن أحمد محمود، أن عدد الباشاوات الذين تعاقبوا على حكم تنبكت في المدة 1660م إلى غاية 1750م مائة وثمانية وعشرون (128) باشا[2]. هذا يعني أن كل باشا حكم بمعدل 8 أشهر.

5- قضاة مدينة تنبكت على عهد الحكم المغربي:

القضاة الذين تولوا منصب القضاء في عهد الحكم المغربي على المدينة منهم:

1)- القاضي محمد بن أحمد بن القاضي سيد الرحمن:-رحمهم الله- تولى منصب القضاء بأمرمن الباشا محمود،توفى-رحمه الله- في 1016هـ/1607م،بعد أن مكث في القضاء 15 سنة[3].

2)- القاضي محمد بن أندع محمد بن أحمد بري:-رحمهم الله- كان عالما،فاضلا فقيها،محدثا،قاضيا،تولى القضاء في تنبكت عام1016هـ/1607م[4]،هوالأخرتولى بأمر من الباشا محمود لنك،توفى-رحمه الله- في 7شوال 1020هـ/1611م، مكث 4سنوات في القضاء[5].

3)- القاضي الفقيه العالم سيد أحمد بن أندع بن أحمد بري:-رحمهم الله-تولي أمر القضاء بعد وفاة أخيه القاضي محمد-رحمه الله-تولي في 12شوال 1020هـ/1607م مكث في القضاء4 سنوات، توفى عن عمر67سنة، ومكث في القضاء 27 سنة[6].

---

(1) محمد عبد الكريم المغيلي، المصدرالسابق، ص 15.
(2) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 125.
(3) عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق، ص 211ومابعدها.
(4) البرتلي الولاتي،المصدرالسابق، ص 109.
(5) عبدالرحمن السعدي،المصدرالسابق،ص 219ومابعدها.
(6) نفسه، ص 232.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4)- القاضي محمد بن محمد بن محمد كري:- رحمهم الله- ولاه منصب القضاء الباشا عبدالرحمن بن القائد أحمد بن سعدون الشاظمي، تولى وهو ابن 50 عاما،وتوفى-رحمه الله- عن عمر67سنة، مكث في القضاء 17سنة.

5)- القاضي عبدالرحمن بن الفقيه أحمد معيا:- رحمهم الله- ولاه الباشا أحمد بن الباشا حد،تولي منصب القضاء وعمره 73سنة[1].

6- أئمة مسجد الجامع الكبيرعلى عهد الحكم المغربي:

أول الأئمة الذين تولوا على أيدي المغاربة للجامع الكبيرنذكر منهم:

1)- الإمام محمود بن الإمام صديق بن محمد تعل:-رحمهم الله- ولاه القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبدالرحمن-رحمه الله- بعد وفاة أخيه الإمام أحمد في العام 1005هـ/1596م، مكث في منصب الإمامة 26سنة.وتوفى-رحمه الله- في 1028هـ/1619م[2].

2)- الإمام عبدالسلام بن محمد دك الفلاني:-رحمهم الله- كان نائبا للإمام محمود صديق لفترة طويلة،توفى في 1032هـ/1623م، مكث في الإمامة 4سنوات[3].

3)- الإمام سيد علي بن عبدالله سر بن الإمام سيد علي الجزولي:-رحمهم الله-تولي الإمامة في عام 1035هـ/1625م،توفى في سنة 1052هـ/1642م، بعد أن أمضى 16سنة في الإمامة[4].

---

(1) عبدالرحمن السعدي، نفسه،ص308.
(2) نفسه،ص241.
(3) نفسه، ص241 ومابعدها.
(4) نفسه، ص309.ومابعدها.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جل المراجع،التي تناولت هذا الغزو، ترى أنه أضعف المدينة،بعد أن كانت مركزا للثقافة الإسلامية بدلا من أن يقويها[1]، واضمحلت[2]، وشهدت دمارا، وخرابا، ولم يبق إلا قليل مما كان فيها من العلم، والثقافة[3]، وتعرض اقتصادها لنكسة كبيرة، ودمرت الطرق التجارية الموصلة الرابطة بينها وجني،وغاو[4].وتقول إحدى الحكايات المتوارثة بين قبائل السونغاي(السنغاي)،عن هذا الغزو" **أن كل شئ بعد ذلك قد تغير...،وحل الخوف والخطرمحل الأمان والطمأنينة...كما حل الفقر محل الثراء والغنى... وبدلا من السلام،لم يعد هناك شئ سوى الحزن،والعنف،والكوارث الكبرى...**"[5].

وفي الأخير نقول ابتدءا من تاريخ 1660م أصبحت سلطة الباشاوات محدودة لا تتجاوزحدود مدينة تنبكت، وتعاقب على حكم هذه الأخيرة في هذه المرحلة 128باشا،واستمرحكمهم إلى غاية 1780م،ومنه يلاحظ أن كل باشا حكم بمعدل 11 شهرا وهذا دليل على عدم الاستقرار في حكمهم، وهؤلاء الباشاوات هم الذين يعينون الأئمة والقضاة.

---

(1)كارل بروكلمان،**تاريخ الشعوب الإسلامية**،ترجمة أمين فارس،وأميرالبعلبكي،الطبعة الرابعة،دارالعلم للملايين،بيروت1955، ص 639.

(2)أحمد شلبي،المرجع السابق، ص 196.

(3)بازل دافيدسون،المرجع السابق،ص 161.

(4)Fage,(W).op.cit.pp29-30.

(5)جوان جوزيف،**الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**،ترجمة مختارالسويفي،الطبعة الأولى، دارالكتب الإسلامية،دارالكتاب المصري،القاهرة،دارالكتاب اللبنانية،بيروت،1984م. ص 86.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

خاتمة:

بعد هذه الدراسة خرجنا بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات:

– أن مدينة تنبكت، مدينة حديثة النشأة، أنشأها طوارق مغشرن في أواخرالقرن الخامس الهجري العاشرالميلادي، أخذت أسمها من تلك العجوزالبربرية التي كانت تقيم عند بئر كان ينزل عنده الطوارق ليرتووا من مائه، ويملؤون منه قربهم، وهؤلاء الطوارق كانوا عندما يغادرون المكان يتركون أمتعتهم عند تلك العجورلتحرسها لهم ،هذه العجوزعرفت بالأمانة،ومع مرورالزمن عرف المكان باسمها، تطورالمكان ليصبح مدينة كبيرة لها شأن عظيم فيما بعد.

– أن مدينة تنبكت تقع على الحافة الجنوبية من الصحراء الكبرى،تحط بها القوافل التجارية،وبالتالي هي عبارة عن محطة تقف فيها القوافل الآتية من الشمال،وهذا يعني أنها همزة وصل بين الشمال الصحراء وجنوبها.هذا من جهة،ومن جهة أخرى هي تقع بالقرب من نهرالنيجر،الذي سهل ونشط حركة التنقل بين مختلف المراكزالسودانية الموجودة هناك. ومنه نستطيع القول بأن مدينة تنبكت هي محطة تجارية تصلها القوافل القادمة عبر الصحراء،والقوافل الآتية عبرالنهر.

– سكن مدينة تنبكت العديد من الأجناس من العرب والبربرالقادمين من الشمال الإفريقي،بالإضافة إلى سكان السودان الغربي السوننكيين،والماندينغ،هؤلاء تزاوجوا فيما بينهم،وبالتالي اختلطت الدماء العربية،والبربرية بدماء السودانيين،وكانت هناك عناصرمن الموريون القادمون من غرناطة بعد سقوطها،ووجود تجارمن ايطاليا، ومنه نقول أن المدينة سكنها عدة أجناس.

– مدينة تنبكت في بداية أمرها كانت فيها بنايات من الأخشاش،والزرائب،ومع مرور الزمن تطورت،وأصبحت هناك مباني كبيرة واسعة،منها ذات طابق واحد،وأخرى بطابقين، هذه المباني مصتفة في شوارع طويلة،ونظيفة، وبها عدة حومات..وهناك أكواخ وخيام يسكنها الفقراء والعبيد.

– أصبحت مدينة مركزا كبيرا من مراكزالعلم،وخاصة في عهد السلطان منسى موسى الذي شملها برعايته،فأمر ببناء مسجد كبير،وجلب إليها العلماء،والمهندسين...الخ، فأصبح هذا المسجد فيما بعد معهدا علميا تخرج منه مشاهير الفقهاء، والأدباء،الذين بنوا نهضة

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

علمية وأدبية رائعة في السودان الغربي في أواخرالقرون الوسطى بشكل خـــاص، وبعـــد سقوط مملكة مالي، سيطرعليها الطوارق المؤسسون، هم بـــدورهم اهتمـــوا بهـــا،ودعموا علماءها، وحفزوهم على طلب العلم،والمعرفة.وبعد ضعف حكمهم احتلها سني علي.

خضعت مدينة تنبكت لحكم مملكة سنغاي على عهد الأسقيين،في نهاية القـــرن 15م،وفـــي القرن الموالي زادت المدينة تطورا وازدهارا في الجانبين الاقتصادي،والثقافي.

1- الجانب الاقتصادي:

- أفرزت الدراسة إلى وجود العديد من المحاصيل الزراعية،منها الحبوب، والخضروات هذه المحاصيل كانت تسقى بمياه النيجر،وهي لا تكفي لسد حاجيات السكان لذا يلجأ سكانها إلى استراد بعض المحاصيل من المناطق المجاورة لها.

- بينت الدراسة وجود و انتشار عدد من محلات الصناع والحـــرفيين، فهنـــاك محـــلات مخصصة للخياطين، وأخرى للنساج. وهناك محلات مخصصة للذين يشتغلون بـــصناعة الأحذية،وترقيعها،وكذا يصنعون أغماد السيوف...الخ.

- وجد بالمدينة الكثير من الحدادين، الذين يصنعون العتاد الفلاحي مثل: المحاريث ويصنعون الأدوات المنزلية مثل:المكانس،والصناديق...الخ.

- عرفت المدينة صناعة مختلف أنواع السفن الصغيرة،والكبيرة، فمنها المخصصة لنقـــل وجمع المحاصيل الزراعية،وأخرى مخصصة للحروب والتوســـعات،والبعض الأخرلنقـــل المسافرين .فالسفن الكبيرة تصل حمولتها مابين 6 إلى 10 أطنان ، وهنـــاك مـــن تـــصل حمولتها إلى 30 طن،وهذه حمولات كبيرة في ذلك الزمن.

- أثبتت الدراسة أن المدينة كانت عبارة عن سوق كبير،وهذا بعد أن حلت محـــل بيـــرو تجار بيرو تحولوا إلى مدينة تنبكت الوليدة وهذا منذ قيامها، وواصـــلت المدينـــة تألقهـــا التجاري، وزادت حركتها التجارية في القرن 10هـــ/16م،حينما خضعت التجـــارة لعـــدة قوانين وتنظيمات كان قد أقرها حكام سنغاي على عهد الأسقيين، وخاصة في عهد الأسكيا الحاج محمد الكبير،والذي نظم الأسواق، ووضـــع المفتـــشين دون تـــدخل الـــسلطة فـــي المعاملات التجارية.وزاد انشاط التجاري في عهد ابنه الأسكيا داوود الذي عرف عهـــده بعهد القافلة.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

– بينت الدراسة وجود عدد من التجار الأجانب،والسماسرة هؤلاء هم كثيرون فمنهم النساء والأطفال، السماسرة يلعبون دور الوساطة بين أصحاب المحلات والعقارات،والراغبين في الكراء. وفي بعض الأحيان يشتري هؤلاء السلع ويختزنونها حتى ترتفع أثمانها في الأسواق ثم يخرجونها ويبيعونها، وقد تصل نسبة فوائدهم إلى 100%.وهناك التجار المتجولون الذين يتنقلون بسلعهم من حومة إلى أخرى.

– أفادت الدراسة إلى أن هناك ضرائب مفروضة على مختلف السلع الداخلة إلى المدينة إلا أنها اختلف قيمتها،فالضرائب الآتية من شمال الصحراء كانت تدفع ضريبة قدرها 4%على كل سلعة لها قيمة،أما السلع القادمة من الجنوب تدفع 2%.

– مدينة تنبكت كانت تفتقر كثيرا للملح الذي كان يأتي به تجار الشمال، وكان يباع في أسواق تنبكت بأسعار مرتفعة جدا وفي أغلب الأحيان يبدل بالذهب الذي موجودا بشكل كبير جدا، وكان الملح يجلب من ممالح تغازا،وتاوديني،وأوليل.

– بينت الدراسة أن هناك سلعة جلبت إلى مدينة تنبكت،وقيمتها تضاهي أو تفوق قيمة وأسعار الملح، أنها الكتب،التي جلبت إليها من الشمال الإفريقي. فأهالي كانوا يتسابقون ويتنافسون على اقتنائها، وهذا يدل على حب أهل تنبكت للكتب.

– مدينة تنبكت بها الكثير من الذهب الذي كان يأتي إليها من بامبوك وبوري،ونتيجة لوفرته بالمدينة بودل بالملح الذي يأتي به تجار الشمال الإفريقي.

– أثبتت الدراسة أن مدينة تنبكت على اتصال بدول الشمال الإفريقي،هذا الاتصال سهلته مختلف المسالك والدروب التي ربطتها بمراكز تجارية في دول الشمال مثل تلمسان وطرابلس،وفاس. هذه الدروب كانت تسيربها القوافل التجارية والمحملة بمختلف السلع. وهناك طريق نهري ربط مدينة تنبكت بالمراكز السودانية الأخرى جني،وغاو...الخ.

– بينت الدراسة أن تجار تنبكت كانوا يتعاملون بنظامين تجاريين هما: نظام المقايضة أي تبديل سلعة بأخرى.ونظام البيع والشراء باستخدام الودع كعملة تجارية.

من هذه الدراسة يتبين أن مدينة تنبكت عرفت تطورا كبيرا في الجانب الاقتصادي منذ نشأتها لكن هذا التطور برز بشكل كبير، وأكثروضوحا في عهد حكم سلاطين إمبراطورية سنغاي على عهد الأسقيين، وخاصة في فترة حكم الأسقيا الحاج محمدالكبير،وابنه داوود بن الحاج.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2- الجانب الثقافي:

- وجود عدة مساجد بمدينة تنبكت،هذه المساجد كانت تقام فيها الـصلوات والـدروس.و مسجد سنكوري أصبح كجامعة تستقطب الكثيرمن الطلبة القادمين من المناطق المجـاورة وحتى من دول الشمال الإفريقي.

- بينت الدراسة أن هذه المساجد بنيت من طرف شخصيات محبة ومنافسة لفعل الخير.

- تولى منصب أئمة المساجد عدد من العلماء القادمين من الشمال الإفريقي.

- مدينة تنبكت بها عدد من المدارس،هذه المدارس ارتبطت بالدين الإسلامي، فإلى جانب كل مسجد هناك دورلتعليم الأطفال.

- أثبتت الدراسة أن التعليم يتم في مرحلتين متمايزتين، المرحلة الابتدائية التـي يـشترط فيها السن، حيث كان الأطفال لا يتجاوزن مرحلة الصبا.ومرحلتا التعليم الثانوي والعـال والتي لا يشترط فيها عامل السن.

- أفرزت الدراسة أن الطلبة الذين ينهون دراستهم يحصلون على شـهادات أو إجـازات تأهلهم للحصول على وظائف، وهناك شهادات عامة وأخرى خاصة.

- المناهج هي نفسها التي كانت تدرس في الجامعات العربية في الشمال الإفريقي.

- انتشارعدد من المكتبات، منها المكتبات العامة التي أقامهـا بعـض حكامها،ومكتبـات خاصة والتي أقامتها بعض الأسر التنبكتية المحبة للعلم.

- بينت الدراسة أن بالمدينة عددا من العلماء الذين جاؤوا من دول الشمال الإفريقي هؤلاء منهم الأئمة و منهم المدرسون .

- التعليم في تنبكت بداية أمره كان بيد هؤلاء العلماء القادمين من مختلف الدول العربية.

- أثبتت الدراسة أن حكام مدينة تنبكت شجعوا أبناء مدينتهم على الرحلة في طلب العلـم من مختلف الجامعات العربية الإسلامية. وعند عودتهم تولوا التدريس في مختلف مدارس المدينة ومساجدها .

- بينت الدراسة وجود عدد من المؤرخين الذين أرخوا وكتبوا تاريخ المدينة، كتبوا كتبهم بنفس الأسلوب العربي في الكتابة.

- كان بالمدينة عدد من القضاة الذين كانوا يقومون بعدة أعمال، ومنصب القضاء منصب صعب يتهرب منه العلماء خوفا من الخطأ ومنه العقاب الرباني.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

– يجب أن تتوفرعدة شروط في القاضي أن يكون عالما،فقيها. متحلين بالنزاهة.والورع.

– القاضي له مهام منها: الحكم في المعاملات اليومية بين الناس مثلـــه البيـــع، والـــشراء والزواج، والطلاق، ومراقبة الأوزان والمكاييل في الأسواق، ومعاقبـــة الجـــاني، وحـــل النزاعات التي تحدث بين التجار، وأكبر، وأعظم مهام يقوم بها القضاة هي الإشراف على التعليم في المدينة، ومساعد الطلبة المحتاجين.

– أثبتت الدراسة أن العقوبات تختلف بحسب الجرم الذي قد أحدثـــه الجـــاني، وتـــصل العقوبات إلى الإعدام.

– بينت الدراسة أن آل أقيت سيطرت على منصب القضاء لعدة سنوات. هذه العائلة كـــان بها عدد كبير من الأئمة والقضاة.

عرفت المدينة ازدهارا وتطورا كبيرين في الحياة الثقافية، إذ أصبحت مركـــزا ثقافيـــا كبيرا في جنوب الصحراء، هذا المركزكان مزارا للعديد من العلماء من الشمال الإفريقي وحتى من المناطق القريبة منه في السودان الغربي.

ازدهار وتطورمدينة تنبكت لم يدم طويلا، فمع أواخر القـــرن 10هـــ/16م خـــضعت المدينة لحكم سلاطين المغرب الأقصى.

3- الغزوالمغربي على المدينة:

– إن الغزوالمغربي على مملكة سنغاي عامة، ومدينة تنبكت خاصة هو هدف الـــسلاطين السعديين ابتداء من حكم السلطان أحمد الأعرج،وتواصل هذا الهدف فـــي الفتـــرة حكـــم السلطان أحمد المنصور هذا الأخيرتمكن من إيجـــاد ذريعـــة أدعائـــه النـــسب الـــشريف تبررغزوه للمنطقة.

– أثبتت الدراسة أن الهدف من هذا الغزوهوالسيطرة على ثروات المنطقة مـــن الـــذهب والملح.وهذا الأخيرتنازع عليه سلاطين المغرب مع سلاطين سنغاي منذ النـــصف الأول من القرن 10هـــ/16م

– عدم التكافؤ في القوة مكن الجيش المغربي من سحق قوات ســـنغاي ، كـــان الجـــيش المغربي مجهزا بالأسلحة النارية والمدافع في حين كان الجيش السنغاي مسلحا بالـــسيوف والرماح.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

– بينت الدراسة أن الجيوش المراكشية استولت على أموال سكان مدينة تنبكت ، وأمـــوال العلماء وهذا لبناء القصبة ، وإرسال بعضها إلى السلطان منصورالذهبي.

– قتل وإهانة العلماء والاستيلاء على أموالهم، والاعتداء على حرماتهم، وحبـــسهم فـــي القصبة ثم إرسالهم مصفدين بالسلاسل إلى مراكش.

– شهدت مدينة تنبكت العديد من الثورات رفضا الاحتلال المراكشي ، لكن هؤلاء قمعـــوا هذه الثورات بوحشية كبيرة.

– خضعت المدينة لحكم الباشاوات ، وهذا الحكم استمر إلى غاية عام 1780، هذا الحكـــم لم يعرف الاستقرار، فكانت هناك ثورات مناهضة للاحتلال المغربي ، هذا مـــن جانـــب ،ومن جانب أخر ظل الباشاوات في حالة من الصراعات على منصب الباشا .وبداية مـــن تاريخ 1612م ، أصبح الباشاوات يعينون من طرف قادة الجيش ، بعد أن كانوا يعينـــون من طرف السلطات المغربي ، وبالتالي شهد الحكم حالة من الانفلات وعدم السيطرة على الوضع هناك . هذا من جهة ومن جهة أخرى أصاب المدنية الجفاف بالإضافة إلى الغلاء في المعيشة ، وانتشار المجاعة و الأوبئة .

– فترات حكم هؤلاء الباشاوات كانت قصيرة جدا . وهناك من الباشاوات من حكم مـــدة 3أشهر فقط.

– بينت الدراسة أن أئمة المساجد والقضاة ، كانوا يعينون بأمر من الباشاوات.

– كل المصادر،والمراجع التي تناولت موضوع الحملة المراكشية على مملكـــة ســـنغاي اعتبرتها غزو،ونتج عنه دمار،وخراب،وشل الحركة التجارية التي كانت نشطت قبل هـــذا الغزو، وقطع للطرق التجارية الواصلة من،والى مدينة تنبكت، وبالتالي عزل المدينة عـــن أهم المراكزالتجارية الواقعة في الشمال والتي ربطتها علاقات تجارية متبادلة.وكذلك قتـــل وإهانة، والتنكيل بالعلماء. هذا كله دليل علي أن هذه الحملة هي غزو ولـــيس فـــتح كمـــا يعتبره البعض.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الملاحق

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الملاحق:

01- ملحق رقم:01.- مما ورد نصه عن مدينة تنبكت في كتاب" وصف إفريقيا"للرحالة الغرناطي الحسن الوزان ،(المملكةالعربيةالسعودية)، طبعة دون تاريخ.

02- ملحق رقم:02. - مما ورد نصه في كتاب "الحضارة العربية والتأثيرالأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص"، للأستاذ الدكتورعبدالقادرزبادية عن عوامل ازدهارالحركة التعليمية في تنبكت،(المؤسسة الوطنية للكتاب) الجزائر،1989. (عن دورالأوقاف والصدقات في تنبكت).

03- ملحق رقم03- ماجاء عن الإجازات (الشهادات)، في كتاب "نيل الإبتهاج بتطريزالديباج"،للمؤرخ السوداني أحمد بابا التنبكتي،تحقيق علي عمر، المجلدان الأول والثاني، (مكتبة الثقافة الدينية)،(القاهرة،2004).

04- ملحق رقم04- ما جاء في كتاب،"Tombouctou La Mystérieuse " " تومبوكتو العجيبة"،للمؤرخ،فليكس ديبوا،Dubois Felix ،(paris ،1879).في وصف منازل المدينة،والبيت الذي سكنه، وكيف كان يجلس مع زواره من أهل المدينة.

05-ملحق رقم05- ما جاء في كتاب،" تاريخ إفريقياالعام،المجلدالرابع، إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م،المشرف على المجلد،ج. ت. نياني،" الصنغي من القرن 12م إلى القرن16م"، سينيكي مودي سيسوكو، (اليونسكو،1988).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

01- ملحق رقم:01.

- مما ورد نصه عن مدينة تنبكت في كتاب" وصف إفريقيا " للرحالة الغرناطي الحسن الوزان ،(المملكةالعربيةالسعودية)، طبعة دون تاريخ.

1- النص الأول: ص 540. (في الناحية العمرانية للمدينة).

" بيوت تومبوكتو (تنبكت)، كما ذكرا سابقا ، هي أكواخ مصنوعة من أعمدة مطلية بالطين مع سقوف من القش، ويقع في وسط المدينة الجامع المبني بحجارة منحوتة مع طين الكلس على يد مهندس من الأندلس،مولود في مدينة المانه،كما أن هناك قصرا كبيرا بناه المهندس نفسه وحيث يسكن الملك.".

2- النص الثاني: ص 540 وما بعدها. (تقاليد الحكم بالمدينة).

" والبلاط الملكي جيد التنظيم للغاية وذو أبهة، وعندما يذهب الملك من مدينة لأخرى مع رجال حاشيته يمتطي جملا وتقاد الخيول بأيدي المسلمين، وإذا أراد الحرب، تعقل هذه الجمال ويركب الجنود خيولهم، وفي كل مرة يريد احد مخاطبة الملك يجثو أمامه، ويأخذ التراب ويحثوه على رأسه وكتفيه،وهذه طريقة التعبير الاحترام،ولكن هذا غير مطلوب إلا من الذين لم يسبق لهم أن خاطبوا الملك سابقا، أومن السفراء، ولدى الملك حوالي ثلاثة آلاف فارس وعدد لا يحصى من المشاة المسلحين بالأقواس المصنوعة من خشب " الشمرة" البرية،ويرمي هؤلاء بسهام مسمومة،ويشن هذا الملك الحرب على الأعداء من جيرانه وعلى الذين يمتنعون عن دفع الإتاوة له وحينما يحرزالنصريبيع في تومبكتو (تنبكت) أسراه حتى الأطفال الذين غنمهم في المعركة. ".

3- النص الثالث: ص 541.

" وهذا الملك هوالعدواللدود لليهود، فهو لا يرغب أن يسكن احد منهم في المدينة، وإذا بلغه أن تاجرا من بلاد البربريتردد عليهم أو يتاجر معهم يصادرأرزاقه.".

4- النص الرابع:ص 541. (في المعاملات التجارية).

- " تستخدم قطع الذهب الصافي عوضا عن العملة المسكوكة، في حين يستعمل الودع لشراء الأشياء البسيطة، وهي قواقع مجلوبة من بلاد فارس،ويعادل الأونس الرماني من الذهب ستة وثلثين من دنانيرهم.".

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

5- النص الخامس: ص 540.(البنية الاقتصادية بالمدينة).

- " يوجد في تومبوكتو (تنبكت) عدة آبار مياه عذبة، وفضلاعن ذلك فان الماء يصل حتى المدينة بواسطة قنوات في وقت فيضان نهرالنيجر،وتغزرهناك الحبوب والمواشي ويكثرفيها لذلك استهلاك الحليب والسمن، ولكن هناك افتقارشديد للملح،لان هذا يجلب من تغازة.".

02- ملحق رقم:02.

- مما ورد نصه في كتاب "الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص"، للأستاذ الدكتورعبدالقادرزبادية، عن عوامل ازدهار الحركة التعليمية في تنبكت،(المؤسسة الوطنية للكتاب)، الجزائر،1989.

1- النص الأول: ص 70. (عن دورالأوقاف والصدقات في تنبكت).

- " يبدو أن الأوقاف والصدقات كانت العامل التمويلي الهام في ازدهار حركة التعليم في تنبكت خلال القرن 10هـ/16م، فمعظم المصاحف والمخطوطان التي بقيت من تلك الفترة تحمل في طياتها ذكرا بتوقيعها على الجوامع من طرف أشخاص كانوا يبتغون من وراء ذلك وجه الله، كما كان تعيين الأئمة والمدرسين وترتيب الجرايات لهم يتولاه القاضي، وهو ينفق على ذلك الأوقاف والصدقات التي كان يتلقاها بسخاء كبيرمن المحسنين، ومعظم الجوامع التي قامت في تنبكت في تلك الفترة كان بناها أفراد موسرون في شكل أوقاف للصلاة والتعليم، فمسجد سنكري مثلا (بنته امرأة واحدة أغلالية ذات مال كبيرفي فعل الخير)،وكذلك الجامع الكبيرفقد بناء من ماله الخاص الحاج موسى صاحب مالي، وصومعته على خمسة صفوف.".

2- النص الثاني:ص73.

- " مدينة تنبكت أخذت نوعا من (القداسة) في نظرالناس،مما جعل الحكومة على إسناد جميع أمورالناس فيها للقاضي."

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3- الـــنص الثالـــث: ص73.(دورمدينـــة تنبكـــت فـــي نـــشرالثقافة الإســـلامية فـــي القرن10هـــ/16م).

- " بلغت شهرتها الأفاق، فقد قصدها الطلاب من جميع السودان،كما توارد عليها بعـــض الطلبة من مراكش أيضا، وأما الأساتذة فقد كان عدد كبيرمن بينهم مغاربة، وبهذه الصورة قامت تلك المدينة بدوركبيرفيما يتعلق بنشرالثقافة في سهوب السودان الغربي كلها، كمـــا أصبحت من بين المراكزالهامة في العالم الإسلامي جميعه، وأسفرذلك عن تحضرالـــسكان بها ولين عريكتهم وصلاح حالهم ".

03- الملحق :رقم03.

- ماجاء عن الأجازات (الشهادات)، في كتاب "نيل الابتهـــاج بتطريزالـــديباج"،للمـــؤرخ السوداني أحمد بابا التنبكتي،تحقيق علي عمر، المجلدان الأول والثاني، (مكتبة الثقافـــة الدينية)،(القاهرة،2004).

1- النص الأول: ص 154ومابعدها، الجزء الأول.

- " أورد المؤرخ أحمد بابا التنبكتي، انه حضرمجلس الفقيه أحمد بن أحمد بـــن عمـــربن محمد أقيت بن عمربن علي بن يحيى، واخذ عنه عدة أشياء، **وأجازه** الفقيه أحمد، جميع ما يجوزله،وعنه وكتب له بخطه".

2- النص الثاني: ص399، الجزء الأول.

- " أورد المؤرخ أحمد بابا التنبكتي، أن العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيـــت بـــن عمر بن علي بن يحيى قاضي تنبكت، **أجازه** اللقاني[1]، جميع مايجوز لـــه عنـــه، **وأجـــاز** المؤرخ أحمد بابا،وكتب له بخط يده".

---

(1) اللقاني هوإبراهيم بن محمد بن عمربن يوسف بن جميل اللقاني،المغربي الأصل(817-896)هـــ،(1414-1491)م قاضي القضاة بمصر برهان الدين،سمع الحديث على الزركشي، وحفظ مختصرخليل، وألفية ابن مالك،عمل بالتـــدريس والإفتاء. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريزالديباج، الجزء الأول،ص 57 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3- النص الثالث: ص297 ومابعدها، الجزء الثاني.

- " يقول المؤرخ أحمد بابا التنبكتي ، أن الفقيه محمد بن محمود بن أبي الونكري التنبكتي عرف ببغيغ. انه **أجازه** جميع ما يجوزله وعنه وكتب له بخطه في ذلك، ويقول المـــؤرخ أحمد بابا، انه اطلع الفقيه بغيغ،على تأليفه فكتب له هذا الأخيربخط يده الثناء والموافقة ".

04- الملحق:رقم04.

- مـــا جـــاء فـــي كتـــاب"Tombouctou la Mystérieuse"،"تومبوكتوالعجيبـــة" للمؤرخ،فليكس ديبوا،Dubois Felix ،(paris ،1879)، (بتصرف).

المؤرخ فليكس ديبوا الذي زارمدينة تنبكت في أواخرالقرن التاســع عــشر، ووصــف المدينة.

1- النص الأول:p240.

وصف بعض منازل تنبكت في القرن 19م.

- " منازل صحراوية، لا توجد بها أبواب ولا سطوح، وجدرانها دائرية، بعــضها مبنـــي بالأجر، وقطع من الخشب،...".

2- النص الثاني:pp248-249.

وصف فليكس ديبوا المنزل الذي كان يقيم فيه في مدينة تنبكت.

- " ... مسكن جاهز،نظيف،في حالة جيدة،ويتكون من غرفتين،...وبه ممر يؤدي إلى مـــا وراء المنزل،وبه دروج تؤدي إلى السطح،...وبه ما يليق بالترحاب، بيض،وتمـــر،وريش النعام، وغنم،ودجاج.".

3- النص الثالث:p242.

المؤرخ ديبوا يجلس مع سكان زواره من مدينة تنبكت .

- " كـــان (ديبـــوا) ، يـــضع كرســـيه،وطاولته الـــصغيرة،التي يـــضع عليهـــا أوراقـــه البيضاء،ويجلس أمام زواره، ويسألهم عن المزيد من التراث في تنبكت،وقد ذكـــره ذلـــك المنظربالأزهر،وأوقته،والدراسة فيه كحلقة علم،ولكن هنا يختلف الوضع، ففي تنبك كـــان

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الزوارهم من الأساتذة، والعلماء،والمثقفون،وهوفقط التلميذ، يسألهم،وهم يجيبون ويشرحون له ما يريد.".

05-ملحق رقم05

05-ملحق رقم05- ما جاء في كتاب،" تاريخ إفريقياالعام،المجلدالرابع، إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م،المشرف على المجلد،ج. ت. نياني، الصنغي من القرن 12م إلى القرن16م"، سينيكي مودي سيسوكو، (اليونسكو،1988).

الباحث سينيكي مودي سيسوكو تحدث عن تقاليد الحكم في مدينة تنبكت.

1- النص الأول: ص215.

-" كانت مدينة تنبكت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي تحت إدارة زعمائها من **الكوي** أو **الموندزو**،...و كوي تنبكت رئيس المدينة، ويساعده عدد كبير من الموظفين منهم **موندزو الأسارا**، وهو أشبه بمأمورالشرطة،وكان مسؤولا عن الأسواق وعن المدينة،وعن تنفيذ الأحكام التي يصدرها،وكان هناك مفتشو الموازين والمكاييل،وجباة الضرائب في الأسواق،ورجال الجمارك في كابارا، ورؤساء مختلف الجماعات الحرفية،ورؤساء المجموعات العرقية، وقد انضوت كل مجموعة منها في حي لها،ومراقبو الأكواخ في ضواحي المدينة،وكل هؤلاء يشكلون نواة الإدارة فعالة في المدن الكبيرة."

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- **البيبلوغرافيا:** 1)- **المصادر العربية والسودانية:**

- الإدريسي(أبي عبد الله محمد عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني)، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**،المجلد الأول،مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ.

- الأرواني(مولاي أحمد بابير)، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية** تحقيق الهادي المبروك الدالي،الطبعة الأولى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي 2001.

- ابن بطوطة(أبن عبدالله بن عبدالله اللواتي)،**رحلة ابن بطوطة**،دارصادر،بيروت1954.

- البكري (أبوعبيد الله بن عبد العزيز)، **المغرب في ذكرإفريقية والمغرب**، مقتبس من كتاب المسالك، مكتبة أمريكا والشرق ميزون نوف ، باريس،1965.

- البرتلي الولاتي (أبي عبد الطالب محمد بن أبي بكرالصديق)، **فتح الشكورفي معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981.

- ابن حوقل (ابوالقاسم النصيبي)، **صورة الأرض**،منشورات دارمكتبة الحياة،دون تاريخ.

- أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق علي عمر، المجلد الأول مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة،2004.

- ، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،تحقيق علي عمر، المجلد الثاني،مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، الفاهرة،2004.

- ، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق محمد مطيع،الجزء الأول،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،2000.

- ابن خلدون (عبدالرحمن)،**العبر و ديوان المبتدأ و الخبر**، 7 أجزاء،الجزء 6، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع،بيروت،2000.

- ،**العبروديوان المبتدأوالخبر**،7اجزاء،الجزء4،دارالفكرللطباعة والنشروالتوزيع،بيروت،2000.

- السعدي (عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر)، **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس وبنوة، باريس،1964.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- المغيلي(محمد بن عبدالكريم)، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،1974.
- الفشتالي(عبد العزيز)، **مناهل الصفأ في مآثر موالينا الشرفأ**، تحقيق عبدالكريم كريم مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الأسلامية،دون تاريخ.
- الفراهيدي (الخليل بن احمد)،**كتاب العين**،تحقيق عبدالحميد هنداوي،4مجلدات،المجلد الثالث،الطبعة الأولى،دارالكتب العامية،بيروت، 2003.
- القلقشندي(أحمد بن علي)، **صبح الأعشا في صناعة الأنشا**، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، 15 جزءا، الجزء 5، دارالكنب العلمية، بيروت ،دون تاريخ.
- كعت(محمود)،**تاريخ الفتاش في أخبارالبلدان والجيوش وأكابرالناس**، تحقيق هوداس و دولافوس، باريس، 1964.
- ابن مريم(الشريف المليتي التلمساني)،**البستان في ذكرالأولياء والعلماء بتلمسان**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،دون تاريخ.
- مارمول(كربخال)، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، و محمد زنبيروآخرون،3أجزاء الجزء3، دارنشرالمعرفة،الرباط،1989.
- مجهول، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، نشره هوداس، باريس،1899.
- الناصري (أبوالعباس أحمد بن خالد)، **الأستفصا لأخبار دول المغرب الاقصى" الدولة السعدية"**، تحقبق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الجزء الخامس، دارالكتاب، الدار البيضاء،1955.
- الوزان(الحسن)، **وصف إفريقيا**، ترجمة عبدالرحمن حميدة راجعه على عبد الواحد المملكة العربية السعودية، دون تاريخ.
- اليفراني(محمد الصغير)، **نزهة الحادي في أخبار ملوك الحادي**،تحقيق هوداس باريس،1988.

2)- <u>المراجع باللغة العربية والمعربة</u>:

- إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**،المؤسسة الوطمية للكتاب،الجزائر،1983.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- آدم عبدالله الالوري،**موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دارمكتبة الحياة، بيروت 1965.
- بازيل دافيدسون، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة جمال الدين ، دارالثقافة للنشروالتوزيع، بيروت، بدون تاريخ.
- بابكور(عمر بن سالم)، **النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي**،الاسكندرية،2002.
- بابرايماباري(عثمان)،**جذورالحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دارالأمين للنشر والتوزيع، دون تاريخ.
- بوعزيزيحيى، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع الفرن (20/16)م**،دارهومة، الجزائر،2001.
- التازي(عبدالهادي)،**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،المجلد الثامن " السعديين"،1988.
- جمال زكرياء قاسم، **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**،دارالفكرالعربي القاهرة،1999.
- جوان جوزيف،**الإسلام في ممالك وإمبرطوريات إفريقيا السوداء**،ترجمة مختار السويقي الطبعة الأولى،دارالكتب الإسلامية،دارالكتاب المصري،القاهرة،دارالكتاب اللبنانية،بيروت 1984م.
-جاك ووديس، **جذور الثورة الإفريقية**،ت وتعليق،أحمد فؤاد بلبع،راجع الترجمة،عبدالملك عودة،الهيئة المصريةالعامة للتأليف والنشر،1971.
- حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دارالفكرالعربي القاهرة،2001.
- الخياط(محمد أبو الفتوح)، **الوحدة الإفريقية**، دارالمعارف، مصر،1965.
- دندش (عصمت عبداللطيف)، **دور المرابطين في نشرالإسلام في غرب إفريقيا (1038-1121)م**،دارالغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان،1988.
- زبادية (عبدالقادر)، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591)م**،المؤسسة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- **، الحضارة العربية والتاثير الأوربي في إفريقا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989.

- زكي(عبدالرحمن)،**تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**،المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة،1961.

- ستودارد(لوثروب)،**حاضرالعالم الإسلامي**، ترجمة عجان نويهض، تعليق الأمير شكيب أرسلان، المجلد الثاني، الجزء الثالث، الطبعة الثاني،دارالفكر، دون تاريخ.

- **،حاضر العالم الإسلامي**،ترجمة عجان نويهض، المجلد الأول، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، دارالفكر،1973.

- عبد اللطيف(علي محمد)،**تمبكتو أسطورة التاريخ**، الطبعة الأولى،دارالكتب الوطنية بنغازي،2001.

- عمارهلال، **الطرق الصوفية ونشرالإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**،مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر،دون تاريخ.

- عمار بن خروف،**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر في القرن 10هـ/16م**،الجزء الثاني،دارالأمل للطباعة والنشروالتوزيع،2008م.

- فرج(محمود فرج)، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، دبوان المطبوعات الجامعية،2007.

- قداح (نعيم)، **حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية**، الطبعة الثانية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دون تاريخ.

- كارل بروكلمان،**تاريخ الشعوب الإسلامية**،ترجمة أمين فارس،وأمير البعلبكي،الطبعة الرابعة،دارالعلم للملايين،بيروت1955.

- مونتاي (قنسان)، **الإسلام الأسود**، ترجمة إلياس حنا إلياس،الطبعة الأولى، دارأبعاد بيروت،1983.

- هوبكنز،(أ،ج)،**التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية**،ترجمة،أحمد فؤاد بلبع،جامعة القاهرة،1998.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الطبعة الأولى الدار المصرية اللبنانية،1999.

- تاريخ إفريقياالعام،المجلدالرابع، **إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م**،المشرف على المجلد،ج. ت. نياني،" **الصنغي من القرن 12م إلى القرن16م**"، سينيكي مودي سيسوكو، اليونسكو،1988.

- يحيى(جلال)،**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،المكتب الجامعي الحديث الأسكندرية،1999.

3)- المجلات باللغة العربية:

* **المجلة التاريخية المغربية، تصدر في تونس.**

- زبادية(عبدالقادر)،"**ملامح الحركة التعلمية في تمبكتوخلال القرن السادس عشر**" العدد 7- 8 جانفي،1977.

* **مجلة البحوث التاريخية.**

- بيرنبام(مارى)، " **مدينة تمبكتوفي أواخرالقرن التاسع عشر وعلاقتها الاقتصادية والسياسية بالأرياف**"،العدد الأول، يناير، 1989.

- الفيتوري(أحمد)،" **الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، دراسة أولية وبعض الملاحظات**". العدد الثاني، جويلية،1981.

* **المجلة التاريخة المصرية، تصدر بالقاهرة.**

- بليغ(أحمد فؤاد)،"**عبدالرحمن السعدي،عصره وكتابه (تاريخ السودان)** "،العدد العشرون،1973.

-حسن أحمد(محمود)،"**دورالعرب في نشرالحضارة في غرب إفريقيا** "،العدد الرابع عشر،1968.

* **مجلة الأصالة، تصدرها الشؤون الدينية،الجزائر.**

- ديوب(عنتا)،"**عملية نشرالإسلام في غرب إفريقيا السوداء، و دور جامعة تومبوكتو**"، الجزء الثاني،1978.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- سليمان داود بن يوسف،" **انتشار الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء**"، الجزء الثاني ،30اوت 8 سبتمبر1979.

* **مجلة الدارة، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.**

- ميقا(أبوبكر إسماعيل محمد)،"**تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي(من القرن الرابع الهجري الى مطلع القرن الثالث عشر)** "،العدد الثاني،1993.

* **مجلة المؤرخ العربي، تصدرعن الأمانة العامة لأتحاد المؤرخين العرب- بغداد.**

- مزين(محمد)،"**المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16 و 17 الميلاديين**"،العدد31 1987.

- رزوق(محمد)،" **العلاقات العربية الإفريقية في القرن السادس عشر (الوجود المغربي بالسودان الغربي كنموذج)** "،العدد31، 1987.

4)- الموسوعات ودوائرالمعرية:

- البستاني(يطرس)،**دائرة المعارف**،دارالمعرفة،المجلد السادس،**مادة تنبكتو**،بيروت دون تاريخ.

- شلبي(أحمد)،**موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**،8 أجزاء، الجزء 6 القاهرة،1998.

- **الموسوعة العربية**، المجلد السادس،**مادة سنغاي**،الطبعة الأولى،الجمهورية العربية السورية،2002.

5)- الرسائل الجامعية:

- شعباني(نورالدين)،**علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين(4-9)هـ،(10-15)**م،رسالة ماجستيرغيرمنشورة، جامعة الجزائرالسنة الجامعية،2005-2006م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

6) - الوثائق المكتوبة والمصورة:

- الجزيرة، برنامج تحت المجهر،عنوان الحلقة "تمبكتو جوهرة الصحراء"بتاريخ 2005/11/11م،من إعداد عياشي الدراجي.

7)- المصادروالمراجع باللغة الأجنبية:

*Boubou, (H),**Histoire des Songhay**,by présence Africaine, paris, 1968.

*Barth,(H),**Travels and Discoveries in North and Central** , vol 3 London,1859.

*Caillié,(R), **Journal d'un voyage a Temboctou et à jenné dans l'Afrique Centrles,** tome2,éditione anthraopos, paris,

* Cornevin ,(R**), Histoire de L'Afrique**,tome 1, paris,1962.

* Cornevin,(R, et Marin),**Histoie de L'afrique des origines à la deuxiéme guerre mondiale**,paris,1964.

* Dubois,(F),**Tomboucto la Mystérieuse**,la Brnieie Elammarion, paris,1897.

*Delafosse,(M),**Hout Sénégal Niger**, tome 2, paris, 1972.

*Deschamps,(H), **Histoire Générale de L'afrique Noire**,tome 1;des origines à 1800, paris, n.d.

* , **Hitoire Générale de L'afrique Noire**,tome 2;de 1800 à nos jous, paris,n.d.

*Fage, (W) **, History of west Africa** ,cambridge At the university poress , 1969.

*Faidherb,(L)**,** e,**Le sénégal la France dans L'Afrique occidentale,**libraieie hachette et c^{ie} paris,1889.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

* John,(M), **Sailing toTimbuctoo**,william kimber, London,1973.

* Janes,(G-J), **An Account of Timbuctoo and Housa**, London,1820.

*Jean,(S,C), **Afrique noire occidentale et Centrale**,éditions sociales,paris,n.d.

* Hacquard,(A), **Monographie de Tombouctou**,Société des E'tudes coloniales & Maritimes,paris.1900.

*Ki-Zerbo,(J)**, Histoire de L'Afrique Noire**,paris,1972.

*Levitrion, (N)**, Muslims and Chiefs in West Africa**, oxford, 1968.

* Mahmoud,(A,Z), **Ahmad Baba de Tombouctou (1556-1627) savie et son ouvre** ,G-P.maisonneuve et la rose,cousin, paris,1977.

* Oskar,(L),**Timbouctou Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan**,paris,1887.

* Sekené,(M,C)**, Tombouctou et L'empire Songhay**,nouvelles éditions Africaines,dakar,Abidjan,1975.

* Spencer,(T), **History of Islam in West Africa**, oxford university press, ,n.d.

8) المقالات باللغة الأجنبية:

* Castries,(H)**," La Conquête du Sudan par El-Mansour(1591)"**, in Revue Hispéris, tome 3 , 1953.pp.450-453.

*Maurisce,(B)**," Tombouctou Capitale du Desert"**.in Revue Connaissance du Monde,n22,1960.p.26.

* Sékéné,(M,C),**"La vocation Culturelle de Tombouctou à L'unité du Monde Africain"**, in Revue La Culture Africaine,21juillét-1 aout 1969.pp.220-222.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- **الفهارس العامة**

01- فهرس الأعلام:

- أ-

- إبراهيم البصير:90.
- إبراهيم بن عبدالله:80.
- إبراهيم بن أحمد:80.
- إبراهيم بن عبدالكريم الجراري:122.
- إبراهيم الزلفي:76.
- إسحاق الأول:110.
- إسحاق الثاني:50-106-110-115.
- ابن شيخ اللبن:54.
- أبوبكر بن أحمد:95.
- أبو إسحاق إبراهيم الساحلي:31 -35-36.
- أبوبكرولد الغنداس التاركي:117.
- أبوالعباس أحمد بن محمد أقيت:93.
- أبوالعباس بن أحمد بن أحمد:117.
- أبوبكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت:95.
- أبوبكربن أحمد:95.
- أبوالقاسم التواتي:75 -93.
- أبي بكر بن أحمد بير:79.
- أبي بكر بن عمر:25.
- أبي حفص عمر بن محمود:111 -118.
- أحمد بابا التنبكتي:8-20-97.
- أحمد بن الإمام صديق:43 -77.
- أحمد بن أحمد بن عمر بن محمدأقيت:95.
- أحمد بن محمد عثمان:79.
- أحمد المنصورالذهبي:16 -35-59-109 -110-111-112-113-114-117 -119-120-121.
- أحمد بن سعيد:80.
- أحمد البكاي:13.
- أحمد الأعرج:109.
- أحمد معيا:117.
- أحمد بن يوسف العلجي:122.
- أحمد بن علي بن عبدالله:123.
- أحمد بن حد:123.
- أندغ بن المختار النحوي:78.

- ب-

- بكار بن حميد:58.
- بلمع الصادق:49.

- ج -

- جودر:7 -29-52-110-111- 113-114-115-116.

- ح-

- الحاج الأمين:82.
- الحاج محمد الكبير:33 -36-42-45- 47-55-56-58-62-92-96-105.
- حد بن يوسف الأجناسي:122.
- حميد بن عبدالرحمن:120.
- حميد بن عب:58.

- ر-

- رقية بنت الحسن أحمد الصقلي:28.

- ز-

- زينب بنت الحسن أحمدالصقلي:28.

- د-

- داوود بن الحاج محمد:31 -32-41- 45-51-60-63-74-92-95-109.

- س-

- سعيد بن علي المحمودي:123.
- سليمان بن الحسن أحمد الصقلي:28.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- سراج الدين الكويك:38.
- سليمان:120 -121.
- سني علي:37 -39-42-47-51-52 63-94.
- سنتاعون بن الهادي:79.
- سيد أحمد بن أندغ:124.
- سيد محمد بن عمر بن محمودأقيت:78.
- سيد علي بن عبدالله سر:125.
- سيد محمد بن عمر بن محمودأقيت:78.

- ص-

- صالح بن محمد أندي عمر:92.
- صالح تكن:101.
- صديق بن محمد تعل:76 -77.

- ع -

- العاقب بن محمود بن عمر:74 -78- 79-91-102.
- عبدالرحمن السعدي:7-20-40-98.
- عبد الله بن عمر بن محمد أقيت:93.
- عبدالرحمن بن علي بن احمد الفصري:92.
- عبدالرحمن بن محمود:79 -117.
- عبدالرحمن التنارتي:76.
- عبدالرحمن بن أبي بكر:101.
- عبدالرحمن بن أحمد معيا:124.
- عبدالرحمن بن أحمد:124.
- عبدالسلام بن محمد:125.
- عثمان بن الحسن الحاج التشيتي:76.
- عقيل أغ ملوك:40 -79.
- علي الجزولي:76 -77.
- علي بن مبارك الماسي:122.
- علي سعود بن أحمد عجمرد الشرقي:122.
- عمار:120.
- عمربن محمود بن عمر بن محمد أقيت:103 - 114-117.

- ف-

- الفع بكر:29.
- فياض الغدامس:28.

-م-

- مامي بن برون:116.
- محمد بن أندغ:124.
- محمد بن أبي بكر الونكري:80 -96.
- محمد بن أبي بكربن أكداد:77.
- محمد بغيغ الونكري:101.
- محمد بن أبي بغيغ:100.
- محمد بن أحمد:123.
- محمد بن أحمد الماسي:122.
- محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي:95.
- محمد بن عبدالكريم المغلي:91.
- محمد بن عمربن محمدأقيت:103.
- محمد بن عبدالكريم المغلي:91.
- محمد بن عيسى علي التلمساني:92.
- محمد بن محمد كري:79.
- محمد بن محمد بن محمد كري:124.
- محمد بن محمد بن عثمان:123.
- محمد بن محمود:90.
- محمد بن محمود بن عمربن محمدأقيت:103.
- محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري:95.
- محمد بن موسى:123.
- محمد طابع:120.
- محمد بن الحسن أحمد الصقلي:27.
- محمد بان:50 -52.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- محمد نض:79.
- محمد علي:81.
- محمد علي التواتي:81.
- محمد الأمين:117.
- محمود كعت:8-20-26-41-50-51-96.
- محمود بن زرقون:7 -43-97-115-116-117-118-120.
-محمود بغيغ:61.
- محمود بن عمرأقيت:97 -104.
- محمود بن محمود الزغوي التنبكتي:81.
- محمود بن صديق:123.
- محمود بن لنك:121 -123.
- المختار النحوي:101.
- مخلوف بن علي صالح البلبالي:93.
- مزوار بن الحسن أحمد الصقلي:27.
- مسعود بن منصور الزعري:123.
- المصطفى التركي:115 -116-117.
- منسا مغا:38.
- منسى موسى:32 -37-40-41-53-66-74.
- منسى سليمان:21 -38-39-53.
- منصور الغزاني:76.
- منصور بن عبدالرحمن:119 -120.

- ي-

- يحيى بن محمد:123.
- يحيى التادلي:79.
- يحيى ولد بروم:115.
- يوسف بن عمر القصري:122.
- يوسف بن تاشفين:22.
- يوسف بن مزني:67.

2- فهرس الشعوب والقبائل والأمم والأجناس:

- ا -

- ادرار:25.
- إفريقيا جنوب الصحراء:5 -10-12-105.
- إفريقيا الشمالية:10-12-62-64.
- إفريقيا الغربية:5 -9-10-15-62-73-87.
- إسبانيا:29 -90.
- إنجلترا:4 -12-57-108.
- إيطاليا:57 -108.
- أرما:28.
- أروان:21 -67.
- أودغست:88.
- أوليل:58.
- أشانتي:62.
- أوربا:65.

- ب-

- بامبا:48.
- بامبوك:62.
- بجاية:83.
- بسكرة:67.
- البربر:20-27-32-44-51-55-57-61-67-73-98-108.
- البرابيش:29 -55-58.
- برنو:70.
- بغداد:90.
- بني هلال:27.
- بوري:62.
- البولا:13 -33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- بئرالزبير:117.
- بيرو:53.

- ت -

- تاوديني:57 -58-66.
- تافيلات: 27-29-54-57-66-76.
- أهالي تطوان:47.
- تغازا:57 -58-66-68-110.
- تلمسان:54 -70-83-91-93.
- تنبكت:
4-5-4-7-8-9-10-11-12-13-
14-15-16-17-18-19-20-21-
22-23-24-27-28-29-30-31-
32-33-34-35-36-37-38-39-
40-41-42-43-44-45-46-47-
48-49-50-51-52-53-54-55-
56-57-58-59-60-61-62-63-
64-65-66-67-68-69-70-71-
72-73-74-75-76-77-78-79-
80-81-82-83-84-85-86-87-
88-89-90-091-92-93-94-95-
96-97-98-99-100-101-102-
103-104-105-106-107-108-
109-110-111-112-113-114-
115-116-117-118-119-120-
121-122-123.
-تكرت(تقرت):67.
- توات:28 -54-55-57-65-66-67-
76-81-92.
- تونس:40 -68-69-83.
- تاسغمرت(قرية):64.

-ج-

- الجزائر:5 -40-49-68-69-70-105.
- جني:13 -44-53-68-98-100.

- ح -

- حي الغدامس:28 -51-113.

- ز-

- زاغري:64 -115-116.

- د-

- درعة 26-110.

- س-

- سبو(وادى):64.
- سجلماسة:38 -64-65.
- سنغاي:7 -11-13-20-29-36-38-
39-40-44-50-56-59-70-89-
95-97-101-105-108-109-110-
111-115.
- السوننكيين:52 -56.
- سوريا:90.
- سوس:27.

- ص-

- صفري(مدينة):64.
- صنهاجة(قبائل):26.

- ط-

- طرابلس:4 -9-67-70-79.
- الطوارق:13 -19-20-21-22-23-
32-34-35-34-39-66-78-109.

-ع-

- عنابة:80.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

- العرب:20 -27-31-44-54-55-75-98.
- عين صالح:66 -67.
- غ -
- غاو(قاو):7 -15-44-53-67-68-112-113-115.
- غانا:53 -54.
- غدامس:28 -29-31-67-68.
- غرداية:66.
- غوبر(مملكة):62.
- ف -
- فاس:26 -27-28-29-56-64-65-70-82-88-93-99.
- فرنسا:4.
- بلاد فارس:70.
- فزان:54 -57.
- ق-
- قسنطينة:67.
- القيروان:88 -93-96.
- قبلي:66.
- ك -
- كابارا:45 -49-52.
- كاتسينا:95.
- قبائل كونتا:13 -27.
- ل -
- لوبي:62.
- ليبيا:5 -49-69.
- م-
- مادقو (قصر):33 -38.
- مانشستر:56.
- مالي:9 -27-36-37-39-53-55-57-65-95.
- الماندينغ:54 -55-56.
- مراكش:7 -29-65-66-70-86-110-115-118.
- المبروك(محطة تجارية):66.
- مدنين(محطة تجارية):66.
- مصر:5-7-8-27-40-54-60-63-83-90-93-105.
- المغرب:5 -6-15-36-54-60-68-70-73-105.
- موريتانيا:27 -56-57-58.
- الموسي(قبائل):38.
- المربطون:27.
- ن-
- الأندلس:29 -33-83-89.
- النيجر(نهر):5 -10-20-23-26-34-44-45-46-56-65-68-69.
- النيجر الأوسط:70.
- هـ -
- الهند:57.
- الهوسا:70.
- و-
- وجل(ورقلة):27-69.
- ودان:27.
- ولاتة:26 -28-53-55-59-64-65-94.
- الونكاريين: 54-56.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المحتويات:

مقدمة_____(4-16).

- الفصل الأول: نشأة المدينة وتطورها

1- إشكالية التسمية ونطقها._____(19-20).
2- نشأة المدينة._____(21-22).
3- الموقع الجغرافي للمدينة._____(22-26).
4- التركيبة الاجتماعية للمدينة._____(27-32).
5- التطورالعمراني للمدينة._____(33-36).
6- التطورالسياسى للمدينة._____(36-41).
6-1- تنبكت في عهد حكم مملكة مالي._____(37-38).
6-2- تنبكت في عهد حكم طوارق مغشرن._____(38 -39).
6-3- تنبكت في عهد حكم سني علي._____(39-41).

- الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية في تنبكت

1- الفلاحة:_____(44-48).
1-1 المزروعات:_____(47-48).
1-1-1- الأرز._____(47).
1-1-2- الفول._____(47).
1-1-3- التبغ._____(47).
2- الصناعةوالحرف اليدوية:2-1- الخياطة والنسيج:_____(49-50).
2-2- الحدادة._____(50).
2-3- الإسكافيون._____(50).
2-4- صناعات أخرى _____(51).
2-4- صناعة القوارب والسفن_____(51-52).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3- التجارة:_____(53-57).
3-1- التجار الاجانب._____(54).
3-2- التجار السودانيين._____(54-55).
3-3- السماسرة._____(54).
3-4- البائعون المتجولون السودانييون._____(55).
4- السوق._____(55-57).
5- المسالك التجارية:5-1- **المسالك البرية.**_____(58-62).
5-1-1- طريق فاس- تنبكت._____(58-59).
5-1-2- طريق تلمسان- تنبكت._____(59-60).
5-1-3- طريق تكرت و ورقلة إلى غاو_____(60-61).
5-1-4- طريق طرابلس- تنبكت._____(61-62).
5-2- المسالك النهرية._____(62-63).

6- المبادلات التجارية: 6-1- **الواردات:**
6-1-1- الملح._____(63-66).
6-1-2- الكتب._____(66-67).
6-1-3- الخيل._____(67-68).
6-1-4- الأحذية._____(68).
6-2- **الصادرات:**
6-2-1- الذهب._____(68).
6-2-2- العبيد._____(69).
7- نظم التعامل التجاري:7-1-المقايضة._____(70).
7-2- الودع._____(71) .

- الفصل الثالث: الحياة الثقافية في تنبكت

1- التعليم: 1-1- **المساجد:**_____(73-83).
1-1-1- الجامع الكبير._____(74-75).
- أئمة الجامع الكبير._____(75-77).
1-1-2- مسجد سنكري._____(78).
- أئمة مسجد سنكري._____(78-79).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1-1-3- مسجد سيدي يحيى.________(79-80).
- أئمة مسجد سيدي يحيى.________(80).
1-2- المدارس:________(83-91).
1-2-1- مراحل التعليم
- المرحلة الابتدائية.________(84-85).
- مرحلتا التعليم العالي والثانوي.________(85-86).
1-3- الشهادات.________(86-87).
1-4- المناهج.________(88).
1-5- دور المكتبات.________(89-91).

2- العلماء المؤثرون في الحركة الفكرية:
2-1- أبرز العلماء الذين استقدموا من المغرب ومصروالحجاز إلى مدينة تنبكت________(92-94).
2-2- أبرزالعلماء الذين رحلوا طلبا للعلم.________(94-96).
2-3- مؤرخو مدينة تنبكت.________(96-100).

3- القضاة والقضاء:
3-1-شروط تولي القضاء.________(101-102).
3-2- مهام القضاة.________(102-103).
3-3- رواتب القضاة.________(103).
3-4- أنواع العقاب.________(103-104).
3-5- أبرز الفضاة.________(104-105).

- <u>الفصل الرابع: الغزوالمغربي على مدينة تنبكت</u>

1- أولى المناوشات بين سلاطيين المغرب وسلاطين سنغاي.(109 -111).
2- التجهيز للغزو ودخول العاصمة غاو.________(112-113).
3- دخول الباشا جودر تنبكت وبناء القصبة.________(113).
3-1- تنبكت في عهد الباشا جودر.________(114-115).
3-2- تنبكت في عهد الباشا محمود بن زرقوق.________(115).
3-3-1- انتفاضة أهل تنبكت.________(115-117).
3-3-2- ثورة أبو بكر ولد الغنداس الطارقي.________(117)
3-3-4- التنكيل بالعلماء ونفي آل اقيت.________(117-119).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4- تنبكت أثناء الحكم المغربي:

4-1- المرحلة الأولى:(1591-1612)م._____(119-121).

4-2- المرحلة الثانية:(1612-1660)م._____(121-123).

4-3- المرحلة الثالثة:(1660-1780)م._____(124).

5- قضاة مدينة تنبكت على عهد الحكم المغربي._____(124).

6- أئمة مدينة تنبكت للمسجد الجامع ،على عهد الحكم المغربي.___(125-126).

الخاتمة_____(127-132).

الملاحق_____(134-139).

البيبلوغرافيا_____(140-147).

الفهرس العام_____(148-152).

المحتوى_____(153-155).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST